

المنهل العذب
في
تاريخ طرابلس الغرب



المنهل العذب في نارخ طرابلس الغرب

تأليف

حضرة صاحب السعادة أحمد بك النائب الأنصاري
الطرابلسي أحد أعضاء مجلس "سهرانات"
الجليلة بدار السعادة

منشورات

مكتبة الفرجاني
طرابلس الغرب - ليبيا

مقدمة الناشر

هذا الكتاب من أهم المصادر التي يرجع اليها المؤرخون للعهود الاسلامية في ليبيا ، وقد عاشت كثير من الدراسات التي جاءت بعده على المعلومات التي تضمنها ، واستمدت كثيراً من اخباره واحداثه . وهو يحوي كثيراً من الوقائع ويترجم لعدد كبير من الشخصيات السياسية والعلمية ويلقي اضواء على فترة غامضة من تاريخ هذه الرفعة الإسلامية العربية .

مؤلفه السيد أحمد النائب الانصاري من اعيان طرابلس في القرن التاسع عشر في عهد السلطان عبد الحميد خان الثاني وصدرت طبعته الاولى في الآستانة عام ١٨٩٩ .

واسلوبه واضح في الدلالة على عقلية مؤلفه وعلى طريقة ذلك العصر في الترجمة والتأليف وتفسير الوقائع والاحداث والسير وفوق المناهج القديمة للتاريخ العربي الاسلامي .

ويكاد يجمع الباحثون على أن هذا المؤرخ اسدى خدمة جليلة للتاريخ الليبي بهذا الكتاب الذي ما يزال حتى الان مصدراً هاماً في المكتبة التاريخية الليبية .

وقد رأينا - بعد ان نفذت طبعته الاولى القديمة - ان نعيد

طبعه ونضعه بين يدي القارئ المهتم بالتاريخ الليبي في العهد
الاسلامية .

وقد دفعنا الى ذلك ايماننا بفائدة هذا الكتاب للمستغلين بالتاريخ
والمثقفين بصفة عامة .

وقد التزمنا في اعادة طبعه التقيد بالاصل دون ان نجري عليه
تعديلاً او تحويراً او تلخيصاً تاركين للباحثين والدارسين مهمة تحقيقه
ودراسته والنظر فيما تضمنه من احداث ووقائع وتراجم وتفسير النهج
الذي سار عليه المؤلف وصلته بالعصر الذي عاش فيه .

والله نسأل ان تكون الفائدة منه عامة .

الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . الحمد لله الذي لا أولية لأوليته ، ولا آخر لأزليته وسرمدانيته ، ولا نهاية لكلماته . وهو القديم الأول ، مالك الملك الذي لا يزول ملكه ولا يتحول ، وأشهد ان لا آله الا الله وحده لا شريك له الذي ابتداء الخلق من غير مثال ، وقسم العباد لحاضر وباد ، وظاهر وخامل ، وقاصر وكامل . وأبدع في اختلاف ذواتهم وأعراضهم ، وتغاير ألسنتهم وأمكنتهم وأزمنتهم وألوانهم ، ما فيه ذكر لأولي الأبصار ، وإرشاد لمعرفة الديان وعبرة لذوي الأفكار . وأصلي أزكى الصلاة والسلام ، هدية لحضرة سيد الأنام ، الذي نزل عليه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، وأنشئ القمر له ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة زيادة في الايقان ، وأتاح بنوره الظلام الحالك ، حتى أضاءت بوسمه المسالك ونجا من المهالك ، شفيعنا ومولانا ووسيلتنا الكبرى ، وعمدتنا العظمى ،

في الاولى والأخرى ، غوثنا ونبينا (محمد صلى الله عليه وسلم)
والرضا عن آله وصحبه الذين تجلت بأنوارهم المسالك . (أما بعد)
فيقول العبد الحقير ، المذنب الذي هو الى ربه الغني فقير ، احمد
ابن حسين بن محمد الأوسي الانصاري الشهير بالعوس نزيل دار
الخلافة العلية أيام الخليفة الأعظم ، الملك الهام ، والقمر التام ،
مولانا ، وعمدة ديننا ودينانا ، الخليفة الامام ، الذي استبشر
به الاسلام ، وخفقت بعزه الاعلام ، ولاح بدر بحياه فانقض
الظلام ، امير المؤمنين ، عظيم الخلفاء ، وستر الله تعالى المسدول
على الضعفاء ، المحفوظ بسر السبع المثاني ، مولانا وسيدنا
السلطان الغازي (عبد الحميد) خان الثاني لا زالت اركان مجده
راسية راسخه ، وغرر عزه بادية باذخه ، وآيات سعده محكمة
راسخه ، وابقاه الله تعالى يحري بسعده الفلك ، ويسطر حسنات
ملكه الملك ، ويشهد بفضل باسه ونداه النادي المعترك - هذه
وريقات جمعت فيها ما وقفت عليه بغاية الاختصار من اخبار
« طرابلس الغرب » من ابتداء الفتح ونبأ من تولايها من الولاة وسميتها
« المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ، ومن الله استمد الصواب
واستغفره من الخطأ في الخطاب . وابتدأت بوصفها وحسن هوائها
واعتدال مزاجها .

وصف طرابلس الغرب

فأقول انها بلدة كريمة البقعة ، طيبة التربة ، مختصة القاعة ،

بسواحل قطعة افريقية الشمالية . ويحدها من الجنوب الصحراء الكبرى ، وشرقا الحدود المصرية ، وشمالا البحر الرومي ، وغربا تونس وارض قبائل الشعابنة التي بين طرابلس والجزائر . وضبط اسمها على ما في القاموس طرابلس (بفتح الطاء وضم الباء واللام) بلد بالمغرب او رومية معناها ثلاث مدن ، انتهى . وذكر البكري وغيره انها بزيادة الف قبل الطاء . وانشد احمد بن يحيى من قدماء شعرائها :^{١١}

لقد طال شوقي الى فتية
حسان الوجوه باطرابلس
وقد عيل صبري فما مسعدي
على الشوق الا دموعي الحبس

وقال التيجاني في رحلته واختار بعضهم في الغربية زيادة الالف وفي الشامية اسقاطها وعكس صاحب القاموس فجعل الهمزة للشامية وهي منقسمة على خمسة ألوية متصرفية المركز ، والخمس ، والجبل الغربي ، وفزان ، وبنغازي ، وهذه الأخيرة تارة تكون ملحقة بالولاية واخرى يكون تفريقها عنها . وعرضها اثنان وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة ، معتدلة الهواء والجو والنسيم ، ربيعها وخريفها ومشتاها ، ومصيفها على قدر من الاعتدال ، ووسط من الحال . والسور محيط

(١) قال متصفحہ : من المتقارب وعروضه الثانية المحذوفة وضربها المائل . صح

بها ، حصينة معقلها ، منيعة قلاعها ، حريزة استحكاماتها - ولم
تحل من اشراف امائل وعلماء اكابر - محدقة ببساتين ذات بهجة
واجنة نضرة كثيرة الفواكه والنخل والزيتون وفيها شجر الليمون
السكري البديع والرممان التاجوري الياقوتي الذي لا نظير له
والبطيخ الاخضر كبير الحجم زنة الواحدة قنطار والزعفران
الغرياني :

ويجبالها معادن الفضة ، والحديد ، والفحم ، والكبريت ، وانواع
الاملاح ، ومن آثارها القديمة مدينة لبده .

وقال في وصفها عند شوقه لها الاريب اللبيب والشاعر الاديب
احمد بن حسين بن الشيخ احمد البهلول رحمه الله ايام هجرته عنها
بالجامع الازهر .

طرابلس الغرا ! ترى لي عودة

اليك ، وهل يدنو الذي كان قد ذهب

سقا الجانب الشرقي منك سحابة

ولا زال فيك من رياح الصبا يهب

بلاد لها بالخلد آية شبهة

فمنها نبات الزعفران ، كذا العنب

ترى سوحها من فضة فاذا اكتست

بشمس الضحى اضحت لجينتها ذهب

وفي كل حول حولها حلة حلت
برؤيتها خضراء من سندس القصب
وفيها نخيل باسقات اذا الصبا
تهب عليها اسقطت يانع الرطب
وفيها من الأشجار ما جل وصفه
باوراقها الورقاء غنت من الطرب
وفي ثغرها ظفر الرضاب وعينها
التي قد سمت من فضة آية العجب
فيا حبذا ثغر ، له النصر خادم
ويا حبذا عين ، بها الماء قد عذب
أمثل شوقاً شكلها ، في ضمايري
فيسقط دمعي الشكل من شدة التعب
بديعة حسن زادها الله بهجة
وآمن أهلها من الخوف والشغب
لقد اعجزت اوصافها كل معرب
وكل الذي املى ، وكل الذي كتب
ولكن قصارى مطنب القول أنها
تفوق بلاد الغرب طراً ولا عجب
وناهيك بالبئر الجديد وسده
وجيرته دار بها القلب ملتهب

فلا تلحني ان أرق البين مقلتي
 وكادت بي الأشواق تفضي الى العطب
 فان من الايمان ، والنص شاهد ،
 « محبتك الأوطان عن سيد العرب »
 وكيف بدار قد حوت كل رفعة
 يقوم لهم في العلم باع وفي الأدب
 ومن فضله بحر طويل ووافر
 مديد مدى الأيام لا يعتريه غب
 هو الوالد المفضل لا زال كاسمه
 حسين أخا الحسنى لأحمد ينتسب
 امام من الاحسان أحيا مآثراً
 ومن قبله البهلول ذو الفخر والحسب
 فيا فالق الأصباح ، والحب والنوى ،
 تمد له عمراً طويلاً بلا وصب
 سقيت أيا ربع الأجنة ديمة
 تدوم ولا زالت بك المزن تنسكب
 فيا لك من ربع اذا ما ذكرته
 أهم كما التكللى أو شارب الحب

ذكر مدينة لبده ونعتها

وضبط هذا الاسم (لبده) lébdé وإلا (لبده) lébidé أو هي (لبده) lébédé ومعناه بلسان الفنيكيين الصحراء الخالية من العمران وتعرف بلسان اللاتين (لبتيس مانيا) léptis mania وهي مدينة عظيمة وهياكل جسيمة كائنة شرقي طرابلس وبعدها عنها خمسون ميلا قد أسست من طرف الفنيكيين ولم يعلم تاريخ تأسيسها . ولكن لا يشك بأنها قد بنيت في الزمن الذي است فيه قرطاجنة ، وقد خلت في العصور الأوائل . وبقيّة آثارها ورسومها قد أكل البحر كثيراً منها وفيها مبان عظيمة وأبراج خارجها مبنية بالحجر المنحوت في غاية الاتقان قد هدم الدهر ومسا هدمت ، وتعاقبت عليها الأزمنة وما ثلثت ، فترى الابنية متقابلة على رؤوس الجبال مد البصر ، بحيث يقضي الخدس أن كل ما كان داخلها كان مدينة واحدة الى البحر . وترى أعمدة الرخام وغيرها واقفة في وسط البحر وقد أحاط بها الماء بحيث لا يرتاب أن البحر قد أكل الكثير منها . ومن هذه المدينة يتقل كثير من أعمدة الرخام الى طرابلس وإلى مصر وإلى غيرها من البلدان ويقال إن بانيها الملك (دقيوس) . وبعد وفاته تملكها امرأة اسمها (رومية) . وبعدهم ذكر أن « دمشق بن نمرود » لما بنى دمشق بقي ثلاث سنين وبعث ولده وأمره أن يبني مدينة بالمغرب فبنى هذه المدينة

وجلب اليها الماء من عين يقال لها (عين كعام) بوادي (نارغلات)
 بقنوات وفيها ، صنعة عجيبة وأبنية غريبة بحجارة منحوتة عظيمة
 تحار فيها العقول منها أحجار من أربعة أذرع فأكثر ، منقورة في
 وسطها نقرأ متقناً . والحجر في غاية الصلابة قريب من حجر
 الصوان ، والحاصل أن من رأى ذلك استغرب . وأثر البناء وبحرى
 الماء باق الى الآن متصل من جوف الوادي الى أطراف المدينة
 الا أن ماء هذا الوادي الآن قليل أجن . ويزعم أهل البلد أن
 ماء هذا الوادي كان حلواً غزيراً أيام عمارة المدينة . وكان مما
 يؤثر عند أهلها أنه اذا بدت الملوحة في ماء الوادي فذلك علامة
 خرابها ، فلما بدت فيه الملوحة أخذ أهلها في الانتقال منها والله
 أعلم . وقال فيها (اميانوس) الروماني المؤرخ الشهير « إن موقعها
 وشكلها شبيه بقرطاجنة وكانت من مستعمرات الفنيقيين . والآثار
 القديمة فيها بثلاث لغات ، اليوناني ، واللاتيني ، والفينيقي ، وان
 الذي خربها قبيلة ليبية من البربر وذلك في سنة (٣٧٠) سبعين
 وثلاثة ميسجية . » وقال غيره « ان هذه البلدة كانت من أعظم المدن
 وأعمرها بنواحي أفريقية الشمالية . وقد هاجمتها حكومة قرطاجنة فاستمد
 أهلها بملك الروم فأمدتهم بالعساكر وقهر عدوهم وأعانهم على عمران
 البلد . ولاستعدادها الطبيعي بلغت لأقصى درجة من العمران في مدة
 وجيزة . ثم هدم أسوارها وخربها قوم (الوندال) عندما طردهم الروم
 من أراضي الأندلس وهاجروا للمالك البربر . وفي سنة (٢٠٠) مائتين
 قبل الهجرة نهض (يوستيانوس . أو زوستيانوس) إمبراطور
 القسطنطينية الى قوم الوندال الذين نزلوا بشمال أفريقية وضايقهم وقهرهم
 وقرض حكومتهم وأبعدهم عن تلك النواحي وعمر مدينة لبده

ثانياً سنة (١٨٨) قبل الهجرة واتخذها مقر ولاية القوماندان (سرجيوس) سردار جيشه . واما الآن فهي خراب وطرابلس الجديدة مبنية بانقاضها . انتهى .

وذكر العبدري هذه المدينة في رحلته انه وجدها خالية والذي يظهر انها خلت قبل الاسلام اذ لم يذكرها أحد ممن ذكر فتوح أفريقيا والله أعلم بغيه . وأخبر بعضهم « ان الملك الذي بنى هذه المدينة وقع موتان في عسكره حتى تقافوا ولم يدر ما سببهم فأمر بشق بطن واحد منهم وشق قلبه فوجد فيه دودة فعلم ان ذلك سبب موته وأمر بصب جميع الادوية عليها واحداً فواحداً فلم تمت حتى أخرج زيتاً كان عنده في قارورة جاء به من ارض الشام فصب عليها قطرة من الزيت فماتت فعلم ان دواء ذلك المرض يأكل الزيت فيمت الى الشام وجاء بغرس الزيتون فأمر بغرسه في تلك الاوطان من مسراتة الى سوسة تونس واعمالها ومن تلك الساعة بقي الزيتون » والله أعلم . وقال في وصف طرابلس الاستاذ الفاضل أبو سالم (عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي) المغربي في رحلته « انها مدينة مساحتها صغيرة ، وخيراتها كثيرة ، ونكباتها للعدو شهيرة ، ومآثرها جلييلة ، ومعابها قليلة ، أليفة البناء ، فسيحة الفناء ، عالية الأسوار ، متناسبة الأدوار ، واسعة طرقها ، الى ما جمع لأهلها من زكي الأوصاف ، وجميل الانصاف ، وساحة عن المعتاد زائدة ، وعلى المعافين بأنواع المبرات عائدة . لا تكاد تسمع من أحد من أهلها لغوا الا سلاماً ، ولو لمن استحق ملاماً ، سيما مع الحجاج الواردين ، ومن انتسب الى الخير من الفقراء

العابرين ، فانهم يبالبون في اكرامهم ، ولا يألون جهداً في افضالهم
عليهم وانعامهم ، فجزاهم الله خيراً ، وآعانهم وسائر بلاد المسلمين
أجمعين » . انتهى .

ذكر أول من سكن طرابلس في قديم الزمان

وأول من سكنها في قديم الزمان على ما نقله الاخباريون
أمم من الفينيكيين ثم الرومان في اوائل القرون المسيحية ثم الوندال
وهم من جنس الجرمان وفي سنة (٥٣٠) ثلاثين وخمسية استولى
عليها أمم من اليونان حتى تغلبت عليهم البرابرة واستوطنتوها
الى أن جاء الله بالاسلام والفتح . وأن هؤلاء البرابر جيل وشعوب
وقبائل أكثر من أن تحصى . وكان سبب مسيرهم اليها والى غيرها
من المغرب أنهم كانوا بنواحي فلسطين من الشام وكان ملكهم
جالوت ، فلما قتل سارت البرابرة وطلبوا المغرب وانتهوا الى « لبية »
و « مراقبة » كورتان من كور مصر . فسارت (زناته) و (منيله)
وهما قبيلتان من البربر الى المغرب وسكنوا الجبال . وسكنت قبيلة
(لواتة) برقة وتعرف قديماً انطابلس وانتشروا فيها حتى بلغوا
السوس الأقصى . ونزلت (هواره) مدينة لبدة . ونزلت (نقوسه)
مدينة صبره ، وجلا من كان بها من الروم لذلك . وأقام (الأفارق)
وهم خدمة الروم وبقيتهم على صلح يؤدونه إلى من غلب عليهم الى
أن كان صلح عمرو بن العاص . واما نسبة البربر فيزعمون في
بعض شعوبهم أنهم من العرب مثل لواتة يزعمون انهم من (حمير)

ومثل هواره يزعمون أنهم من (كندة) ، ومثل زنانة يزعم نسبهم أنهم من (العالقة) . ومنهم من يزعم أنهم من بقايا (التبابعة) وكان منهم قبل الاسلام وبعده رؤساء وفضلاء وحكماء وعلماء وأولياء وأفاضل . قال الفاضل ابن خلدون « ومن بطون (زنانة) زواوه ، وزواغيه وزواره ، ودمر ، وهراطيل ، وبني توجين ، وبني مغرا وبني يفرن ، وبني ورشفانسه ، وبني باذين ، ويضليتن . وكانت مدينة صبره قبل الفتح من مواطنهم وتعمزى اليهم وتعرف الى هذا العهد بزواغه ، وهي على مسيرة يوم من غربي طرابلس . وهي كانت باكورة الفتح لأول الاسلام وخربها العرب بعد استيلائهم عليها فلم يبق منها الا أطلال ورسوم خاوية . واما (نفوسه) فهم بطن واحد تنسب اليه نفوسه كلها وكانوا من اوسع قبائل البربر . فيهم شعوب كثيرة مثل بني زمور ، وبني مكسور ، وكانت مواطن جمهورهم بجبات طرابلس وما اليها . وهناك الجبل المعروف بهم وهو على ثلاثة مراحل من قبلة طرابلس يسكنه الان بقاياهم ومن اخوتهم بنو ضرا ، وبنو ولوا ، ويقال لجميعهم البربر البتر . ومن بطون (هواره) مغرا ، وزمور ، وكاباو ، وفساطو ، ومعدان ، ونداوه ، ومليله ، وغريان ، ومسلاته ، وترهونه ، وتاورغا ، وزكاره ، وسيلين ، ويقال لجميعهم (لهانه بنو لهان) . وكانوا ظواغن واعلين توزعهم العرب من ذباب فيما توزعوه من الرعايا وغلبوهم على اوطانهم فتملكوهم تلك العبيد ، للجباية منهم والاستكثار منهم في الانتجاع والحرق . ومن هواره هولاي ، مما يلي بلدسرت وبرقة ، قبيلة تعرف بمسراته لهم كثرة واعتزاز ووضائع العرب عليهم قليلة ويعطونها من عزة . وكثيراً ما ينقلون في سبيل التجارة ببلاد مصر والاسكندرية . ومن (هواره)

هولاي بقصور غدامس على عشرة مراحل من قبلة طرابلس
وكانت مخططة منذ عهد الاسلام وهي خطة مشتملة على قصور
وأطام عديدة بعضها لبني (ورتاجين) وبعضها لبني (وطاس)
من احيا بني مرين ، ويزعمون ان اوليتهم اختطوها . وهي لهذا
العهد قد استبحرت في العارة ، واتسعت في التمدن بما صارت محطاً
لركاب الحج من طرف السودان وقفل التجار الى طرابلس عند
اراحتهم من قطع المفازة ذات الرمال المعترضة امام طريقهم
دون الارياف والثلول ، وباباً لولوج تلك المفازة . ومنهم من
قطع الرمال فيا يلي بلاد (كوكوا) من السودان تجاه افريقية
ويعرفون بنسبتهم (حكاره) بكاف معجمة تخرج بين الكاف العربية
والقاف . ومنهم بصر اوزاع متفرقون اوطنوا بها وآخرون موطنون
ما بين برقة واسكندرية يعرفون بالمشانية ظلوعن مع عرب بني
سلم في اللغة والزي قد نسوا رطانة البربر واستبدلوها بفصاحة
العرب .

يقال ان (افريقس) بن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة لما غزا
المغرب وافريقية وقتل الملك (جرجيس) وبنى المدن والامصار وباسمه
زعموا سميت افريقية لما رأى هذا الجبل من الاعاجم وسمع رطانتهم
ووعى اختلاطها وتنوعها تعجب من ذلك وقال « ما اكثر بربرتكم »
فسموا (بالبربر) . والبربرة بلسان العرب هي اختلاط الاصوات
غير المفهومة ، ومنه يقال بربر الاسد اذا زأر باصوات غير مفهومة .
و (افريقي) بفتح الهمزة وسكون الفاء وكسر الراء وسكون الياء
المثناة من تحت وسكون القاف وفتح الياء المثناة من تحت وهي

آخرها . وقال ابن خلكان : « (افريقية) بكسر الهمزة وسكون الفاء وكسر الراء وسكون الياء المثناة التحتية وكسر القاف وفتح الياء المثناة التحتية وبعدها هاء آخر الكلمة : اسم لارض من اراضي المغرب تشتمل على مدن وقصبات وقرى كثيرة اكثرها من اوسط المغرب وبعضها من اوائلها ، قاعدتها في الاسلام القيروان وممنها المشهورة طرابلس الغرب . وقصر احمد آخرها من جهة الشرق واول حدها برقة . » ولم تزل بلاد المغرب الى طرابلس بل والى الاسكندرية عامرة بهذا الجبل من بين البحر الرومي وبلاد السودان منذ ازمة لا يعرف اولها ولا ما قبلها . وكان دينهم دين المجوسية الا في بعض الاحايين يدينون بدين من غلب عليهم من الاصم اهل الدول العظيمة الذين كانوا يتغلبون عليهم . فقد غزتهم ملوك اليمن مراراً على ما ذكر مؤرخوهم فاستكانوا لغلبهم ودانوا بدينهم . ذكر ابن الكلبي : ان حميراً أبا القبائل اليمنية ملك المغرب مائة سنة وقد صبحهم الإسلام وكانوا تحت ملك الافرنج وعلى دين النصرانية الذي اجتمعوا عليه مع الروم وكان اصحاب طرابلس وابده وبرقه يؤدون الجباية لهو قتل ملك القسطنطينية حتى كان الفتح . وفي انقطاع بعض الاخبار وعدم الوقوف على تفاصيل بعضها دليل واضح على حدوث حوادث حدثت من الحروب والتغلب بالقوة والنال المنفذي الى التفريط في الضبط والحفظ ووقوع الخلاف والتغير والتبديل بحسب الاغراض الموجبة للخلل .

(ثم بدأت بمن كان سبباً لظهور كل موجود ، صاحب المقام)
(المحمود ، واللواء المعقود ، سيدنا ونبينا) .

محمد صلى الله عليه وسلم

ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن
 كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن
 النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن
 معد بن عدنان ، الى هنا بالاتفاق . ولد صلى الله عليه وسلم في شعب
 (بني هاشم) وقيل (بعسفان) يوم الاثنين بلا خلاف ليلة الثاني عشر
 من ربيع الاول على (١) الصبح لعشرين من شهر نيسان عام الفيل
 بعد قدوم الفيل مكة بخمسين يوماً ، وقيل غير ذلك وهذا اشهر ،
 في ولاية الملك العادل كمرى انوشروان . سنة (٥٧٨) ثمانية
 وسبعين وخمسية من رفع عيسى بن مريم عليه السلام الى السماء وكان
 له من المعجزات ما لا يحصى وعاش صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين
 سنة وتوفي يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاول (٢) بالمدينة الشريفة
 صلى الله عليه وسلم .

خلافة سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه

اسمه عبد الله بن ابي قحافة واسمه عثمان بن عامر بن عمرو بن

.....

(١) قال متصفحه : والاشهر ثامن .

(٢) قال متصفحه : والأقوى ثمانية .

كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب يلتقي نسبه مع نسب النبي (صلى الله عليه وسلم) في مرة بن كعب . وولادته بعد عام الفيل بثلاث سنين على الصحيح ، بويح له في ربيع الاول سنة احدى عشرة وقام سنتين وثلاثة اشهر وتسعة ايام وتوفي ليلة الجمعة لسبع بقين من جاد الآخر سنة (١٣) ثلاث عشرة .

خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

هو ابو حفص سيدنا عمر بن الخطاب بن نفيل بن مصغرا بن عبد العزى بن رياح - بكسر الراء وفتح المثناة - بن عبد الله بن قرط - بضم القاف - بن رزاح - بفتح الراء - بن عدي بن كعب بن لؤي . يلتقي نسبه مع نسب النبي (صلى الله عليه وسلم) في كعب ابن لؤي . ولادته بعد ولادة النبي (صلى الله عليه وسلم) بثلاث عشرة سنة . بويح له يوم مات ابو بكر رضي الله تعالى عنه وفي خلافته صار فتح طرابلس الغرب .

ابتداء فتح طرابلس الغرب

لما ان كانت سنة (٢٢) اثنتان وعشرون من الهجرة ، على صاحبها افضل الصلاة واتم التسليم - سار سيدنا عمرو بن العاص " من

(١) قال متصفحه : ابن رائل بن حاشم بن سعيد بن هيص بن كعب ابن لؤي .

مصر الى برقة فصالحه اهلها على ثلاثة عشر الف دينار يؤدونها
جزية ، وشرطوا ان يبيعوا من اولادهم من ارادوا بيعه في جزيتهم .
فلما فرغ من برقة سار الى طرابلس فحاصرها شهرا فلم يظفر بها ،
وكان قد نزل شرقها بمقربة من المكان الذي فيه ضريح الشيخ الشعاب
الان ، فخرج رجل من بني مدليج يتصيد في سبعة نفر وملكوا غربي
المدينة ، فلما رجعوا اشتد عليهم الحر فاخذوا على جانب البحر . ولم
يكن السور متصلاً بالبحر ، وكانت سفن الروم في مراسيها مقابل
بيوتهم ؛ فرأى المدليجي واصحابه مسلحاً بين البحر والبلد فدخلوا منه
وكبروا ، فلم يكن للروم ملجأ الا سقنهم لانهم ظنوا ان المسلمين قد
دخلوا البلد . ونظر عمرو ومن معه فرأى السيوف في المدينة وسمعوا
الصياح فاقبل يبيشه حتى دخل عليهم البلد فلم يفلت الروم الا بما
خف معهم في مراكبهم .

وكان اهل حصن (صبره) قد تحصنوا لما نزل عمرو على طرابلس ،
فلما امتنعوا عليه بطرابلس امنوا واطمانوا . فلما فتحت طرابلس جند
عمرو عسكرياً كشافاً وسيره الى (صبره) ، وتعرف الآن (بزواغه)
غربي طرابلس على مسيرة يوم منها ، فصبحوها وقد فتح اهلها الباب ،
واخرجوا مواشيهم لتسرح ، لانهم لم يكن بلغهم خبر طرابلس .
فوقع المسلمون عليهم ودخلوا عليهم البلد مكابرة ، وغنموا ما فيه
وعادوا الى عمرو . ثم سار عمرو بن العاص الى برقة ريثما لواته
من البربر .

خلافة امير المؤمنين سيدنا عثمان عفان رضي الله تعالى عنه

وفي ثلاثة عشر من شهر ذي الحجة سنة (٢٣) توفي سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه . وفي اول المحرم سنة (٢٤) اربع وعشرين ببيع لسيدنا عثمان بن عفان بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ، يلتقي نسبه مع نسب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في عبد مناف . ولادته بعد ولادة النبي (صلى الله عليه وسلم) بست سنين وكنيته ابو عبد الله .

انتفاض طرابلس الغرب ونهبها وفتح افريقية

وفي سنة (٢٥) خمس وعشرين امر عثمان رضي الله عنه عبد الله ابن سعد بن ابي سرح بغزو افريقية وقال له ان فتح الله عليك فلك خمس الخمس من الغنائم ، وأمر عقبة بن نافع بن عبيد القيس على جند وعبد الله بن نافع بن الحارث على آخر وسرحها فخرجوا الى افريقية في عشرة آلاف ، وصالحهم اهلها على مال يؤدونه ، ولم يقدروا على التوغل فيها لكثرة اهلها . ثم ان عبد الله بن ابي سرح استأذن عثمان رضي الله عنه في ذلك واستمد ، فجهز العساكر من المدينة ،

وفيهم جماعة من اعيان الصحابة رضي الله عنهم ، منهم عبد الله بن عباس وغيره . وساروا مع عبد الله بن ابي سرح سنة (٢٦) ست وعشرين الى افريقية . فلما وصلوا برقة لقيهم عقبة بن نافع فيمن معه من المسلمين ، وكانوا بها ، وساروا الى طرابلس الغرب ، فنهبوا من عندها من الروم وساروا نحو افريقية وبعث السرايا في كل ناحية . وكان ملكهم اسمه (جرجر) وملكه من طرابلس الى طنجة . وكانت دار ملكه (سيطله) وكان هرقل ملك الروم قد ولاء افريقية فهو يحمل اليه الخراج كل سنة ، فصالحه اهلها على الف الف وخمسة الف دينار . ثم ان عبد الله بن سعد عاد من افريقية الى مصر . وكان مقامه بافريقية سنة وثلاثة اشهر ، ولم يفقد من المسلمين الا ثلاثة انفار .

انتفاض افريقية وفتحها مرة ثانية

وفي سنة (٢٩) تسع وعشرين زحف المسلمون الى افريقية وعليهم عبد الله بن سعيد بن نافع بن عبد قيس بن ابي سرح من بني عامر بن لؤي - فجمع لهم جرجر ملك الافرنج يومئذ بافريقية من كان بأحصارها من الافرنج والروم ، ومن بضواحيها من جموع البربر ، فلقوا المسلمين في زهاء مائة وعشرين ألفاً ، والمسلمون يومئذ في عشرين ألفاً . فكان من هزيمة العرب لهم وفتحهم لسيطله وتخريبهم اياها وقتلهم جرجر ملكهم وما نقلهم الله من اموالهم وبناتهم ما هو كله مذكور مشهور . وانساح المسلمون في البسائط بالاضارات ووقع بينهم

وبين البربر اهل الضواحي زخوف وقتل وسي ؛ ثم لاذ الافرنج بالسلم
وشرطوا لابن ابي سرح ثلثائة قنطار من الذهب على ان يرحل عنهم
بالعرب ، ويخرج من بلدهم ، فقبل ورجع المسلمون الى المشرق .

خلافة امير المؤمنين سيدنا علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه

وفي الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة (٣٥) خمس وثلاثين
استشهد سيدنا عثمان بن عفان وبويع لسيدنا علي بن ابي طالب واسمه
عبد مناف بن عبد المطلب جد النبي (صلى الله عليه وسلم) واسمه
شيبة يلتقي نسبه مع نسب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في عبد
المطلب ، واقام اربع سنين وتسعة اشهر ، وتوفي ليلة الجمعة سابع عشر
رمضان سنة اربعين ، ودفن بالكوفة .

خلافة امير المؤمنين سيدنا الحسن بن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه

امير المؤمنين سيدنا الحسن بن سيدنا علي بن ابي طالب بن عبد
المطلب بن هاشم ، وامه سيدتنا (فاطمة الزهراء) رضي الله عنها
بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ورضي عنهم . بويع له يوم

مات أبوه ، وأقام ستة أشهر ونزل رضي الله عنه عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه في ربيع الأول سنة (٤١) إحدى وأربعين ففیه تصدیق لقوله صلى الله عليه وسلم : « ان ابني هذا سيد » ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » . وبأربع معاوية وبأربعه أيضاً الصحابة وبقية الناس ، واجمعوا على صحة هذا النزول وصحة البيعة ، وسموا عامهم ذلك عام الجماعة . وتسلم معاوية الخلافة في ربيع الأول سنة (٤١) إحدى وأربعين ، ومات الحسن رضي الله عنه سنة خمسين ، ودفن بالقيع .

دولة بني أمية

كانت بالشام ، وعدة الخلفاء منهم أربعة عشر نفراً ، وكانت عملهم بصر وغيرها ومدتهم اثنتان وتسعون سنة ، وأولهم معاوية رضي الله عنه

خلافة أمير المؤمنين سيدنا معاوية

رضي الله عنه

ابن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف يلتقي نسبه مع نسب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في عبد مناف . ولد رضي

الله عنه قبل الهجرة بسبع سنين ويودع له في خمسة وعشرين من شهر ربيع الاول سنة (٤١) احدى واربعين بيت المقدس .

ولاية عقبة بن نافع طرابلس وافريقية

وكان عمرو بن العاص على مصر فولى سنة (٤١) احدى واربعين من قبله على طرابلس وافريقية (عقبة) بن نافع بن عبد القيس الفهري ، وهو ابن خالته ، فانتهى الى لواته ومزاته ببرقة فأطاعوه ثم كفروا فغزاهم وقتل وسبى . ثم فتح سنة (٤٢) اثنتين واربعين بعدها (غدامس)^(١) من عمل طرابلس وقتل وسبى . وافتتح سنة (٤٣) ثلاث واربعين بعدها بلد (ودان) واتخذ في تلك النواحي ، وكان له فيها جهاد وفتوح ، واقام ببرقة وزويلة من عمل طرابلس . وقال ابن الاثير في الكامل : « كان هرقل ملك القسطنطينية يؤدي اليه كل ملك من ملوك النصارى الخراج من مصر وافريقية والاندلس وغير ذلك ، فلما صالح أهل افريقية عبد الله بن سعد ؛ ارسل هرقل الى اهله بطريقاً له ، وأمره ان يأخذ منهم مثل ما اخذ المسلمون ، فنزل البعريق في قرطاجنة وجمع أهل افريقية واخبرهم بما أمره الملك فأبوا عليه وقالوا : نحن تؤدي ما كان يؤخذ منا للمسلمين وقد كان يذهبني انه ان يسامحنا لما ناله المسلمون

(١) بضم العين وفتح الذال المعجمة وكسر الميم .

منا . وكان قد قام بأمر افريقية بعد قتل جرجير رجل آخر من الروم فطرد البطريق بعد فتن كثيرة . فسار الى الشام وبه معاوية فوصف له امر افريقية وطلب ان يرسل معه جيشاً فشرح معه معاوية ابن ابي سفيان معاوية بن حديج ^(١) السكوني . فلما وصلوا الى الاسكندرية هلك البطريق ومضى ابن حديج فوصل الى افريقية وهي نار تضطرم وكان معه عسكر عظيم فنزل عند (قمونه) . وارسل الرومي اليه ثلاثين الف مقاتل ، فلما سمع بهم معاوية سير اليهم جيشاً من المسلمين فقاتلهم فانهمزمت الروم وحصر حصن (جلولا) فلم يقدر عليه فانهم سور الحصن فملكه المسلمون وغنموا ما فيه ، وبث السرايا فسكن الناس واطاعوا وعاد الى مصر .

وفي سنة (٥٠) خمسين اقتطع معاوية افريقية عن معاوية بن حديج بمصر ، وولى عقبة بن نافع الفهري ، وكان مقيماً ببرقة وزويلة كما ذكر ، وبعث اليه عشرة آلاف فارس فدخل افريقية ، وانضاف اليه مسلمو البربر ، فكبر جمعه ووضع السيف في اهل البلاد لانهم كانوا اذا جاءت عساكر المسلمين اسلموا فاذا رجعت عنهم ارتدوا . فرأى ان يتخذ مدينة يتعصم بها العساكر من البربر ، فاخبط القيروان ^(٢) وبنى بها المسجد الجامع وبنى الناس مساكنهم ومساجدهم

(١) بقم الحاء وفتح الدال المهملتين وآخره جيم .

(٢) اختلف في لغة العرب في لفظة القيروان . فقيل هي موضع اجتماع الناس اعني الجيش . وقيل : محط ائقال الجيش . وقيل هي الجيش نفسه . والمعنى متقارب . ٥١ : معالم الايمان .

وأكملت في خمس سنين ، وكان يفرض ويبيع السرايا للاغارة والنهب ،
ودخل كثير من البربر في الاسلام ، واتسعت خطة المسلمين ورسخ
الدين ، وتفرق امر الافرنج وصاروا الى الحصون ، وبقي البربر
بضواحيهم .

وقد ترجم له الامام السيوطي في حسن المحاضرة بقوله : « عقبة
ابن نافع القهري امير المغرب قال في التجريد ولد على عهد رسول
الله (صلى الله عليه وسلم) ولا تصح له صحبة .

وقد ذكره ابن الربيع فيمن شهد فتح مصر من الصحابة ولا يعرف
له حديث » .

وقال الذهبي ايضاً : « عقبة بن رافع وقيل ابن نافع بن عبد القيس
ابن لقيط القرشي القهري الامير شهد فتح مصر وولي امرة المغرب
واستشهد بافريقية » .

قال ابن كثير : اختط القيروان ولم يزل بها الى سنة (٦٢) اثنتين
وستين فغزا قوماً من البربر فقتل شهيداً . قال ابن عبد الحكيم :
حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا الليث بن سعد : ان عقبة بن
نافع غزا افريقية فأتى وادي القيروان فبات عليه هو واصحابه حتى
اذا أصبح ، وقف على رأس الوادي فقال « يا اهل الوادي ، اظعنوا !
فإننا نازلون » . قال ذلك ثلاث مرات (١) فجعلت الحيات تنساب

(١) روى عبد الله بن رهب عن ابي لهبة ان عقبة قال ايضاً (وانا من
وجدناه قتلناه) ٨١ : معالم .

والمقارب وغيرها مما لا يعرف من الدواب تخرج ذاهبة وهم قيام ينظرون اليها من حين اصبحوا حتى اوجعتهم الشمس ، وحتى لم يروا منها شيئاً فزلوا الوادي عند ذلك . قال في معالم الايمان « ذكره غيره بابسط من هذا وهو ان السبع يخرج اليهم من الغيظة وهو يحمل اشياءه ، والذئب يحمل اجراءه ، والحية تحمل اولادها ، والمقارب تذب ذبيبا هاربة سمعا وطاعة لرب العالمين .

ونادى عقبة في عسكره : كفوا عنهم حتى يرحلوا عنا . ! فأقام عقبة ثلاثة ايام كل يوم ينادي باعلى صوته (يا اهل الوادي قد اجلناكم ثلاثة ايام) وروى الليث بن سعد أن عقبة بن عامر الجهني هو الذي فعل هذا .

وروى ابو العرب احمد بن قسيم عن احمد بن ابي سليمان عن عبد الله بن طبيعة مثله . عن عبد الله بن وهب عن الليث بن سعد مثله . وروى عيسى بن محمد بن ابي المهاجر عن عبد الله بن وهب عن عبد الله بن طبيعة مثله .

والصحيح . ! ان الذي دعا على وادي القيروان عقبة بن نافع الفهري . انتهى

قال الليث : فحدثني زياد بن عجلان ان اهل افريقية اقاموا بعد ذلك اربعين سنة ولو التمسيت حياة او عقربا بالف دينار ما وجدت . وبقي بها الى سنة خمس وخمسين ، وكان مقبلا ببرقة وزويلة من عمل طرابلس . ثم استعمل معاوية على مصر

وافريقية مسلمة بن مخلد الانصاري واستعمل على افريقية مولاه ابا المهاجر فاساء عزل عقبة واستخف به ، وجاء عقبة الى الشام فاعتذر اليه معاوية ووعدته بعمله .

ولاية رويفع بن ثابت

ثم ولي مسلمة بن مخلد الانصاري رويفع بن ثابت بن السكن النجاري الانصاري نزل مصر على طرابلس . قال ابن يونس : توفي ببرقة وهو امير عليها من قبل مسلمة بن مخلد سنة (٥٦) ست وخمسين وقبره مشهور بالجليل الاخضر^(١) . وقال في التجريد : يعد في المصريين ، له صحبة ورواية ، روى عنه جماعة . وقال ابن الربيع : شهد فتح مصر واختط بها ، ولأهل مصر عنه نحو عشرة احاديث^(٢) .

خلافة يزيد بن معاوية

وفي شهر رجب سنة (٦٠) ستين توفي معاوية بن ابي سفيان

(١) قال متصفحه : قد زرتہ رضي الله عنه سنة ١٢٧٣ وعلى قبره من الهبة ما هو امله .

(٢) قال متصفحه : وروى عنه الترمذي في جامع حديث النبي عن وطاء الحباب . حدث به لما فتح جربة الجزيرة الشهورة .

ودفن بدمشق وبويع ليزيد بن معاوية يوم مات أبوه . ولما استقل يزيد بالخلافة رجع عقبة بن نافع الى افريقية سنة (٦٢) اثنتين وستين فدخل افريقية وقد نشأت الردة في البرابرة ، فزحف اليهم وجعل في مقدمته زهير بن قيس البلوي ، ثم استخلفه على القيروان واستفتح الحصون الافريقية ، ولقبه ملوك البربر بالزاب ففضهم جميعا بعد جمع ، ودخل المغرب الأقصى واثخن فيهم حتى حملهم على طاعة الاسلام ، ودوخ بلادهم . ثم اجاز الى بلاد السوس لقتال من بها من صنهجة ، وهم يومئذ على دين المجوسية ولم يدينوا بالنصرانية ، فاثخن فيهم وقفل راجعاً . فلما قفل من السوس سرح العساكر الى القيروان حتى بقي في خف من الجنود ، فانتهر كسيلة الاوربي وقومه الفرصة فيه فاعترضوا له في (تهود) وقتلوه في ثلثائة من كبار الصحابة والتابعين واستشهدوا كلهم . واسر في تلك الوقعة محمد بن اوس الانصاري في نفر فخلصهم صاحب قفصة ، وبعث بهم الى القيروان مع من كان بها في المخلفين . ثم اعتزم (زهير بن قيس) على القتال وخالفه (حنش بن عبد الله الصنعاني) ، وارتحل الى مصر واتبعه الناس ، فاضطر (زهير) الى الخروج معهم ، وانتهى الى برقة فأقام بها مرابطاً . واستأمن من كان بالقيروان الى كسيلة ملك اوروبة والبرانس من البربر فأمنهم ودخل القيروان وأقاموا في عهده . وملك كسيلة افريقية خمس سنين ونزل القيروان واعطى الأمان لمن بقي بها ممن تخلف من العرب اهل الدراري والاثقال وعظم سلطانه على البربر .

(١) قال متصفحه : هو احد الاحناش الاربعة الذين رووا عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه .

وذكر الواقدي ان عقبة ولي افريقية سنة (٤٦) ست واربعين
فاختط القيروان ثم عزله يزيد بابي المهاجر سنة (٦٢) اثنتين وستين ،
فحينئذ قبض على عقبة وضيق عليه ، فكتب اليه يزيد ببعثه اليه
واعاده والياً على افريقية ، فحبس ابا المهاجر الى ان قتلهم جميعاً
كسيلة المذكور في (تهود) من ارض الزاب . قال ابن خلدون :
واجداث الصحابة رضي الله عنهم اولئك الشهداء اعني (عقبة)
 واصحابه بكانهم من ارض الزاب لهذا العهد . وقد جعل على قبورهم
اسنة ، ثم جُصِصت واتخذ على المكان مسجد عرف باسم (عقبة) وهو
في عدد المزارات ، ومظان البركات . بل هو أشرف مَزُور من
الاجداث في بقاع الارض لما توفر فيه من عدد الشهداء من الصحابة
والتابعين الذين لا يبلغ احد مد احدهم ولا نصيفه .

ذكر من دخل افريقية من الصحابة

رضي الله عنهم

تبعاً بسردهم ، واعظماً لمقدمهم ، ملخصاً من كتاب (الاستقصاء)
مرتبة اسماؤهم على حروف المعجم .

« بلال » بن حارث بن عاصم المزني ابو عبد الرحمن . « جرهد »
ابن خويلد الأسدي ، او الاسلمي . « جبلة » بن عمرو بن ثعلبة بن
أسد الانصاري أخو ابي مسعود البديري . « الحسنان » رضي الله

عنها على ما ذكره ابن خلدون وهما سيدا شباب اهل الجنة
وريجانتسا « الرسول صلى الله عليه وسلم » . « الحرث » بن حبيب
ابن خزيمة القرشي العامري . « حمزة » بن عمرو الاسلمي « حبان »
- بكسر الحاء وموحدة - ابن ابي جبلة . « خالد » بن ثابت
العجلاني الفهمي . « ربيعة » بن عباد الديلي . « رويقع » بن
ثابت بن السكن الانصاري ثم النجاري . « زهير » بن قيس
البلوي ابو شداد . « سفيان » بن وهب الخولاني أبو أيمن
« سلكان » بن مالك . « سلمة » بن الاكوع الاسلمي الصحابي
المشهور . ومنهم العبادلة الاربعة رضي الله عنهم : « عبد الله »
ابن عباس ، « عبد الله » بن عمر بن الخطاب ، « عبد الله » بن
الزبير بن العوام ، « عبد الله » بن جعفر بن ابي طالب ، فهؤلاء
العبادلة الاربعة . « عبد الله » بن سعد بن ابي سرح . « عبد الله »
ابن عمرو بن العاص . « عبد الرحمن » بن العباس بن عبد المطلب .
« عبيد الله » بن عمر بن الخطاب . « عاصم » بن عمر بن
الخطاب . « عبد الله » بن نافع بن الحصين . « عقبة » بن نافع
الفهري الامير المشهور . « عثمان » بن عوف المزني على خلاف فيه .
« مروان » بن الحكم بن ابي العاص الاموي . « مسعود » بن
الاسود البلوي وقيل العدوي . « المسيب » بن حزن بن ابي وهب
المخزومي والد سعيد بن المسيب . « المطلب » بن ابي وداعة
القرشي السهمي . « معاوية » بن حديج السكوني . « معبد »
ابن العباس بن عبد المطلب . « المقداد » بن الأسود الكندي -
وليس الأسود أباه وانما تبناه الاسود بن عبد يغوث وهو صغير
فعرف به - وانما اسم أبيه عمر بن ثعلبة الكندي . « المنذر »

الاسلمي ، ابو ذؤيب الهذلي الشاعر المشهور واسمه « خويلد »
ابن خالد . ابو رمثة البلوي قيل اسمه « رفاعة » بن يثربي
وقيل بالعكس . ومنهم ابو زمعة البلوي ، قال الذهبي : اسمه
« عبد » وقيل « عبيد » بن أرقم . أبو ضبيس البلوي ، ابو المبتذل
« خلف » وقيل ابو المنذر كذا في التجريد وغير هؤلاء ممن لم
يحضرنا ذكرهم .

اخرج « ابن عبد الحكم » عن سليمان بن يسار قال : غزونا
« افريقية » مع ابن حديج ومعنا بشر كثير من اصحاب « رسول
الله صلى الله عليه وسلم » من المهاجرين والانصار . اهـ

رضي الله عنهم ونفعنا بهم وحشرنا في زمريهم آمين آمين .



خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية

وفي الرابع عشر من شهر ربيع الاولى سنة (٦٤) اربع وستين
توفي يزيد بن معاوية وبويع لابنه معاوية الاصغر بن يزيد واقال
نفسه بعد ثلاثة اشهر وقيل اربعين يوما ثم مات بعد اربعين يوما
ودفن بدمشق .

خلافة امير المؤمنين سيدنا عبد الله

بن الزبير

وبويـع الأمير المؤمنين سيدنا عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي ، يلتقي نسبه مع النبي (صلى الله عليه وسلم) في قصي . وأم ابن الزبير اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنه . ولد ابن الزبير في السنة الاولى من الهجرة وهو أول مولود ولد للمهاجرين وأول شيء دخل جوفه ريق النبي (صلى الله عليه وسلم) لما حنكه . وبويـع له بمكة تاسع يوم من شهر رجب سنة (٦٤) اربع وستين^(١) .

خلافة مروان بن الحكم بن ابي العاص

بن أمية

وبويـع لمروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف سنة (٦٤) اربع وستين بالشام وكان كرسي ملكه ومُلك بنيـه الشام . ثم توفي لعشرة اشهر من خلافته .

(١) قال الامام مالك رضي الله عنه : هو اولي بالخلافة من عبد الملك رايـه مروان . قاله متصفحه .

خلافة عبد الملك بن مروان

بويج لعبد الملك بن مروان يوم مات ابوه ، وبعث الى (زهير) ابن قيس بمكانه من (برقة) المدد وولاه حرب البرابرة للثأر بدم عقبة بن نافع .

فزحف سنة (٦٧) سبع وستين ودخل افريقية وجمع له (كسيلة) ساير البربر ولقيه بجيش من نواحي القيروان ، فاشتد القتال بين الفريقين ثم انهزم البربر وقتل كسيلة ومن لا يحصى منهم واتبعهم الى الغرب الى (ملويه) .

وفي هذه الوقعة ذل البربر وفنيت رجالهم وخضدت شوكتهم واضمحل امر الافرنج فلم يعودوا . وخاف البربر من (زهير) بن قيس ومن العرب خوفاً شديداً فلحقوا بالقلاع والحصون . ثم ذهب زهير بعد تلك المحاربة وقفل الى المشرق زاهداً في الملك وقال : « انما جئت للجهاد واخاف ان تميل نفسي الى الدنيا » . وسار الى مصر واعترضه بسواحل (برقة) اسطول صاحب القسطنطينية . جاؤوا لقتاله فقاتلهم ، واستشهد رحمه الله تعالى ودفن ببلد (درنه) من برقة . وقبره لدى أهلها مشهور يتبركون به ولا يختلفون فيه .

وترجم له الامام السيوطي في المحاضرة بقوله « زهير بن قيس ابو

شداد . قال ابن يونس : يقال له صحبة ، شهد فتح مصر . قال في
التجريد : يابغ . وحديثه في الأذان في جامع الترمذي « انتهى .

ثم بعد استشهاده ببرقة اضطربت افريقية ناراً وافترق امر البربر
وتعدد سلطانهم في رؤسائهم ، وكان من اعظمهم شأناً الكاهنة (داهيا)
الزناتية ثم الجراوية بنت ماتيا بن تيفان ملكة جبل اوراس . فبعث
عبد الملك الى (حسان) بن النعمان الغساني عامله في مصر ان يخرج
الى جهاد افريقية ، وبعث اليه بالمدد فزحف اليه سنة (٧٩) تسع
وسبعين ودخل القيروان وغزا قرطاجنة وفتحها عنوة ، وذهب من كان
بقي بها من الافرنج الى صقلية والى الاندلس .

ثم سأل عن اعظم ملوك البربر فدلوه على الكاهنة وقومها ،
فمضى اليها حتى وصل الى (وادي مسكيانه) وزحفت اليه فاقتتلوا
قتالاً شديداً ، ثم انهزم المسلمون وقتل منهم خلق كثير واسر خالد
ابن يزيد القيسي .

ولم تزل الكاهنة والبربر في اتباع حسان والعرب حتى اخرجوهم
من عمل قابس ، ولحق حسان بعمل طرابلس ، ولقيه (كتاب
عبد الملك بن مروان) بالمقام ، فاقام وبني قصوره بمسراته وتعرف
بهذا العهد .

ثم رجعت الكاهنة الى مكانها واتخذت عهداً عند اسيرها خالد
بالرضاع مع ابنتها ، واقامت في سلطان افريقية والبربر خمس سنين .

ثم بعث عبد الملك الى حسان بالمدة فرجع الى افريقية سنة (٨٤) اربع وثمانين وخربت الكاهنة جميع المدن والضياع ، وكانت من طرابلس الى طنجة ظلا واحدا في قرى متصلة ؛ وشق ذلك على البربر فاستأمنوا لحسان ، ووجد السبيل الى تفريق امرها وزحف اليها وهي في جموعها من البربر فانهزموا وقتلت الكاهنة واستأمن اليه البربر على الاسلام والطاعة ، وعلى ان يكون منهم اثنا عشر الفا مجاهدين معه . فاجابوا واسلموا وحسن اسلامهم . وعقد للأكبر من اولاد الكاهنة على قومهم من جراوة^{١١} .

وانصرف حسان الى القيروان فدون الدواوين وكتب الخراج على عموم افريقية ومن اقام معهم على النصرانية من البربر ، ورجع الى عبد الملك واستخلف على افريقية رجلا اسمه (صالح) من جنده ، فاختلف ايدي البربر فيما بينهم على افريقية والمغرب فخلت اكثر البلاد .

خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان

وفي سنة (٨٦) ست وثمانين توفي عبد الملك بن مروان وبويع

(١) قال متصفحه : وعلى ذكر جراوة فاني قرأت في تاريخ ابن خلكان في ترجمة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بن علي القيسي انه سأل عنم بالباب . فقيل : الطبيب الغاري ، والشاعر الجراوي . فقال من عجائب الدنيا طبيب ثماري ، وشاعر جراوي . فسمعا الجراوي فدخل وهو يقول (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه) اعجب منها خليفة من كوميه . الخ .

لابنه الوليد بعهد ابيه . وكان (فتح الاندلس) في خلافة الوليد . وفتح في مدته كثيراً من الفتوحات . وعمر في مدته مسجد (النبي صلى الله عليه وسلم) مسجد بيت المقدس .

وفي سنة (٨٨) ثمان وثمانين ولى الوليد بن عبد الملك (موسى بن نصير) مولى عمه عبد العزيز على افريقية وما خلفها ؛ فخرج في نفر قليل من المطوعة فيهم (سيدي المنذر) الصحابي ، فلما ورد الى مصر اخرج معه من جندها بعثا وقدم القيروان ، ورأى ما فيها من الخلاف فأتى في البربر ودوخ المغرب . وادى اليه البربر الطاعة وولى على طنجة (طارق بن زياد) وانزل معه سبعة وعشرين ألفاً من العرب واثنى عشر ألفاً من البربر ، وامرهم ان يعلموا البربر « القرآن العظيم » ، والفقه « واجاز البلاد والبحر الى بلاد الاندلس وفتحها سنة (٩٢) اثنتين وتسعين ، واجاز موسى بن نصير على اثره فأكمل فتحها .

ولاية بكر بن عيسى القيسي

في خلال سنة (٩٦) ست وتسعين ولى على طرابلس الغرب بكر ابن عيسى القيسي وارتحل موسى بن نصير الى المشرق واستخلف على افريقية ابنه عبد الله وعلى الاندلس عبد العزيز .

ذكر المنبذر الصحابي رضي الله عنه

وقفل المنبذر الصحابي رضي الله عنه من الاندلس الى طرابلس الغرب وتوفي بها وقبره لدى اهلها مشهور يتبركون به ولا يختلفون فيه .

وقد ترجم له الاستاذ العلامة احمد المقرئ في كتابه (نفح الطيب) بقوله « فمن الداخلين الى الاندلس المنبذر الصحابي الذي يقال إنه رأى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . »

قال ابن الأثير في التكملة : المنبذر الافريقي له صحبة ، وسكن افريقية ودخل الاندلس فيما ذكره عبد الملك بن حبيب قاله ابو محمد الرشاطي . ولم يذكره احد غيره روى عنه ابو عبد الرحمن الحلي انتهى .

وانكر غير واحد دخول احد من الصحابة الاندلس وذكر بعض الحفاظ المنبذر المذكور . وقال ، انه المنبذر الباني .

وذكر الحجاري انه من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وانه دخل الاندلس مع موسى بن نصير غازياً . ا هـ . وقال ابن بشكوال : يقال فيه المنبذر لكونه من احداث الصحابة رضي الله عنهم وقد حكى ذلك الرازي . ا هـ

وذكره ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب في الصحابة وسماه
بالمُنذر الأفرقي . وقال ابن بشكوال : ان ابن عبد البر روى عنه
حديثاً واحداً سمعه من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

وذكره ابو علي ابن السكن في كتاب الصحابة وقال روى عنه
حديثاً واحداً وارجو ان يكون صحيحاً . اهـ

وذكره ابن قانع في معجم الصحابة له . وذكره البخاري في تاريخه
الكبير اذ قال : ابو المنذر صاحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
وكان قد حدث بافرقية عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ،
قال « من قال رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد (صلى
الله عليه وسلم) نبياً ، فانا الزعيم لأخذن بيده فأدخله الجنة » .
كذا ذكره البخاري بالكسبة . وهذا الحديث هو الذي روى عنه
لا يعرف له غيره . وذكره ابو جعفر احمد بن رشد في كتاب
(مسند الصحابة) له فقال : « المنذر البجلي اما من مذبح او غيرها
وذكر الحديث سوى . » انتهى .

وقد وجد منقوشاً على قبر عتيق بقبرة لهذا الصحابي الجليل هذان
البيتان احببت ذكرهما وهما :

هي في جوارك يا منذر فاحمها
ومن المروءة ان يعز الجار
حاشا لفضلك يا رفيق محمد
من ان تمس مجاوريك النار

خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان

وفي نصف جماد الآخر سنة (٩٦) ست وتسعين توفي الوليد ابن عبد الملك بن مروان ودفن بدمشق ، وبويع لاخته سليمان يوم مات الوليد بعهد من ابيها عبد الملك لانه اوصى ان الخليفة بعده الوليد ثم سليمان .

وفي سنة (٩٧) سبع وتسعين عزل سليمان بن عبد الملك هذا موسى بن نصير عن افريقية وولى مكانه (محمد بن يزيد القرشي) واوصى بالخلافة بعده لابن عمه (عمر بن عبد العزيز) واقام سنتين وثمانية اشهر وتوفي في شهر صفر سنة (٩٩) تسع وتسعين .

خلافة عمر بن عبد العزيز بن مروان

بن الحكم

بويع لعمر بن عبد العزيز بالخلافة يوم مات ابن عمه سليمان ابن عبد الملك بعهد منه ، واظهر العدل . وألحقه العلماء بالخلفاء الراشدين وعدّوه منهم رضي الله عنه ، وعزل محمد بن يزيد القرشي عن افريقية وولى مكانه (اسماعيل بن عبد الله مولى بني مخزوم) وعلى الاندلس (السمح بن مالك الخولاني) واقام عمر بن عبد

العزیز سنتین وخمسة اشهر وتوفي في شهر رجب سنة (١٠١) احدى ومائة ودفن بدير سمعان بارض حمص وقبره يزار .

خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان

ولي يزيد بن عبد الملك الخلافة يوم مات عمر بن عبد العزيز ابن عمه بعهد من سليمان بن عبد الملك ، فانه عهد بالامر لعمر بن عبد العزيز ثم من بعده ليزيد بن عبد الملك تطيباً لقلوب بني عبد الملك ولو لم يفعل ذلك ما امضوا خلافة عمر بن عبد العزيز .

وفي هذه السنة عزل اسماعيل بن عبد الله عن افريقية وولاهها (يزيد بن ابي مسلم) كاتب الحجاج واساء السيرة في البربر ووضع الجزية على من اسلم من اهل الذمة منهم تأسيماً بما فعله الحجاج بالعراق . فقتله البربر لشهرين من ولايته ورجعوا الى (محمد بن يزيد القرشي) ، الذي كان عندهم قبل اسماعيل بن ابي المهاجر ، وكتبوا الى يزيد بن عبد الملك بالطاعة والعذر عن قتل عاملهم يزيد بن ابي مسلم ، فأجابهم بالرضا واقر محمد بن ابي يزيد القرشي على عمله .

ثم ولي يزيد على افريقية (بشر بن صفوان الكلبي) فقدمها سنة ثلاثة ومائة وسكن ارجاءها واقام يزيد بن عبد الملك بن مروان اربعم سنين وشهراً وتوفي بنجران في شهر شعبان سنة (١٠٥) خمس ومائة .

خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان

ولي هشام بن عبد الملك الخلافة يوم مات اخوه يزيد بن عبد الملك بعهد منه اليه . وكان عمره لما ولي الخلافة اربعاً وثلاثين سنة وشهراً وكان هشام بالرصافة لما مات يزيد بن عبد الملك في دويرة له صغيرة ، فجاءته الخلافة على البريد فركب من الرصافة وسار الى دمشق .

وكان هشام هذا حازماً شديد الرأي غزير العقل عالماً بالسياسة ، ويقال ان فحول ملوك بني امية « معاوية » وعبد الملك بن مروان ، وهشام بن عبد الملك » .

وفي سنة (١٠٩) تسع ومائة مات عامل القيروان بشر بن صفوان فولى هشام مكانه (عبيدة بن عبد الرحمن بن الأغر السلمي) فعزل عبيدة يحيى بن سلمة الكلبي عن الاندلس واستعمل (حذيفة ابن الاحوص الاسجعي) ثم عزل لسنة اشهر ووليها (عثمان بن ابي تسعة الحثعمي) .

وفي سنة (١١٠) عشر ومائة عزل عبيدة بن عبد الرحمن عامل افريقية عثمان بن ابي تسعة عن الاندلس وولى مكانه (الهيثم بن عبيدة الكناني) .

وفي سنة (١١٢) اثنتي عشرة ومائة مات الهيثم عامل الاندلس وولوا على انفسهم مكانه (محمد بن عبد الله الاسجعي) شهرين وبعده (عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي) من قبل عبيدة بن عبد الرحمن عامل افريقية . وغزا افرنجة فاستشهد فولى عبيدة مكانه (عبد الملك بن قطن الفهري) ثم عزل هشام بن عبد الملك عبيدة بن عبد الرحمن السلمي وولى مكانه (عبد الله بن الحباب) مولى بني سلول وكان والياً على مصر فأمره ان يتضي الى افريقية واستخلف على مصر ابنه (ابا القاسم) وسار الى افريقية فقدمها سنة اربع عشرة ومائة .

وبعث الى طنجة ابنه (اسماعيل) وجعل معه (عمر بن عبد الله المردي) وبعث على الاندلس (عقبة بن حجاج القيسي) وبعث (حبيب بن عبيدة بن عقبة بن نافع) غازياً الى المغرب فبلغ السوس الاقصى واراض السودان واصاب من مغنم الذهب والفضة والسبي كثيراً ، ودوخ بلاد المغرب وقبائل البربر ورجع .

ثم اغزاه ثانية في البحر الى (صقلية) سنة ثنتين وعشرين ومائة ومعه عبد الرحمن بن حبيب فنازل (سرقوسة) اعظم مدائن صقلية وضرب عليهم الجزية واثخن في سائر الجزيرة . وكان (اسماعيل بن عبد الله بن الحباب) بطنجة قد اساء السيرة في البربر واراد ان يخمس من اسلم منهم ، وزعم انه القيء فاجمعوا على الانتقاض . وبلغهم مسير العساكر مع حبيب بن ابي عبيدة الى صقلية فسار (ميسرة المظفري) بدعوة الصفرية من الخوارج وزحف الى طنجة ، فقتل اسماعيل بن عبد الله بن الحباب وملكها ، واتبعه البربر وبايعوه بالخلافة . ثم ساءت

سيرته فنقم عليه البربر ما جاء به فقتلوه ، وقدموا على انفسهم (خالد ابن حميد الزناتي) فقام بأمرهم وزحف الى العرب ، وشرح اليه عبد الله ابن الحجاب العساكر في مقدمته ومعهم (خالد ابن ابي حبيب) فالتقوا (بوادي شلف) وانهزم العرب ، وقتل خالد بن ابي حبيب ومن معه ، وانتقضت البلاد ومرج امر الناس وتوفي عقبة بن الحجاج امير الاندلس وولى مكانه (عبد الملك بن قطن) ولايته الثانية .

ولما انتهى الخبر الى هشام بن عبد الملك بهزيمة العساكر بالمغرب استنقص ابن الحباب وكتب اليه يستقدمه وولى على افريقية (كلثوم ابن عياض القشيري) في اثني عشر الفا من اهل الشام وكتب الى ثغور (مصر) و (برقة) و (طرابلس) ان يدوه فخرج الى افريقية والمغرب حتى بلغ (وادي طنجة) فزحف اليه خالد بن حميد الزناتي فيمن معه من البربر وكانوا خلقا لا تحصى ولقوا كلثوم بن عياض من بعد ان هزموا مقدمته ، فاشتد القتال بينهم وقتل كلثوم واخرمت العساكر ، فمضى اهل الشام الى الاندلس مع (فلح بن بشير القشير) وتغلب فلح على الاندلس ومضى اهل مصر وافريقية الى القيروان ثم مات وولى (ثعلبة بن خزامة بن سلامة الجوالي) بعده .

وبلغ الخبر الى هشام بن عبد الملك فبعث (حنظلة بن سفيان الكلبي) وامره ان يولي (ابا الخطار حسام بن ضرار الكلبي) على الاندلس فولاه وقدم حنظلة القيروان سنة (١٢٤) اربع وعشرين ومائة ، و (هواره) يومئذ خوارج على الدولة منهم (عكاشة بن ايوب) و (عبد الواحد بن يزيد) في قومها فثارت

هواره ومن تبعهم من البربر ، فهزمهم حنظلة وظاهر القيروان
بعد قتال شديد وقتل عبد الواحد الهواري واذا عكاشة أسيراً
وأحصي القتلى في هذه الواقعة فكانوا مائة وثمانين ألفاً وكتب حنظلة
بذلك الى هشام .

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك

بن مروان

توفي هشام بن عبد الملك بالرصافة لسته خلون من شهر ربيع
الآخر سنة (١٢٥) خمس وعشرين ومائة لتسع عشرة سنة وتسعة
أشهر من خلافته ، وولي الخلافة بعده الوليد بن يزيد بن عبد بن
مروان بعد وفاة عمه هشام بعهد من أبيه يزيد .

خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك

وفي سنة (١٢٦) ست وعشرين ومائة قتل الوليد . قتله يزيد
ابن الوليد بن عبد الملك الذي يقال له (يزيد الناقص) وكان مقتله
في شهر جماد الثاني من هذه السنة بسبب كثرة مجونه ولهوه وشربه
الخمر ومناداة الفساق فقتل ذلك على الرعية والجند .

واستقر يزيد الناقص في الخلافة لليلتين بقين من شهر جماد

الثاني سنة (١٢٦) ست وعشرين ومائة وسُمي (يزيد الناقص) لأنه نقص الزيادة التي زادها الوليد في أعطيات الناس وقرّره على ما كانوا عليه أيام هشام .

وفيهما أجاز البحر (عبد الرحمن بن حبيب) من الأندلس الى أفريقية فملكها ، وغدا (حنظلة) عليها . وانتقض البربر من أطراف البقاع وتواثبوا من كل مكان داعين الى بدعتهم .

وتوفي يزيد الناقص لعشر بقين من ذي الحجة من السنة المذكورة لسته أشهر من خلافته .

خلافة ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك

ولي ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك الخلافة يوم مات أخوه يزيد وأقام سبعين يوما وأقال نفسه في شهر صفر سنة (١٢٧) سبع وعشرين ومائة .

خلافة مروان بن محمد بن مروان الأول

بويح لمروان بن محمد بن مروان الأول بالخلافة يوم أقالة ابراهيم بن الوليد بعد قتال وفتنة هائلة ، كان فيها تفرق كلمة

بني مروان . وكان حينئذ (بكر بن عيسى القيسي) واليا بطرابلس .

استيلاء عبد الجبار

وفي هذه السنة ثار بطرابلس رجлан اسمها (عبد الجبار) و (الحرث) من هوارة وكانا يدينان بمذهب الإباضية^(١) من الخوارج فقتلا عامل طرابلس (بكر بن عيسى القيسي) لما خرج اليهم يدعوهن الى الصلح ، واستولى عبد الجبار على طرابلس وبقي الامر على ذلك مدة . وفيها استقل (عبد الرحمن بن حبيب بن عبيدة بن نافع) بملك افريقية فكتب له مروان بن محمد بن مروان بولايتها وولي (يوسف بن عبد الرحمن الفهري) على الاندلس بعد (ابي الخطار حسام بن ضرار الكلبي) سنة (١٢٩) ثع وعشرين ومائة .

ولاية حبيب بن عبد الرحمن

وفي سنة (١٣١) احدى وثلاثين ومائة زحف عبد الرحمن ابن حبيب بن ابي عبيدة بن عقبة بن نافع الى عبد الجبار بطرابلس فظفر به وقتله وتبوأ البلد وعمر سورها سنة (١٣٢) اثنتين

(١) قال متصفحه : الإباضية هم أخف الخوارج بدعة :

وثلاثين ومائة ، واستعمل عليها حبيب بن عبد الرحمن وانتقل راجعاً الى القيروان .

ثم خفت الخلافة بالمشرق والتأب امرها لما كان بين بني امية من الفتنة وما كان من امر الشيعة والخوارج مع مروان بن محمد بن مروان ، وافضى الامر الى ادالة (بني العباس) من (بني امية) وانقرض امر بني امية وعاد الامر والخلافة لبني العباس .

وقتل مروان بن محمد بن مروان في ثالث ذي الحجة سنة (١٣٢) اثنتين وثلاثين ومائة ، وجاءت الدولة العباسية ، والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده . وكانوا بالعراق وعدتهم (سبعة وثلاثون نفراً) ومدتهم (خمسمائة واربع وعشرون سنة) اولهم ابو العباس عبد الله السفاح .

- « دولة بني العباس » -

خلافة أبي العباس عبد الله السفاح

بويح بالخلافة لعبد الله السفاح بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس في الكوفة رابع عشر ربيع الاول سنة (١٣٢) اثنتين وثلاثين ومائة .

ثم لحق بالاندلس من فلّ من بني أمية من ولد هشام بن عبد الملك حاقده (عبد الرحمن بن معاوية بن هشام) فاجاز البحر ودخل الاندلس فملكها من يد يوسف بن عبد الرحمن الفهري وخطب السفاح فيها حولاً . ثم لحق به اهل بيته من اشرق فعذبوه في ذلك فقطع الدعوة عنهم وبقيت بلاد الاندلس منقطعة عن الدولة الاسلامية عن بني العباس .

واقام السفاح أربع سنين وثمانية اشهر وتوفي في المحرم سنة (١٣٦) ست وثلاثين ومائة .

خلافة أبي جعفر عبد الله المنصور

بويح لابي جعفر عبد الله المنصور بالخلافة يوم مات اخوه ابو العباس عبد الله السفاح .

وفي سنة (١٣٧) سبع وثلاثين ومائة قتل (عبد الرحمن بن حبيب بن عبيدة بن عقبة بن نافع) وتولى ابنه (حبيب) .

وفي سنة (١٤٠) مائة واربعين قتل (عبد الملك بن ابي الجعد الورقجومي) (حبيب بن عبد الرحمن) واستولت قبائل ورفجومه على افريقية، وساروا في اهل القيروان بالعسف والظلم والاساءة، وقتلوا من كان بها من قريش وربطوا دوابهم بالمسجد الجامع . واشتد البلاء على

اهل القيروان . واغترق هـل القيروان بالنواحي فراوا بانفسهم وشاع خبرهم بالآفاق . وانكرت ذلك من فعل (ورفجومه) برابر طرابلس (الاباضية) من (هواره) و (زناته) .

وفي سنة (١٤١) احدى واربعين ومائة خرج بنواحي طرابلس (عبد الاعلى) ابو الخطاب ابن عبد الرحمن بن السمح المعافري من وجوه العرب واجتمع اليه سائر البربر الذين كانوا هنالك وقصد طرابلس وملكها .

ولاية عبد الله رحيم أبي الخطاب

وفي صفر من السنة المذكورة ولى عبد الخطاب عبد الاعلى ابن السمح المعافري رحيمه عبد الله على طرابلس وزحف الى القيروان بما كان معه من البربر فخرجت عليهم ورفجومه واقتتلوا واشتد القتال فانهمز اهل القيروان الذين مع ورفجومه وخذلوهم ، وتبعهم في الهزيمة وكثر القتل فيهم ، وقتل عبد الملك الورفجومي . وتبعهم ابو الخطاب يقتلهم حتى اسرف فيهم . واستولى على القيروان واستخلف عليه (عبد الرحمن بن رسم الفارسي) وعاد الى طرابلس للقاء العاكر القادمة من ناحية (أبي جعفر المنصور) .

وكان الخليفة المنصور لما وقع بأفريقية ما وقع من الفتنة وملك قبائل ورفجومه القيروان وفد عليه رجيلات من جند افريقيا يشكون

ما نزل بهم من ورفجومه ويستصرخون . فولى على مصر (محمد بن
الاشعث الخزاعي) . فنزل مصر وبعث على افريقيا ابا الاحوص (عمر
ابن الاحوص العجلي) وسار في مقدمته فلقبه ابو الخطاب عبد الاعلى
ابن السمح المعافري بسرت ودهمه بالعساكر وهزمه . ثم سار اليه محمد
ابن الاشعث ومعه (الاغلب بن سالم بن عقالة بن خفاجة بن سواده
التميمي) فلقى ابا الخطاب بسرت ثانية . فانهمزم عبد الاعلى وقُتل
عامة اصحابه ، وذلك سنة (١٤٤) اربع واربعين ومائة .

وبلغ الخبر الى عامله عبد الرحمن بن رستم بالقيروان ففر عنها
الى تاهرت .

ولاية المخارق بن غفار الطائي

وقدم محمد بن الاشعث طرابلس ففتحها واستعمل عليها المخارق بن
غفار الطائي واقام بأمر افريقيا وضبطها ، ثم قفل محمد بن الاشعث الى
المشرق سنة (١٤٨) ثمان واربعين ومائة .

واستعمل ابو جعفر المنصور (الاغلب بن سالم بن عقالة بن خفاجة
التميمي) على افريقيا فقدم القيروان فخرج عليه (ابو قرّة اليفرني^(١))

(١) قال متصفحه : (اليفرني) بفتح الياء المثناة وسكون الفاء وضم الراء
المهذلة وكسر النون بعدها ياء .

في جموع من البربر . فهرب (الأغلب بن سالم) وخالفه الجند ، وكان (الحسن ابن حرب الكندي) بقباس فكاتب الجند وثبطهم عن الأغلب فلحقوا به واقبل بهم الى القيروان فملكها . ولحق (الأغلب بن سالم) بقباس ثم رجع الى قتال الحسن بن حرب سنة (١٥٠) خمسين ومائة فاقبلوا وهزمه ، وسار الى القيروان ففكر عليه الحسن بن حرب دونها واقتتلوا ، واصاب الأغلب بن سالم سهم فقتله . وقدم اصحابه عليهم المخارق بن غفار الطائي عامل طرابلس وحملوا على الحسن فانهزم امامهم الى تونس وقام بامر افريقيا المخارق بن غفار الطائي .

ولما بلغ ابا جعفر التصور قتل الأغلب بن سالم بعث على افريقيا مكانه (عمر بن حفص بن هزارمرد) ، فقدمها سنة (١٥١) احدى وخمسين ومائة .

ولاية الجنيد بن بشار الاسدي

وولي على طرابلس الجنيد بن بشار الاسدي واستقامت امور عمر ابن حفص ثلاث سنين . ثم ثار البربر ، واجتمع البربر (الاباضية) بضواحي طرابلس وولوا عليهم (ابا حاتم يعقوب بن حبيب الاباضي) فأمد عمر بن حفص بن هزارمرد الجنيد بن بشار عامل طرابلس بالعساكر وقاتلوا ابا حاتم ، فهزمهم وحصرهم بقباس ، وانشقت افريقيا من كل ناحية .

ثم قدم أبو حاتم إلى القيروان ، وكان بها عمر بن حفص هزارمرد
فحاصروه إلى أن أجده الحصار وخرج لقتالهم مستميتاً فقتل سنة
(١٥٤) أربع وخمسين ومائة . وولي مكانه أخوه لأمه (حميد بن
صخر) فوعدها حاتم أن يقيم دعوة العباسية بالقيروان .

ولما بلغ أبا جعفر المنصور انتفاض إفريقية على عمر بن حفص هزارمرد
وحصاره بالقيروان بعث إليه (يزيد بن حاتم بن قبيصة بن مهلب
ابن أبي صفرة) في ستين ألف مقاتل . وبلغ خبره (عمر بن حفص
هزارمرد) فحملة ذلك على الاستئانة حتى قتل كما ذكر .

وسار (يزيد بن حاتم) يؤم القيروان و (أبو حاتم يعقوب بن
حبيب) الأباضي مستول عليها . ثم سار إلى طرابلس للقاء يزيد
ابن حاتم بن قبيصة واستخلف عسلي القيروان (عبد العزيز بن
السمح المعافري) وسار يزيد بن حاتم إلى طرابلس فلحق أبو حاتم
جبل نفوسة .

ذكر جبل نفوسة

وهو قبلة طرابلس على ثلاث مراحل منها وفي طوله سبع
مراحل ويتصل به من الجانب الشرقي (جبل مسلاته) وكان
يعمره قبائل (هواره) إلى بلد (مسراته) و (برقه) وهو آخر
جبال طرابلس .

وكانت هذه الجبال مواطن (هواره ، ونفوسه ، ولواته) ثم انتقلت (هواره) بعد خراب (زويله)^(١) الى فزان واوطنوها ، وكان لهم بها ملك ودولة حتى جاء (قره قوش)^(٢) وافتتح اوصله وفزان بعدها وتقبض على عاملها (محمد بن خطاب) وعذبه الى ان مات .

وقال الاستاذ ابو سالم عبد الله بن محمد العياشي في رحلته عند ذكره لهذا الجبل : « وهذا الجبل لا نظير له في الدنيا طولا وعرضا وخصبا وماء وقرى متصلة وعمرانا متراكبا وقبائل وافرة غالبيتها بربر . اوله من البحر المحيط اطراف السوس الاقصى ثم يمتد كذلك الى ان يمر قبلي مراكش وهو المسمى (جبل درن) ثم يمتد كذلك الى بلدنا ثم الى ان يقارب البحر قرب (تلمسان) ثم لم يزل يسير البحر وان كان يبعد عنه في بعض المواضع ، ويسمى في كل بلد باسم . وربما تعددت اطرافه فيسمى كل طرف باسم ، الى ان ينتهي هنا باطراف برقه » .

وقال صاحب تقويم البلدان انه يمتد من أطراف السوس الاقصى من البحر المحيط الى ان يبقى بينه وبين الاسكندرية خمس مراحل .

قلت وكأنه جعل بلاد (برقه) كلها و (الجبل الاخضر) منه ، لان

(١) قال متصفحه : زويله بفتح الزاء وكسر الواو .

(٢) اسم تركي ؛ معناه « العقاب » الطائر المعروف .

ارض برقه مرتفعة على ما يحاورها من بلاد فزان ونواحيها والبحر من
من الناحية الاخرى الى (العقبة الصغيرة) وبينها وبين الاسكندرية
خمس مراحل . فقرى هذا الجبل في كل البلاد بلاد نخصة ذات انهار
وعيون واشجار . وقبلته صحراء ذات نخيل ورمال من البحر المحيط
من اطراف السوس الاقصى الى برقة انتهى .

(رجع) واتبعته عساكر اليزيد فهزمهم ، فسار اليه يزيد بنفسه
وقاتله قتالا شديدا فانهزم البربر وقتل (أبا حاتم) في ثلاثين الفا
من اصحابه . ثم انتقل (يزيد بن حاتم) الى القيروان فدخلها منتصف
سنة (١٥٥) خمس وخمسين ومائة فمهد البلاد وقمع المفسدين وقطع
دابرهم .

وفي سنة (١٥٦) ست وخمسين ومائة خرج على يزيد بن حاتم
(يحيى بن فانوس) من بربر (هكار) واجتمع اليه كثير من قومه
وزحف اليه قائد عساكر عمر بن حفص هزار مرد بطرابلس (عبد الله
ابن السمط الكندي) على شاطئ البحر فانهزم وقتل عامة هواره
وسكن الناس بافريقية وصفت ليزيد بن أبي حاتم .

خلافة محمد المهدي بن المنصور

وفي شهر ذي الحجة سنة (١٥٨) ثمان وخمسين ومائة توفي
ابو جعفر المنصور وهو محرم قريب (مكة) ، وهو الذي بنى (بغداد) ،

وبويع لابنه محمد المهدي بن المنصور وكان من صالح الخلفاء ، خرج في ايامه خوارج كثيرون فظفر بهم وقتلهم وكان كريماً وله خصال حميدة وأقام عشر سنين وشهراً وتوفي في المحرم سنة (١٦٩) تسع وستين ومائة .

خلافة موسى الهادي بن محمد المهدي

بويع لموسى الهادي بن محمد المهدي يوم مات ابوه واقام سنة وشهراً ونصفاً ومات في ربيع الاول سنة (١٧٠) سبعين ومائة .

خلافة هارون الرشيد

بويع لهارون الرشيد بن محمد المهدي يوم مات موسى الهادي اخوه .

[رجع] ثم ان (يزيد) بن حاتم لم يزل مستمراً على ساعد الجد الى ان مات سنة (١٧٠) سبعين ومائة واقام ابنه (داود) فخرج عليه البربر وأوقع فيهم .

ولما بلغ الرشيد وفاة يزيد بن حاتم ولى اخاه (روحا) على افريقيا فقدمها منتصف سنة (١٧١) احدى وسبعين ومائة ، ثم هلك روح بن حاتم في رمضان سنة (١٧٤) اربع وسبعين ومائة

وولي ابنه (الفضل) ، فاضطربت افريقية سنة (١٧٧) سبع وسبعين ومائة وقتل الفضل بن روح في منتصف سنة (١٧٨) ثمان وسبعين ومائة .

ولما بلغ الرشيد مقتل الفضل بن روح وما وقع بافريقيا من الاضطراب ولى مكانه (هرثة) بن أعين فقدم القيروان فأمن الناس وسكنهم .

ولاية سفيان بن أبي المهاجر

وولى على طرابلس سفيان بن أبي المهاجر فقدمها وبنى السور على طرابلس مما يلي البحر ، ثم خرج على (هرثة) بن أعين (عياض) ابن وهب الهواري وجمع الجموع . ولما رأى هرثة كثرة الثوار والخلاف استعفى الرشيد من ولايتها فأعفاه لستين ونصف من ولايته .

وبعث الرشيد على افريقيا (محمد بن مقاتل العكي) وكان محمد هذا رضيع الرشيد فقدم القيروان اول رمضان سنة (١٨١) احدى وثمانين ومائة فكان سيىء الاخلاق والسيورة فاختلف عليه الجند .

ثم خرج عليه بتونس (تمام) بن تميم التميمي سنة (١٨٣) ثلاث وثمانين ومائة ، واجتمع عليه الناس وساروا الى القيروان ودخلوا على محمد بن مقاتل العكي فيها . فأمنه تمام بن تميم التميمي على ان يخرج

عن افريقيا فصار محمد بن مقاتل الى طرابلس .

وبلغ الخبر الى (ابراهيم بن الاغلب) بكانه من (الزاب) فانتفض
لمحمد بن مقاتل وسار يجموعه الى القيروان فهرب تمام بن تميم التميمي
بين يديه . وملك ابراهيم بن الاغلب القيروان واستقدم محمد بن مقاتل
من طرابلس وأعادته الى إمارته بالقيروان آخر سنة (١٨٣) ثلاث
وثمانين ومائة .

ولما استقر الأمر لمحمد بن مقاتل العكي ببلاد افريقيا واطاعه تمام
التميمي كره اهل البلاد ذلك وحملوا ابراهيم بن الاغلب على ان
يكتب الى الرشيد يطلب منه ولاية افريقيا ، فكتب اليه في ذلك . وكان
على دينار مصر مائة ألف دينار تحمل الى افريقيا معونة فنزل ابراهيم
عن ذلك وبذل ان يحمل كل سنة اربعين ألف دينار . فاحضر الرشيد
ثقاته واستشارهم فيمن يوليه افريقيا وذكر لهم كراهة اهلها ولاية محمد
ابن مقاتل . فأشار (هرثة) بابراهيم بن الاغلب وذكر له ما رآه من
عقله ودينه وكفايته ، وأنه قام بحفظ افريقيا على ابن المقاتل ، فولاه
الرشيد في المحرم سنة (١٨٤) أربع وثمانين ومائة فقام بالولاية
وضبط الامور وسكنت البلاد .

ثم خالف اهل طرابلس على ابراهيم بن الاغلب سنة (١٨٩)
تسع وثمانين ومائة وثاروا بعاملمهم (سفيان) بن أبي المهاجر وأخرجوه
من داره الى المسجد وقتلوا عامة أصحابه ثم آمنوه على أن يخرج من
طرابلس فخرج .

ولاية ابراهيم بن سفيان التميمي

واستعملوا عليهم (ابراهيم بن سفيان التميمي) فبعث اليهم ابراهيم ابن الاغلب العساكر وهزمهم ودخل عسكره طرابلس ، ثم استحضر ابراهيم بن سفيان التميمي الى القيروان فحضر ، ثم عفا عنه وأعادته الى ولاية طرابلس .

خلافة محمد الامين بن هارون الرشيد

وفي شهر جماد الآخر سنة (١٩٢) اثنتين وتسعين ومائة توفي هارون الرشيد لعشرين سنة وتسعة عشر يوماً من خلافته وبويع لابنه محمد الامين صبيحة الليلة التي توفي فيها الرشيد .

ولاية عبدالله بن ابراهيم بن الاغلب

وفي سنة (١٩٦) ست وتسعين ومائة بعث ابراهيم بن الاغلب ابنه (عبدالله) الى طرابلس والياً عليها ، فثار عليه الجند وحاصروه بداره ثم آمنوه على ان يخرج منها ، فخرج . واجتمع عليه الناس ، وبذل العطاء ، وأتاه البربر من كل ناحية ، وزحف الى طرابلس فهزم جندها ودخل المدينة واستولى عليها ثم عزله ابوه .

ولاية سفيان بن أبي المهاجر

وولي سفيان بن المهاجر ولايته الثانية فثارت عليه هواره ، فخرج الجند عليهم والتقوا واقتتلوا فهزم الجند الى المدينة فتبعهم هواره ودخلوا المدينة وهدموا اسوارها . ولحق الجند بالأمير ابراهيم بن أغلب فأعاد معهم ابنه (عبد الله) في ثلاثة عشر ألفاً من العساكر ففتك وأنخن فيهم وضبط البلد وجدد سورها .

وبلغ الخبر الى (عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم) فجمع البربر وجاء الى طرابلس فحاصرها . وسد عبدالله بن ابراهيم بن الأغلب (باب زناتة) وكان يقاتل من (باب هواره) المعروف الآن (بباب المنشية) . ثم جاء الخبر بوفاة أبيه فصالحهم على ان يكون البلد والبحر لعبد الله بن ابراهيم بن الأغلب وأعمالها لعبد الوهاب .

ولاية سفيان بن أبي المهاجر

واستعمل عليها عاملها الأول سفيان بن أبي المهاجر ولايته الثالثة وسار الى القيروان وكانت وفاته في شوال سنة (١٩٦) ست وتسعين ومائة . وعهد لابنه (عبد الله) وكان غائباً بطرابلس والبربر يحاصرونه كما ذكر ، فقدم عبد الله بن ابراهيم القيروان سنة (١٩٧) سبع

وتسعين ومائة وبويع له بالامارة ولم يكن في ايامه فتنة بما وطد
له ابوه .

ذكر العارف بالله تعالى الشيخ عبد الوهاب القيسي

هو العارف بالله تعالى الناسك العابد ، الورع الزاهد ، الجامع
للأخلاق المحمدية ، والناقل لأسرار المعارف القدسية ، الشيخ عبد
الوهاب القيسي عروس الصوفية . كان رحمه الله تعالى من اجلّ الشيوخ
واكابر العلماء العاملين ، وعباد الله الصالحين ، له كرامات كثيرة ،
ومآثر شهيرة . رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) نحو اربعماية مرة
وكان لا يفعل فعلا الا بإشارة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) كما
ذكره في كتابه . مات رحمه الله في حدود المائتين وضحجه بداخل
مسجده الكائن بطرابلس معروف تقصده الزوار ، من جميع الأقطار ،
ولوايح الانوار عليه ظاهرة ولا يجحد ما يشاهد عند قبره من الأحوال
الباهرة ، رحمه الله تعالى ونفعنا به وأمدنا بأسراره آمين .

خلافة عبد الله المأمون بن هارون الرشيد

وفي محرم سنة (١٩٨) ثمان وتسعين ومائة مات محمد الأمين
شهيداً وبويع بالخلافة لعبد الله المأمون . وكان الوالي بأفريقيا حينئذ
عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب .

ثم في ذي الحجة سنة (٢٠١) احدى ومائتين توفي عبد الله ابن ابراهيم بن الأغلب وسبب وفاته أنه زاد على الناس في الخراج فنهوه فلم يفته . فقال رجل من الناس اسمه (حفص بن عمر الجزري) لو اننا نتوضأ ونصلي ونسأل الله ان يخفف عن الناس ؟ .. ففعلوا فلم يلبث الا خمسة ايام حتى خرجت قرحة تحت اذنه فمات منها . وولي مكانه علي افريقية اخوه (زيادة الله) وجاءه التقليد من قبل المأمون .

ثم وقعت بين زيادة الله وبين الجند محاربة وهاجت الفتن واستولى كل رئيس بناحية واضطربت افريقية ولم يبق على طاعة زيادة الله من افريقية الا « تونس » والساحل ، وطرابلس ، ونفزاوه » ثم بعث اليهم العساكر فقاتلهم واستقام امره .

خلافة المعتصم ابو اسحاق محمد بن هارون الرشيد

وفي رجب سنة (٢١٨) ثمان عشرة ومائتين توفي عبد الله المأمون بارض الروم . وكان عالماً عاقلاً ذا حزم وقوة عزم ولا يعاب عليه الا ما كان منه من القول بخلق القرآن . وبويع للمعتصم ابي اسحاق محمد بن هارون الرشيد وجرى على ما كان عليه المأمون من امتحان الناس بخلق القرآن .

وفي منتصف سنة (٢٢٣) ثلاث وعشرين ومائتين توفي زيادة الله ابن ابراهيم بن الاعلب وتولى اخوه (الاعلب) ويكنى بابي عقال ،

وخرجت عليه خوارج (زواغه ، ولواته ، ومكاسه) من عمل طرابلس
وقتلوا عامل طرابلس سفيان بن ابي المهاجر وبعث اليهم العساكر فقتلهم
واستأصلهم .

ولاية ابو العباس عبد الله بن محمد بن الاغلب

وولي طرابلس ابو العباس عبد الله بن محمد بن الاغلب . وفي سنة
(٢٢٦) ست وعشرين ومائتين توفي الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب
وولي ابنه (ابو العباس محمد) ودانت له افريقية .

خلافة هارون الواثق بن المعتصم

وفي ربيع الاول سنة (٢٢٧) سبع وعشرين ومائتين توفي المعتصم
ابو اسحاق محمد بن هارون الرشيد وبويع لابنه هارون الواثق
وجرى على ما كان عليه ابوه المعتصم وعمه المأمون من القول بخلق
القرآن واقام خمس سنين وتسعة اشهر وتوفي في ذي الحجة سنة (٢٣٢)
اثنين وثلاثين ومائتين .

خلافة جعفر المتوكل بن المعتصم

بويع لجعفر المتوكل بن المعتصم ابو اسحاق محمد بن هارون الرشيد

يوم مات اخوه هارون الواثق باتفاق اهل الحل والعقد ورفع الامتحان في القول بخلق القرآن .

وتوفي ابو العباس محمد بن الاغلب سنة (٢٤٢) اثنتين واربعين ومائتين وولي افریقیة ابنه (ابو ابراهيم احمد) وخرج عليه بناحية طرابلس خوارج من البربر فقاتلهم عاملها وهو يومئذ اخوه عبد الله ابن محمد بن الاغلب وسرح اليه اخاهما (زيادة الله) يحاربهم فاستأصلهم وكتب الى اخيه ابي ابراهيم احمد بالفتح .

الشيخ عبد الله الشعاب

في سنة (٢٤٣) ثلاث واربعين ومائتين توفي العارف بالله تعالى قطب الاقطاب وكنز الطلاب الشيخ عبد الله الشعاب . ولد رحمه الله تعالى بطرابلس ونشأ بها واخذ عن جماعة من الفضلاء وكان رحمه الله تعالى من كبار الصوفية واحد الزهاد الورعين وعباد الله المتقين مشغلاً بنفسه متخلياً عما في ايدي الناس . وكان نجاراً ولا يأكل الا من كسب يده . وكان شديد الزهد ملازماً للنسك والاعتكاف متمسكاً بطريق السلف وجرت منه دعوات مجابة وحفظت له كرامات ظاهرة وضريحه معروف يقصد للزيارة والدعوات فيه مشهورة الاجابة رحمه الله تعالى ونفعنا به ، آمين . اهـ

وفي شهر جماد الآخر من سنة (٢٤٥) خمس واربعين ومائتين كانت بين البربر وعسكر ابي ابراهيم احمد بن الاغلب وقعة عظيمة

وسببها : ان البربر امتنعوا على عامل طرابلس من اداء عشورهم
وصدقاتهم وحاربوه فهزموه فقصده (لبده) فحاصنها وسار الى طرابلس .
فسير اليها الامير احمد بن محمد جيشاً مع اخيه زيادة الله فانهزم
البربر وقتل منهم خلق كثير وسير اليهم زيادة الله الحيل في اثرهم فقتل
من ادرك منهم واسر جماعة فضربت اعناقهم واحرق ما كان في
عسكرهم فاذعن البربر بعدما واعطوا الرهن وادوا اطاعتهم .

خلافة محمد المنتصر بن جعفر المتوكل

وفي الرابع من شوال سنة (٢٤٧) سبع واربعين ومايتين
استشهد المتوكل غدرأ وبويع لابنه المنتصر في الليلة التي استشهد
فيها ابيه .

خلافة احمد المستعين بن محمد المعتصم

وفي ربيع الآخر سنة (٢٤٨) ثمان واربعين ومايتين مات محمد
المنتصر وبويع لاحمد المستعين بن محمد المعتصم .

وفي سنة (٢٤٩) تسع واربعين ومايتين توفي ابو ابراهيم احمد
ابن ابي العباس محمد بن الاغلب . وولي افريقية اخوه (زيادة الله)
فجرى على سنن سلفه وتوفي في السنة المذكورة . وولي بعده ابنه
(زيادة الله الاصغر) فجرى على سنن ابيه وتوفي سنة (٢٥٠) خمسين

ومايتين . وولي بعسده (ابو الغرائيق محمد بن احمد بن محمد بن
الاغلب) وجرى سنن اسلافه . وكان اديباً عاقلاً حسن السيرة وبنى
حصوناً ومخارس على ساحل البحر على مسيرة خمسة عشر يوماً من
برقة الى جهة المغرب .

خلافة محمد المعتز بن المتوكل

وفي محرم سنة (٢٥٢) اثنتين وخمسين ومايتين اقال المستعين
احمد بن محمد نفسه ومات شهيداً في سقته ، وبويع لـ محمد المعتز بن
المتوكل في اليوم الذي استقال فيه المستعين .

ولاية محمد بن قهر ب

وفي سنة (٢٥٥) خمس وخمسين ومايتين ولى (ابو الغرائيق
محمد بن احمد بن الاغلب) على عمل طرابلس محمد بن قهر ب ، وفيها
فتح ابو الغرائيق (جزيرة مالطه) . واقام محمد المعتز بن المتوكل
ثلاث سنين في الخلافة واقال نفسه ايضاً في شعبان سنة (٢٥٥)
خمس وخمسين ومايتين .

خلافة محمد المهدي بن الواثق

وبويع لمحمد المهدي بن الواثق يوم استقال المعتز واقام احمد

عشر شهراً واستشهد يوم الثلاثاء الرابع عشر من شهر رجب سنة
(٢٥٦) ست وخمسين ومائتين .

خلافة المعتمد على الله احمد المتوكل

وبويع للمعتمد على الله احمد بن المتوكل يوم مات عمه المهدي بن
الوائق ولكن بقي الامر بيد اخيه طلحة .

وفي سنة (٢٦١) احدى وستين ومائتين توفي (محمد بن ابي
ابراهيم احمد بن الاغلب ابو الغرائق) وولي اخوه (ابراهيم) وقام
بامر افرقية احسن قيام . وكان عادلاً حازماً . وعزم على الحج فرد
الظالم وأظهر الزهد والنسك وعلم أنه ان جعل طريقه إلى مكة على
مصر منعه صاحبها (ابن طولون) فتجري بينها حرب فيقتتل
المسلمون فجعل طريقه على جزيرة (صقلية) ليجمع بين الحج والجهاد
ويفتح ما بقي من حصونها وبنى الحصون والمحارس بسواحل البحر
حتى كانت النار توقد في ساحل سبته للانذار بالعدو فيحصل ايقادها
بالاسكندرية في الليلة الواحدة .

وفي أيامه كانت فتنة (العباس بن احمد بن طولون) صاحب
مصر وقصدته برقة مخالفاً لابيه صاحب مصر يريد تلك افرقية فأثامها
من مصر سنة (٢٦٥) خمس وستين ومائتين في — ثمانية فارس —
و — عشرة آلاف راجل — من سودان أبيه على — خمسة آلاف

بغير - واتي من بيت مال مصر - بثأتماية بغير - محملة بالدنانير
 ذهباً . فبعث (ابراهيم) بن احمد بن الاغلب الخليل لطرابلس قبيل
 وصول (العباس) لعاملها (احمد بن قهر ب) فزحف بهم اليه وتواقعوا
 بموضع يعرف (بقصر حاتم) ودارت بينهم حروب شديدة انهزم فيها
 ابن قهر ب ونجا الى طرابلس منهزماً واستولى ابن طولون على (برقة)
 ثم ملك (لبده) بعدها وقال :

لله دري ! اذا اعدو على فرسي
 الى الهياج ؛ ونار الحرب تستمر
 وفي يدي صارم ، افري الرؤوس به
 في حده الموت . لا يبقي ! ولا يذر
 ان كنت سائلة عني ، وعن خبري
 فيها اذا الليث ؛ والصمصامة الذكر
 من آل طولون اما ان سألت فما
 فوقي لمفتخر بالجود مفتخر
 لو كنت شاهدت كرى بلبدة ؟. اذ
 بالسيف اضرب . والهجمات تبتر
 اذا لعانيت مني ما تبادره
 عني الاحاديث ؛ والأنباء والخبر (١)

(١) قال متصفحه : من المروض الاول من البسيط وضربها المائل .

ثم قدم في جموعه طرابلس وحاصرها ثلاثاً وأربعين يوماً فتعدى بعض سوداته على حرم بعض البوادي وهتكوا الحجب فاستغاثوا (بالياس بن منصور) صاحب نفوسه ورئيس الاباضية . وقد كان خاطبه يتهدده على الطاعة .

وبلغ الخبر الى (ابراهيم) بن الاغلب فبعث العساكر مع خادمه (بلاغ) وكتب الى محمد بن قهر ب عامل طرابلس بان يظاهر معه على قتال (العباس) . فسار ابن قهر ب وناوش القتال من غير مسارعة .

ثم صبحهم (الياس ابن المنصور) وزحف الى ابن طولون في اثني عشر ألفاً من رجال نفوسه فهزموه وعاشت ايدي البوادي في نهب أمواله وآلاته ، ولم يتلبس منها اهل نفوسه بشيء تورعاً منهم .

ولحق (ابراهيم) بن الاغلب فوجد (ابن طولون) منهزماً فتبع الاموال التي عاثت فيها الايدي وانتزع ما قدر على انتزاعه وفر ابن طولون الى برقة في ضرر وقتل يومئذ صناديد عسكره ووجوه اصحابه فعقد ابوه (احمد بن طولون) على جيش وبعث به الى برقة في رمضان سنة (٢٦٧) سبع وستين ومائتين .

ثم خرج بنفسه في عسكر عظيم يقال انه بلغ - مائة الف - لثني عشرة خلت من ربيع الاول سنة (٢٦٨) ثمان وستين ومائتين فأقام بالاسكندرية وفر اليه (احمد بن محمد الواسطي) من عند ابنة (العباس) فصغر عنده امر (العباس) فعقد على جيش سيره الى (برقة) فواقعوا اصحاب (العباس) وهزمهم وادركوا (العباس)

لأربع خلون من رجب وعادوا إلى أحمد بالفسطاط لثلاث عشرة
خلت منه وقدم (العباس) و (الأسرى) في شوال ثم أخرجوا أول
ذي العقدة وقد بنيت لهم دكة عالية فضربوا والقوا من أعلاها .

ثم في سنة (٢٦٧) سبع وستين ومائتين خالقت (هواره)
و (لواته) وقتل محمد بن قهر بن عامل ضرابلس في حروبهم .

ولاية عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب

فسرح إليهم إبراهيم بن أبي إبراهيم بن أحمد بن الأغلب ابنه
أبا العباس عبد الله في العساكر سنة (٢٦٩) تسع وستين ومائتين
فانتحن فيهم واستولى على طرابلس .

خلافة أحمد بن المعتضد بن الموفق

وفي سنة (٢٧٩) تسع وسبعين ومائتين مات المعتضد على الله
(أحمد بن المتوكل) وبويع لابن أخيه أحمد بن المعتضد بن الموفق .

أبو حفص عبد الجبار بن خالد

بن عمران السرقى

قال الفقيه (أبو يزيد عبد الرحمن عرف الدباغ الانصاري)

في (كتاب معالم الايمان) ما نصه : سمع من (سحنون) و (ابي زكريا الحفري) و (ابن يحجر) و (حماد بن يحيى السجلماسي) . كان فقيهاً ، فاضلاً ، زاهداً ، ثقة ، طويل الصلاة .

وقال (ابو العرب) : وكان كثير الدعاء مجتهداً ، ومن عقلاء شيوخ افرقية . وكان (سحنون) يقول : عبد الجبار تقي في بطن امه . ! وفيما ذكره نظر . ! اذ لم يحك (المالكى) الا (احمد بن معتب) لا عن (سحنون) . وكان قد نظر في العلم . والمراد بذلك المبالغة . والمعنى ! أنه تقي من صغره . وكان ايضاً لا يقرئ الناس حتى يحضر (عبد الجبار) . وكان قد اجاد في العلم حتى وازى (سحنون بن سعيد) . ثم غلبت عليه العبادة حتى وازى ابا براو (واصلاً الكبير) . وفيما ذكر نظر لقول (التجيبي) وقال (ابو عباس) : درس العلم حتى بلغ مبلغ سحنون او كاد . ثم قال « يا ابا عياش ! قد بلغنا من هذا العلم ما قد علمت ، وقد مالت نفسي للعبادة » فبلغ منها حتى لحق او كاد منزلة (البهلول) و (رباح) . ففيه المخالفة من وجين : احدهما ! . انه حكى على القطع انه وازى سحنون وهو خلاف . نقل التجيبي او كاد . والثاني أنه وازى في العبادة (واصلاً) . وهو في التجيبي على الشك بمنزلة البهلول ورباح لا منزلة اصل . وكان كثير التهجد ، يحتم كل ليلة من شهر رمضان القرآن . ومثله ذكر التجيبي .

وقال المالكى : حدث هشام بن مسرور قال : مضيت ليلة من ليالي رمضان الى مسجد عبد الجبار لاصلي خلفه التراويح فصليت

معه صلاة العشاء الاخيرة فلما فرغ من الصلاة تنفل الناس ما شاء الله ان يتنفلوا . ثم قام المؤذن فقال : (الصلاة رحمكم الله . !) فقام الناس ودخل عبد الجبار المحراب وقرأ في الترويجة الاولى « البقرة » وآل عمران ، والنساء ، والمائدة » . فلما قضاها انصرف كثير من الناس . ثم قام في الترويجة الثانية فقرأ (الانعام ، والأعراف ، والانفال ، وبراءة) فعهدى برؤوس الرجال اراها في ضوء القناديل تتأبل بيناً وشعلاً . ثم تقادى في الصلاة فكان يمر في القراءة مر الجواد . فاذا اشتبه عليه الحرف او تعابا فيه تركه وقرأ ما يليه ، فيقرأ العشرين آية ، والثلاثين آية والاقبل والاكثر . ثم يتفكر في ذلك الحرف فيرجع اليه فيقرأه مفرداً . ثم ؛ يعود للموضع الذي كان فيه فيقرأ منه . قال : فما زال كذلك حتى تراجع الناس الى المسجد من آخر الليل وتقادى حتى ختم القرآن وانا مؤذنه بقصعة فيها شيء من ثريد يسير فتسحر منه . ثم أذن المؤذن وطلع الفجر فصلى بهم الصبح .

قال عبد الله بن هاشم : فجهدت نفسي ان اقدر على ما قدر عليه عبد الجبار من مجاوزته الموضع الذي اشكل عليه . ورجوعه اليه . بعد ذلك ببرهة ، ورجوعه الى الموضع الذي كان فيه ، فما قدرت على ذلك الا بعد ثلاثين سنة . قال : وختم في مسجده نيفاً على اربعة الاف ختمة . قلت : في كلامه بتر لزيارة التحيي في الفريضة . ولذلك قال غيرها ختم في مسجده ثلاثين الف ختمة . وكان يختم في كل ليلة ختمة .

قال المالكي : حدث ابن هاشم المذكور قال : خرج عبد الجبار

من داره يوم الجمعة للروح الى صلاة الجمعة فاذا شاب جميل له هيئة حسنة ولباس جميل وقد اتبع صبية يثني خلفها فلما رآه عبد الجبار شق عليه ذلك فاتكأ برجله على رجله الاخرى فقطع شع نعله وصاح يا شاب ؟ فالتفت اليه !. فمشى اليه عبد الجبار . فوقف الفتى وقال له : مالك ؟. قال : قد كبر سني ، وضعف بصري ، وقد انقطع شع نعلي ، فاصلحه لي ؟. فاصلحه !. ثم نظر عبد الجبار الى الصبية وقد امسكت في مشيتها فأخذ من الشاب النعل ، وأدخله في رجله ؛ وقادى الشاب في أثر الصبية فاتكأ عليه عبد الجبار ثانياً فقطعه . ثم صاح : يا شاب !. يا شاب !. وكانت لعبد الجبار هيئة عظيمة فعاد اليه الشاب . فقال له : أصلح النعل يا مبارك ؟. فاصلحه اصلاحاً شديداً اظنك ما اصلحته الا وانت مستعجل ؟..

فاخذه الشاب واصلحه .

فعطف عبد الجبار عليه وقال له يا شاب !. أنا قطعت النعل المرة الاولى والثانية . وانما فعلت ذلك استخافاً عليك . ورحمةً لك . وخفت والله يا بني على هذا الشباب الصبيح من لهيب النار وبكا عبد الجبار وبكا الشاب . ثم ، قال له : جزاك الله خيراً !. فوالله لا عدت الى ما كان منى أبداً . ثم ، صحب عبد الجبار الى الجامع . ثم تاب وحسنت توبته وانابته . وكان من فضلاء اهل وقته نفعه الله بنية عبد الجبار وبلطفه وبرفقته .

وذكر ان اولاد (ابراهيم بن احمد) الامير طهرهم فمضى اهل العلم ، والمشايع ، مشايخ اهل القيروان لتنهيته وكان ممن مضى اليه عبد

الجبار بن خالد فلما اتى الى الامير أكبره وعظمه وسر برؤيته فأخرج اليه اولاده فدعا لهم وبرك عليهم . ثم قال : ايها الامير ! هل علمت مقدار هذه النعمة التي أنعم الله عليك بها ؟ أعطاك بنين مثل هؤلاء ! علمتهم كتاب الله ، وأحيين بهم سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . وقد بلغني عنك أنك بالغت فيما عملت من الطعام للاغنياء ؟ .

فقال له : أجل ! .

فقال له عبد الجبار : لو استكملت هذه المرة بأن تذكر الفقراء ؟ .

فقال : صدقت ! . وبررت ! .

ثم دعا بكيس فيه خمسين دينار ... ودفعه الى عبد الجبار وسأله ان يفرقه على الفقراء والمساكين ؟ فأجابه عبد الجبار الى ذلك . فسر به الامير ، وخرج معه الى باب القصر . وقال : أحلموا الشيخ على دابته . وقال : والله لا برحت حتى تركب ! . فركب عبد الجبار والامير قائم . فلما ركب واستوى على دابته ... واصلح الغلمان ثيابه وانصرف ! . التفت الامير الى كاتبه رجاء بن محمد ... فقال :

— يا رجاء ؟ . رأيت ما أعقله وما أظرفه ؟ . أتعرف في ريعتي مثله ؟ . أنه قضى ذمامنا ! . وتعافى من طعامنا ! . وأخرج مالنا فيما يرضينا ! .

فتصدق عبد الجبار بالدنانير جميعاً على الفقراء والمساكين ! ولم يبق منها شيئاً .

وقال أبو جعفر بن أبي خالد الدبّاغ الفقيه : سمعت عبد الجبار يقول : كنت أخلو لأسلم ؛ ثم صرت أخلو لأغثم ؛ ثم صرت أخلو لأنعم .

قلت : زاد التجيبي عنه قال : دخلت على عبد الجبار فقال لي : يا أبا أحمد ! لو رأيتني وقد أقامني ثم طهرني ثم أوقفني بين يديه ، فأنت سحابة فأبرقت ، وأرعدت ، وأمطرت ، وانبتت ، وتم النبات ! .

وله كلام حسن في المعرفة والحقيقة .

وقال عبد الجبار : من ترك رأيه ، واتبع السنن والآثار ! رجي له أن يلحق غداً بالابرار . ومن اتبع رأيه ... وترك السنن والآثار ! خفت عليه غداً ! ان يكون مأواه النار .

قلت : قال التجيبي : كان ينبه بكلام قليل ، يدل على معنى كثير مثل قوله ! . « من قل كلامه ؟ . قلت آثامه ! . » وقوله « من كانت له وليه ؟ . لم يعدم بليه » . وقوله « الصوم عن الكلام ؟ . أفضل من الصوم عن الطعام » . وقوله « من زم لسانه ؟ . كثر في الدنيا والآخرة أمانه » . وقال عياض : كان يقول « كل كلمة لم يتقدمها نظر ؟ . فالكلام فيها خطر . وان كانت من اسباب النظر » .

قلت : ولعله وهم ؛ وانما هو من قول أحمد بن متعب كما تقدم في نقل المالكي ...

وقال ابن اللباد : كنا نسمع على عبد الجبار بن خالد في جامع ابن وهب « من البر ألا يمشي الرجل امام والده » .

فقال : من بره ان يثني امامه في الظلام .

اراد انه عام مخصوص ، فيثني امامه حيث الحاجة لذلك كظلام
او طين او لص او غير ذلك ...

وتوفي سنة (٢٨١) احدى وثمانين ومائتين ودفن بباب سلم ،
وصلى عليه حمديس القطان .

وفي كلامه بتر ، وقصور لقول التجيبي وغيره : توفي يوم الاربعاء
لاول يوم من رجب . وقيل : يوم الاربعاء لتسع عشر بقين من
جمادى الآخرة من السنة المذكورة . وبحمديس وعبد الجبار يضرب
المثل في الفضل والدين بافريقية . الا ان عبد الجبار أنه من
حمديس !. رحمها الله امين اه



وفي سنة (٢٨٣) ثلاث وثمانين ومائتين تحرك ابراهيم ابن ابي
ابراهيم بن احمد بن الاغلب الى مصر لمحاربة ابن طولون . ولما انتهى
الى (سرت) بلد من عمل طرابلس أنقضت عنه الجنود فرجع .

ثم توفي ابراهيم بن ابي ابراهيم بن الاغلب آخر سنة (٢٨٩) تسع
وثمانين ومائتين فولى حافده (أبا مضر زيادة الله) ليحفظ العساكر
والاموال الى ان يحضر ابنه (ابو العباس عبد الله) وهو يومئذ
بطرابلس كما ذكر .

وضعت الدولة العباسية بعد الاستقلال وتغلب على الخليفة فيها

الاولياء والقراية والمصطنعون وصارت تحت حجرهم من حين قتل
الموكل وحدثت الفتن ببغداد وسار (العلوية) الى النواحي مظهرين
لدعوتهم فدعا (ابو عبد الله الشيعي) في هذه السنة بكتامه (بالرضي
من آل محمد) وبيطن الدعوة (لعبيد الله المهدي) من ابناء
(اسماعيل الامام) .

خلافة علي المكتفي بن المعتضد

وفي سنة (٢٨٩) تسع وثمانين ومايتين توفي (احمد المعتضد بن
الموفق) وبويع لابنه (علي المكتفي) . ولم يزل امر الاسلام جميعاً
دولة واحدة أيام (الخلفاء الاربعة) رضي الله عنهم و (بني أمية)
من بعدهم حتى ظهرت من بعد ذلك (امراء الشيعة) وهم الدعاة لاهل
البيت فعلت دعوة (بني العباس) على الامر واستقلوا بخلافة الملك .
ولحق الفل من بني امية بالاندلس فقام بأمرهم من كان هنالك من
مواليهم ومن هرب فلم يدخلوا في دعوة بني العباس .

وانقسمت لذلك دولة الاسلام بدولتين ثم ظهرت دعوة اهل البيت
بالمغرب والعراق من (العلوية) ونازعوا (خلفاء بني العباس) واستولى
على القاصية من النواحي ك (الادارسة) بالمغرب الاقصى . و (العبيديين)
بالقيروان ومصر . و (القرامطة) بالبحرين . و (بني زياد)
بطنبرستان ، والديلم ، والاطروش . وانقسمت لذلك دول متفرقة .

التعريف بأصل العبيدين

أصل العبيدين من الاسماعيلية الشيعة الامامية البراء من الشيخين وسائر الصحابة رضي الله تعالى عنهم جميعاً لعدوهم عن بيعة علي (رضي الله عنه) الى غيره مع وصية النبي (صلى الله عليه وسلم) له بالامامة بزعمهم . وهذا امتازوا على سائر الشيعة ، والا فالشيعة كلهم مطبقون على تفضيل علي (رضي الله عنه) . ونسبة هؤلاء العبيدين الى أول خلفائهم وهو (عبيد الله المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر الصادق بن محمد المكتوم بن اسماعيل الامام بن جعفر الصادق) . قال الفاضل ابن خلدون في العبر « ولا يلتفت لانكار هذا النسب » . فكتب المتضد الى ابن الاغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلاسة يغريهم بالقبض عليه لما سار الى المغرب شاهد بصحة نسبهم .

ابتداء ظهور دعاة الرافضة

وبيعة عبيد الله المهدي

وفي سنة (٢٨٦) ست وثمانين ومائتين ظهر بالمغرب من دعاة الرافضة ^(١) (أبو عبد الله الشيعي) في كتامة من قبائل البربر داعياً

(١) قال متصفحه : ليعلم الواقف هنا ان أصحاب المبتدعة عقيدة (الزيدية) من الشيعة . ثم (الخوارج) .

لعبيد الله المهدي فظهر على الاغالبية بالقيروان وبايح لعبيد الله المهدي سنة ست وتسعين ومائتين فتم أمره وملك القيروان واستفحلت دولته بالمغرب ثم استولوا بعد ذلك على مصر سنة ثمان وخمسين وثلثمائة فملكها منهم المعز لدين الله معد بن اسماعيل بن أبي القاسم بن عبيد الله المهدي وشيد القاهرة . ثم ملك الشام واستفحل ملكه الى ان انقرضت دولتهم على العاضد منهم على يد صلاح الدين بن أيوب ، وذلك سنة خمس وستين وخمسمائة .

[رجع] ثم ان (ابا مضر زيادة الله) حافد ابراهيم بن احمد قدم بالجيش على أبيه ابي العباس عبد الله بن ابراهيم بن احمد سنة

= فهؤلاء يعتقدون لله الوحدانية ولحمد الرسالة اما بقية فرق الشيعة فانما يدئذنون حول الثنوية والتبطل وانكار الصانع . وان كانوا لا يظهرون ذلك لعامتهم تقية من أن ينتفضوا عليهم . فترام يقولون : (علي) أفضل الصحابة . فاذا أذعن لذلك قالوا أفضل من « محمد » و « جبريل » غلط في النزول على « محمد » . فاذا أذعن لذلك قالوا : بل هو « الله » ، فاذا أذعن لذلك ؟ . قالوا : يرجع العقل الى عقله . فلا صانع ولا فاعل للخير والشر الا النور والظلمة . هذه حقيقة خاصتهم وان كانوا يصورون ذلك عن أتباعهم .

أمنت بالله وصدقت برسوله وكتبه واليوم الآخر . ومن هذه فانهم يزعمون أن الامامة لابن العسكري المفقود واسط الماية الثالثة . وأن الناس من فقدوه الى الان ليست بأيديهم أحكام . لأن الاحكام اذا تؤخذ من الملم وهو مفقود فصموا وعموا عن كون المعلم الاكبر هو النبي « صلى الله عليه وسلم » وما مات حتى كمل الدين وبينت الاحكام أنهم تبيين ونقلنا البنا الصحابة وما حرمت العلم طلابه والحمد لله رب العالمين . صح

(٢٨٩) تسع وثمانين ومائتين فقام بأمر افريقيا أتم قيام وعظم غناؤه وحسنت سيرته وبعث العمال .

ولاية أبي العباس أحمد بن الاغلب

وعقد لأخيه أبي العباس أحمد بن ابراهيم على طرابلس وجعل معه تمام ابن المبارك اميراً على الجند فيها ثم غدر به نائماً في شعبان سنة (٢٩٠) تسعين ومائتين .

وتولى ابنه (أبو مضر زيادة الله) واقتص من الغادرين بأبيه وأقبل على اللذات واللهو ومعاشرة المضحكين والصفاعين واهمل أمور الملك ، وقوي امر (أبي عبد الله الشيعي) واستولى على كافة أنحاء افريقية .

ولما وصل الخبر الى (زيادة الله) بوصول الشيعي الى (قمودة) حمل أمواله واثقاله وخلق بطرابلس عازماً الى مصر . واقبل عبد الله الشيعي على افريقية ووصل (رقادة) في رجب سنة (٢٩٦) ست وتسعين ومائتين ، وتلقاه اهل القيروان وبايعوا لعبيد الله المهدي .

واقام ابو مضر زيادة الله بطرابلس سبعة عشر يوماً وانصرف . ووصل الى مصر فأصابته بها علة مزمنة ومات . وتفرق بنو الاغلب وانقضت أيامهم والبقاء لله الواحد القهار ، ومدة بني الاغلب اثنتا عشرة سنة ومائة . فسبحان من لا يزول ملكه .

البيعة العامة بالقيروان لعبيد الله المهدي

وفي سنة (٢٩٧) سبع وتسعين ومائتين حضر اهل القيروان وبويع لعبيد الله المهدي البيعة العامة واستقام أمره وبعث العمال على البلاد .

ولاية ماكنون بن ضباره اللحياني

فبعث عبيد الله المهدي ماكنون بن ضباره اللحياني على طرابلس .

ولما استقام امر عبيد الله المهدي بأفريقية استبد بأمره وكفح (أبا عبد الله الشيعي) وأخاه (أبا العباس) عن الاستبداد عليه والتحكم في أمره ، فعظم ذلك عليها . وصرح العباس بما في نفسه فنهاه أخوه عبد الله عن ذلك فلم يصنع اليه .

ثم استماله أبو العباس لمثل رأيه فأجابه واستفدا « كتامة » وأغرياهم به والقيأ اليهم أن هذا ليس هو الامام المعصوم الذي دعونا اليه ، حتى بعث الى المهدي رجل كان في كتامة يعرف بشيخ المشايخ وقال له : جئنا بأية على أمرك فقد شككنا فيك ؛ فقتله المهدي .

ثم عظمت استرابتهم واتفقوا على قتل المهدي ، وداخلهم في ذلك

« تمام بن معارك » وغيره من قبائل كتامة ، وفي الخبر الى المهدي فتلف في أمرهم ، وولى من داخلهم من قواد كتامة على البلاد ، فبعث « تمام بن معارك » على طرابلس ، وبعث الى عاملها ماكنون بقتله فقتله عند وصوله .

ثم ان المهدي طلب أبا عبد الله الشيعي وأخاه وقتلها في منتصف جادى الاولى سنة « ٢٩٨ » ثمان وتسعين ومائتين . واستقام أمر المهدي بعد « الشيعي » وجعل ولاية عهده لابنه « أبي القاسم نزار » ، وولى على برقة وما إليها « حباصة بن يوسف » .

ثم انتقضت عليه أهل طرابلس سنة (٣٠٠) ثلاثمائة وأخرجوا عاملهم « ماكنون » ، فبعث اليهم ابنه أبا القاسم فحاصرها حصاراً طويلاً ثم فتحها واثخن فيهم وأغرمهم ثلاثمائة ألف دينار .

وفي سنة (٣٢٢) اثنتين وعشرين وثلاثمائة غزا (عبد الله المهدي) المغرب ومملكه .

ذكر خلافة القائم بن عبيد الله المهدي

وفي ربيع الأول من هذه السنة ، توفي عبيد الله المهدي الفاطمي بالمهدية ، وأخفى ولده القائم أبو القاسم محمد موته سنة لتدبير مسا كان له ، وكان عمر المهدي ثلاثاً وستين سنة ، وكانت ولايته أربعاً وعشرين سنة .

ولما أظهر ابنه القائم وفاته ، بايعه الناس واستقرت ولايته . ثم
 ثار عليه جماعة فتمكن منهم . وكان من أشدهم رجلاً يقال له
 (ابن طالوت القرشي) في ناحية طرابلس ويزعم أنه ولد المهدي ،
 فقاموا معه وزحف إلى مدينة طرابلس فقاتله أهلها ثم تبين للبربر كذبه
 فقتلوه وحملوا رأسه إلى القائم .

وفاة القائم وولاية ابنه المنصور

وفي سنة (٣٣٤) أربع وثلاثين وثلاثمائة توفي القائم بأمر الله
 أبو القاسم بن عبيد الله المهدي العلوي لثلاث عشرة مضت من شوال
 وقام بالأمر بعده ابنه (اسماعيل) وتلقب بالمنصور بالله وكنى موته
 خوفاً أن يعلم بذلك (أبو يزيد) وهو بالقرب منه على (سوسة) .
 وأبقى الأمور على حالها ولم يتسم بالخليفة ولم يغير السكة ولا الخطبة
 ولا البنود وبقي على ذلك إلى أن فرغ من أمر أبي يزيد ؛ فلما فرغ
 منه أظهر موته وتسمى بالخلافة وعمل آلات الحرب والمراكب ، وكان
 شهياً شجاعاً وضبط الملك والبلاد وبعث العمال .

ولاية أبو الفتوح زيان الصقلي

وعقد لأبي الفتوح زيان الصقلي على طرابلس فقدمها وحسنت سيرته
 فيها ؛ وقد زاد في ارتفاع سورها وأتقنه من جميع جهاتها البرية والبحرية .

ذكر خلافة المعز بن المنصور العلوي

وفي شوال سنة (٣٤١) احدى وأربعين وثلثمائة توفي المنصور بالله اسماعيل بن القاسم أبو القاسم ، وتولى الامر بعده ابنه المعز لدين الله ، وأقام في تدبير الامور الى سابع ذي الحجة ، فأذن للناس فدخلوا عليه ، وجلس لهم فسلموا عليه بالخلافة ، وبعث العمال على البلاد .

ولاية عبد الله بن يخلف الكتامي

وجعل على طرابلس عبد الله بن يخلف الكتامي وكان أسيراً عنده . ولما مات « كافر الاخشدي » ممدوح « المتنبى » قدم (جوهر القائد) الى مصر من قبل (المعز) فملك مصر من غير ممانع (وأسس القاهرة) وذلك سنة (٣٦١) احدى وستين وثلثمائة . وبني (الجامع الازهر) .

ثم سار (المعز) من أفريقية يريد الديار المصرية في أواخر شوال من السنة المذكورة ؛ وكان أول رحيله من المنصورة فأقام بسرديانة وهي قرية قريبة من القيروان ولحقه بها رجاله ، وعياله ، واهل بيته ، وجميع ما كان في قصره من الاموال ، والامتعة ، وغير ذلك . حتى ان الدنانير سبكت وجعلت كهيئة الطواحين ، وحمل كل طاحونتين على جمل وسار عنها .

واستعمل على بلاد افريقية (يوسف بلكين بن زيري بلكين -
 بضم الباء الموحدة واللام وتشديد الكاف المكسورة وسكون الياء المثناة
 من تحتها وبعدها نون ؛ وزيري : بكسر الزاء وسكون الياء المثناة
 من تحتها وكسر الراء وبعدها ياء . - ابن مناد) الصنهاجي الحميري .
 الا انه لم يجعل له حكماً على مدينة (طرابلس) ولا (اجدابية)
 و (سرت) .

فأقام بسردانية أربعة أشهر حتى فرغ من جميع ما يريد . ثم
 رحل عنها ومعه (يوسف بلكين) وهو يوصيه بما يفعله . ثم رد
 يوسف الى أعماله وسار الى طرابلس ، ومعه جيوشه وحواشيه ،
 فهرب منه بها جمع من عسكره الى جبال نفوسة ، فطلبهم فلم
 يقدر عليهم .

ثم سار الى مصر فلما وصل الى « برقة » ومعه « محمد بن هاني »
 الشاعر الاندلسي قتل غيلةً ، فرئي ملقى على جانب البحر قتيلًا لا
 يدري من قتله . وكان من الشعراء المجيدين الا انه غلا في مدح المغز
 حتى كفره العلماء فمض ذلك قوله :

فكأنما أنت النبي محمد وكأنما أنصارك الانصار
 ما شئت لا ما شاءت الاقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

ومما ينسب اليه :

حلّ برقادة المسيح حل بها آدم ونوح

حل بها الله ذو المعالي فكل شيء سواه ربح^(١)

ثم سار المعز حتى وصل الاسكندرية في أواخر شعبان من سنة (٣٦٢) اثنتين وستين وثلاثمائة ، وأتاه أهل مصر وأعيانهم فلقبهم وأكرمهم وأحسن اليهم . وسار فدخل « القاهرة » خامس يوم من شهر رمضان هذه السنة ، وأنزل عساكره « مصر » و « القاهرة » وسكن بالقصرين وادعى الخلافة لنفسه دون العباسيين .

الشيخ أبو عثمان سعيد بن خلفون الحشاني

وفي هذه السنة توفي العارف بالله تعالى ، التائب العابد الورع الزاهد الشيخ (أبو عثمان سعيد بن خلفون الحشاني) .

ولد هذا الفاضل بطرابلس ونشأ بها واجتمع بكثير من الاولياء وأخذ عنهم . وكان رحمه الله تعالى من كبار الصوفية . حاوياً للعلوم الدنية ، والمعارف القدسية ، والاسرار العرفانية ، منقطعاً للعبادة وظهرت بركته فاشتهر فضله ، وذاع أرجه ، وفشى خبره ، حتى عرف (بالمستجاب) رحمه الله وتفقنا به آمين .

(١) قال متصفحه : هذا يدل على صحة ما نسبته اليهم من الاتحاد والزندقة والخلال المعقدة ؛ فان شاعره ما قال ذلك الا علماً بأنه يرضاه ويمتقده . قبح الله المادح والممدوح .

ذكر خلافة العزيز بالله نزار بن المعز

وفي سنة (٣٦٥) خمس وستين وثلاثمائة توفي المعز لدين الله ، وولي ابنه نزار بعهد أبيه ولقب (بالعزيز بالله) ، وأقر (يوسف بلكين ابن زيري) على ولاية أفريقية .

ولما كانت (طرابلس) من أعمال (مصر) ، وكان العامل عليها بعد رحيل المعز الى القاهرة (عبد الله بن يخلف الكتامي) رغب يوسف بلكين الخليفة نزاراً العزيز بالله ، ابن المعز ، في سنة (٣٦٧) سبع وستين وثلاثمائة ان يضيف اليه عمل (طرابلس) وسرت ، وأجداية) فأجابته لذلك وعقد له عليها ، ورحل عنها عبد الله بن يخلف الكتامي .

ولاية عوصلة بن بكار

وولي (يوسف بلكين) على طرابلس عوصلة بن بكار من خواص مواليه .

وفي سنة (٣٧٣) ثلاث وسبعين وثلاثمائة توفي يوسف بلكين بن زيري بواركش ما بين (سجلماسة) و (تلمسان) .

فبعث مولاه (أبو زغبيل) بالخبر الى ابنه (المنصور بن يوسف)
وكان والياً بأشير ، وصاحب عهد أبيه . فأقام بأمر صنهاجة من
بعده وقلده (العزيز بالله نزار بن المعز) أمر أفريقية والمغرب وكان
على سنن أبيه ، وعقد لأخيه (حماد) على (أشير) .

الشيخ ابو نزار خطاب البرقي

وفي هذه السنة توفي الاستاذ الكبير الصوفي العارف بالله
تعالى ، الشيخ أبو نزار خطاب البرقي .

ولد رحمه الله بطرابلس ونشأ بها ، وصحب العارفين من أهل
زمانه وأخذ عنهم ، وكان من أجلاء الشيوخ وأكابر العلماء العارفين
زاهداً فاضلاً . خاض في بحار الاحوال ونال اسرار المعارف ؛ وكانت
له كرامات خارقة ويخاطب في المنام بما يكون في اليقظة . رحمه
الله تعالى .

أبو عبد الله محمد بن حسن الزويلي السري

قال الفقيه أبو يزيد (عبد الرحمن) عرف الدباغ الانصاري في
(كتاب معالم الايمان) : سمع بأفريقية من (أبي عبد الله محمد بن
مسرور العسال) و (أبي محمد بن الحجاج) و (أحمد بن نصر اللباد)

و (محمد بن أبي المنظور القاضي) و (أبي العرب ابن تيم) و أحمد
ابن عبد الرحمن القصري) وغيرهم .

ورحل الى المشرق فسمع من (أبي اسحاق بن شعبان) وغير .
وكان من أهل العلم ، والقرآن ، والفرائض . وكان يجلس في
مؤخر الجامع ويجتمع اليه الناس ويفتي في المسائل وما تزوج قط
ولا تسرى .

صحب (مروان العابد) وكان مروان يقدمه للصلاة به .
وكان يسرد الصوم حتى ذهب بصره . وكان فقيراً صابراً على البأساء
والضراء .

ولما احتضر رأى بعض الجيران في داره جوارى يتلاعبن
فقال : لمن أنتن ؟ قلن : لهذا الشيخ ، نؤنسه حتى يخرج من هذه
الدار ! .

توفي سنة (٣٨٣) ثلاث وثمانين وثلاثمائة ، وقد بلغ خمسا وثمانين
سنة ودفن بباب سلم . انتهى .

أبو العباس عبد الله بن عبد الرحمن

الاجذابي المؤرخ

كان عالماً فاضلاً عارفاً بالتاريخ . وكان في كل فن واحد وقته ،
وتسبيح وحده ، مع صحبة للصالحين ، وكان ثقة .

توفي في السابع عشر من جمادى الاولى سنة (٣٨٤) أربع
وثمانين وثلاثمائة ، ودفن بباب سلم . وقبره معروف رحمه الله تعالى .
انتهى معالم الايمان .



(رجع) ثم توفي المنصور بن يوسف بلكين سنة (٣٨٥) خمس
وثمانين وثلاثمائة وقام بأمره ابنته (باديس) .

ثم اعترت العزيز بالله نزار الامراض ، واتصلت به الى ان مات
آخر شهر رمضان سنة (٣٨٦) ست وثمانين وثلاثمائة .

خلافة الحاكم بأمر الله أبي علي المنصور

وتولى الحاكم بأمر الله أبو علي المنصور فكتب (عوصلة بن بكر)
عامل (باديس بن المنصور) على طرابلس الى الحاكم بأمر الله بمصر
يرغب في الكون بحضرته وان يتسلم عمل طرابلس .

وكان (برجوان) الخادم يستبد على الدولة ، وكان يغص بمكان
(يانس الصقلي) منها . ولما تابعت رغبة عوصلة صاحب طرابلس
أشار (برجوان) ببعث يانس اليها .

ولاية يانس الصقلي

فعقد له الحاكم على طرابلس وامره بالتهوض الى عمله فوصل اليها سنة (٣٩٠) تسعين وثلاثمائة وأمكنه عامل باديس بن المتصور عوصلة بن بكار منها ولحق بمصر . وجاء الى الحاكم بأهله وولده وماله ، واطلق يد يانس على ما خلفه بطرابلس .

يقال ، كان له من الولد نيف وستون بين ذكر واثني ، ومن السراري خمس وثلاثون ، فتلقي بالبرية وهياً له القصور ورتب له الجراية ، وقلده دمشق وأعمالها ، فهلك بها لسنة من ولايته .

وبلغ الخبر الى (باديس) فأرسل الى يانس يسأله عن سبب وصوله الى طرابلس وقال له : ان كان الحاكم استعملك !. فارسل العهد لأقف عليه ... فقال يانس : انما ارسلني معيناً ونجدةً ان احتيج الي ومثلي لا يطلب منه عهد بولاية ، لمحي من دولة الحاكم !.

فخرج باديس القائد (جعفر بن حبيب) في العساكر لقتاله ، وزحف اليه يانس فكانت عليه الهزيمة وقتل يانس ولحق (فتوحه بن علي بن غفانان) - من قواد يانس - بطرابلس فامتنع بها ونازله جعفر بن حبيب المذكور وأقام عليها مدة .

ويُخبرنا هو محاصر له اذ وصله « كتاب يوسف بن عامر عامل قابس » يذكر أن (فلفول بن سعيد) نزل على (قابس) وأنه قاصد الى

(طرابلس) . فرحل جعفر عن البلد الى ناحية الجبل .

وجاء فلفول بن سعيد فنزل بكانه ، وضاعت الحال يجعفر وأصحابه
فارتحلوا مصممين على المناجزة قاصدين قابسا ، فتخلى فلفول عن
طريقهم وانصرفوا الى قابس .

ولاية فلفول بن سعيد بن خزون

وقدم فلفول مدينة طرابلس فتلقاء أهلها ونزل له فتوحة بن علي
عن إمارتها فملكها ووطنها من يومئذ . وفي سنة (٣٩١) احدى
وتسعين وثلاثمائة بعث بطاعته الى الحاكم .

فسرح الحاكم يحيى بن علي بن حمدون الاندلسي وعقد له على
أعمال (طرابلس) و (قابس) وأطلق له مالا على (برقة) . فلم يجد
يحيى فيها مالا ، فاختلف حاله فسار الى (فلفول) بطرابلس وارتحل
معه (فلفول) و (فتوحة بن علي بن غفانان) الى حصار (قابس)
فحاصروها مدة ورجعوا الى طرابلس .

أبو جعفر أحمد بن خلف الاجذابي

كان ذا فقه بارع وجدل وأدب وكرم نفس وطلاقة وجه وجميل
خلائق محبباً في الناس مع تهذيب . قلت : زاد غيره صالحاً ، فاضلاً ،
جليلاً ، صاحب أحوال سنية . وهمة عليه .

قال : توفي يوم الثلاثاء التاسع من جمادى الاولى سنة (٣٩١)
(احدى وتسعين وثلاثمائة) . انتهى معالم الايمان .



[رجع] وأقام يحيى بن علي بطرابلس مع فلفول الى سنة
(٣٩٣) ثلاث وتسعين وثلاثمائة .

ولما رأى يحيى بن علي الاندلسي ما هو عليه من قلة المال واختلال
حاله وسوء مجاورة فلفول وأصحابه له ، رجع الى مصر الى الحاكم
بعد أن أخذ فلفول وأصحابه خيولهم وما اختاروه من عددهم بين
الشراء والغصب ، فأراد الحاكم قتله ثم عفا عنه .

واستبد فلفول بعمل طرابلس وطالت الفتنة بينه وبين باديس
وأيس من صرينخ مصر ، فبعث بطاعته الى (المهدي محمد بن عبد
الجبار) بقرطبة ، وأوفد اليه رسلا في الصرينخ والمدد ، ومات فلفول
قبل رجوعهم اليه .

ولاية وروا بن سعيد

ولما مات فلفول سنة (٤٠٠) أربعمائة اجتمعت (زنانة) الى أخيه
وروا بن خزرون وولوه عليهم .

ثم زحف (باديس بن المنصور) الى طرابلس ولحق به من كان بها

من الجند فلقوه في طريقه ، وتمادى الى طرابلس . وأجفل وروا ومن معه من زناتة عنها . ودخلها باديس ونزل (قصر فلفول) وبعت اليه وروا بن سعيد ومن كان معه من زناتة الى طرابلس يسأل الأمان له ولقومه ، ويدخلون في طاعته ويجعلهم عمالاً كسائر عماله . فأمنهم وأحسن اليهم وأعطاهم (نفزاوة) و (قسنطينة) على أن يرحلوا من اعمال طرابلس ففعلوا ذلك .

ولاية محمد بن حسن

وولى (باديس) على طرابلس محمداً بن الحسن . ثم أن (وروا بن سعيد) خالف على باديس وزحف بمن كان معه من زناتة الى طرابلس ، وبرز له عاملها محمد بن حسن فتواقعوا ودارت بينهم حروب شديدة انهزم فيها وروا وهلك الكثير من قومه .

ثم راجع حصارها وضيق على أهلها ، فبعث الأمير باديس الى (خزرون بن سعيد) أخيه والى (النعيم بن كون) وأمراء الجريرد من زناتة بأن يخرجوا لحرب صاحبهم فخرجوا اليه ، وتواقعوا بعبرة موضع ما بين طرابلس وقابس . ثم اتفقوا ولحق أصحاب خزرون بن سعيد بأخيه وروا ، ورجع خزرون الى عمله واتهمه الأمير بالمداينة في شأن أخيه وروا واستقدمه من « نفزاوة » ، فاستراب وأظهر الخلاف اليه وسرح اليه (فتوحة بن أحمد) في العساكر ، فأجفل من عمله وأتبعه (النعيم) وسائر زناتة ولحقوا جميعاً بوروا بن سعيد سنة (٤٠٤)

أربع وأربعائة وتظاهروا على الخلاف ونصبوا الحروب على « مدينة طرابلس ». واشتد فساد زناتة فقتل الأمير باديس من كان عنده من رهن زناتة . واتفق وصول (مقاتل بن سعيد) نازعاً عن أخيه في طائفة من أبنائه وأخواله فقتلوا معهم جميعاً .

وفي سنة (٤٠٥) خمس وأربعائة بعث (وروا بن سعيد) الى الأمير باديس بطاعته .

ثم هلك وروا وانقسمت قومه على ابنه (خليفة) وأخيه (خزرون) بن سعيد ، واختلفت كلمتهم وفسد محمد بن حسن عامل طرابلس في التفريق بينهم .

ثم صار أكثر زناتة الى (خليفة) ، وناجز عمه خزرون الحرب فغلبه على (القيطون) وضبط زناتة ، وأقام فيهم بأمر أبيه وبعث بطاعته الى الأمير باديس بمكانه من حصار القلعة ، فتقبلها بالطاعة والانحياش وضمان السابلة وتشجيع الرفاق ، وان يحفظ عهده بطرابلس .

ولحق (خزرون) بن سعيد بمصر ونشأ بنوه سعيد وخليفة والمنتصر الآتي ذكرهم بها .

ثم في هذه السنة توفي باديس بن النصور بن يوسف بلكين بن زيري وولي بعد أمره أفريقية ابنه (المعز) ووصلت اليه الخلع والتقليد من (الحاكم بأمر الله العلوي) ولقبه شرف الدولة .

وهذا المعز بن باديس هو الذي حمل أهل المغرب على مذهب

(الإمام مالك رضي الله عنه) واستقدم (محمد بن حسن) عاملاً
طرابلس من عمله .

ولاية عبد الله بن الحسن

واستخلف المعز بن باديس بدل (محمد بن الحسن) أخاه عبد الله
ابن الحسن على طرابلس ، وقدم محمد بن الحسن على المعز بن باديس
وفوض إليه أمر المملكة وأقام على ذلك سبعة . وتمكن عند الأمير ،
ثم نكبه وقتله .

وفي سنة (٤٠٦) ست وأربعمئة حاصر طرابلس (خليفة بن
وروا) وأخذ في الضرب وواصل عليها الغارات ، ثم راجع حصارها
وضيق على أهلها الى أن كان من أمره ما يأتي ذكره !..

خلافة الظاهر بن الحاكم بأمر الله

توفي (الحاكم بأمر الله أبو علي النصور) قتيلاً بمصر لثلاث بقين
من شوال سنة (٤١١) إحدى عشرة وأربعمئة وتولى الظاهر أبو
الحسن علي بن الحاكم بأمر الله .

(رجع) ثم أن (خليفة بن وروا) لم يزل متادياً على أفعاله من
حصار « طرابلس » والضرب عليها الى سنة (٤١٤) أربع عشرة

وأربعمئة . وفيها بلغ الخبر الى (عبد الله بن الحسن) عامل طرابلس
نكبة أخيه محمد بن الحسن وقتله « فانتقض لذلك على الأمير المعز
بن باديس .

ولاية خليفة بن وروا

وأمكن خليفة بن وروا وقومه من مدينة « طرابلس » ، فقتلوا
(الصنهاجيين) واستولوا عليها ، ونزل خليفة بن وروا « قصر عبد الله
بن الحسن » وأخرجه عنه واستصفى أمواله وحرمه ، واتصلت ولاية
خليفة بن وروا وقومه بنو خزرون بطرابلس .

وخاطب الخليفة بالقاهرة الظاهر بن الحاكم سنة (٤١٧) سبع
عشرة وأربعمئة بالطاعة ، وأن يحفظ عهده على « طرابلس » فأجابه
الى ذلك وأقره في عمله .

وأوفد في هذه السنة أخاه (حبادا) على المعز بن باديس بهدية
فتقبلها وكافأه عنها . واتصل ملك خليفة بن وروا وقومه من (بني
خزرون) الزناتيين بطرابلس الى أن وصل العرب اي (بنو هلال)
و (بنو سليم) .

خلافة المنتصر بالله ابي تميم بن الظاهر

توفي الظاهر أبو الحسن علي بن الحاكم سنة (٤٢٧) سبع وعشرين

وأربعائة وتولى المنتصر بالله أبو تميم بن الظاهر .

الشيخ أبو الحسن المنمر

وفي سنة (٤٣٢) اثنتي عشرة وثلاثين وأربعائة توفي الاستاذ أبو الحسن ابن المنمر .

ولد رحمه الله بطرابلس سنة (٣٤٨) ثمان وأربعين وثلاثمائة ونشأ بها وحفظ القرآن وأخذ عن جماعة من المشايخ بها ورحل الى المشرق وحج في عامة ولقي بمكة الشيخ (أحمد بن زريق البغدادي) وأخذ عنه وروى عن (أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الجوهري) ثم عاد الى طرابلس ودعا الى الله وقرر العلوم الشرعية أصولاً وفروعاً ، وكان رحمه الله من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء . متقناً لعلم الحديث وما يتعلق به عارفاً بالنحو واللغة ؛ ومن المشهورين في علوم الفرائض والهيئة واليقات . وله تأليف كثيرة في الأزمنة ، وله الكافي في الفرائض . وأقام بطرابلس الى سنة ثلاثين وأربعائة ثم رحل الى « غنيمة » قرية بمسلاته من عمل (طرابلس) فأقام بها سنتين ومات بها ودفن على الجادة . وقبره معروف يزار ؛ رحمه الله تعالى .

ولاية سعيد بن خزرون

وفي سنة (٤٣٣) ثلاث وثلاثين وأربعائة قدم سعيد بن خزرون

من مصر ولحق بطرابلس وأقام في نواحيها . ثم قدم طرابلس ومعه
عسكر زناتة . وأجفل (خليفة بن وروا) منها ، وتولى سعيد بن
خزرون أمر طرابلس .

أبو عبد الله الحسين بن عبد الرحمن الاجذابي المؤرخ

كان فاضلاً ، واحد زمانه علماً وفضلاً ، وكان ثقةً ثبتاً . يروي
عن (أبي بكر بن أبي عقبة) وعن (جبلة بن حمود) وعن (أبي
الحسن القاسبي) و (أبي العباس بن أبي العرب) . وعنه اخذ (أبو
بكر بن محمد المالكي) وغيره .

توفي يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة (٤٣٢) اثنتين وثلاثين
واربعائة ودفن قرب (البهلول بن راشد) رحمه الله تعالى . انتهى
معالم الايمان .

الخبر عن دخول العرب من بني هلال وسليم الى أرض أفريقية

وفي سنة (٤٤٣) ثلاث واربعين واربعائة انتقض (المعز بن
باديس) دعوة العبيديين خلفاء مصر بأفريقية وخطب للقائم العباسي

خليفة بغداد ، وقطع الخطبة من (المستنصر بالله العلوي) ووصلت اليه من (القائم) الخلع والاعلام على طريق القسطنطينية في البحر .

وذلك أن (المعز بن باديس) كانت أذنه صاغية الى مذهب أهل السنة ، وربما كانت شواهدهما تظهر عليه . وكبا به فرسه في أول ولايته لبعض مذاهبه فنادى مستقيماً بالشيخين (أبي بكر ، وعمر) رضي الله عنهما . فسمعتهم العامة ، وكان جمهورهم سنية ، فثاروا بالرافضة وأوقعوا بهم ، وأعلنوا بالمعتقد الحق ونادوا بشعار الايمان وقطعوا من الآذان (حي على خير العمل) . وكانت هذه الواقعة في أيام (الظاهر العبيدي) والد المستنصر بالله ، فكاتب (المعز بن باديس) في ذلك ، فاعتذر اليه بالعامية ، فأغضى عنه الظاهر من ذلك ، وابنه المستنصر من بعده . واستمر (المعز بن باديس) على اقامة الدعوة لهم والمهاداة معهم ، وهو في اثناء ذلك يكتب وزيرها القائم بامور دولتها (أبا القاسم أحمد بن علي الجرجاني) ويستميله ويعرض (ببني عبيد) وشيعتهم وينفض منهم . ثم هلك الوزير أبو القاسم سنة ست وثلاثين وأربعمائة ، وولي الوزارة بعده (أبو محمد الحسن بن علي اليازوري) أصله من فلسطين وكان أبوه فلاحاً بها . فلما ولي الوزارة خاطبه المعز بن باديس دون ما كان يخاطب به من قبله من الوزراء . كان يقول في كتابه اليهم « عبدكم » وصار يقول في كتاب اليازوري « صنيعتكم » فحقق ذلك عليه وصارت القوارص تسري من بعضهم الى بعض الى أن أظلم الجو بين (المعز بن باديس) وبين (المستنصر العبيدي) ووزيره اليازوري فقطع المعز بن باديس الخطبة بهم على منابرہ سنة (٤٤٣) ثلاث وأربعين وأربعمائة . وبلغ

الخير بذلك الى المستنصر بالله بالقاهرة فقامت قيامته ، ففاوض وزيره
أبا محمد اليازوري في أمر المعز بن باديس فأشار اليه باصطناع (بني
سليم) و (بني هلال) ، والتقدم الى مشايخهم وتوليئهم اعمال أفريقية
وتقليد أمرها ، فان صدقت المخيلة في ظفرهم بالمعز وصنهاجة كانوا
أولياء للدولة وعمالاً بتلك القاصية ؛ وان كانت الاخرى فلها ما بعدها ؛
وأمر العرب أسهل من صنهاجة . فبعث المستنصر وزيره الى هؤلاء
الاحياء ، وأرضخ للأمراء العطاء ووصل عامتهم بغيراً وديناراً ، لكل
واحد منهم . قال لهم : « قد اعطيتكم المغرب وملك المعز بن باديس
الصنهاجي ! » فطمعت العرب لذلك وأجازوا النيل الى (برقة) ونزلوا
بها واقتحموا أمصارها واستباحوها ، وخربوا (أجداية) و (سرت)
و (المدينة الحمراء) وكان من خبرهم ما يأتي ذكره :

التعريف ببرقة وأجداية

(أجداية) بالفتح وهي مدينة في الصحراء قريبة الى (برقة)
وبينها وبين طرابلس نحو خمس عشرة مرحلة . وفيها آثار الابنية
العظيمة والقصور الجسيمة . قال البكري : أن هذه المدينة أرضها
حجرية وبها عين عذبة ونخل وبساتين . ينبت بها شجر الاراك دون
باقي الاشجار . وبها جامع منارته مئنة الشكل وحمامات وفنادق
وأسواق . وأهلها أصحاب يسار . ولها مينا تعرف « بالبحور » بعيدة
عنها بثمانية عشر ميلاً . ولها ثلاث قلاع . وسقوف منازلها قباب من
الطوب لمقاومة الرياح الشديدة في تلك الجهة .

وقال الاستاذ ابو سالم العياشي رحمه الله تعالى ما نصه : و « بلد
(أجدابية) آثار عمارة كثيرة وآبار عظيمة منقورة في الحجر وبنيان
معامل بالحجر المنحوت ؛ وهناك رسم مسجد قديم تهدم . ووجدنا في
بعض حجاراته تاريخ بنيانه بنقش « ثلاثمائة » .

« لطيفة » قد أخبرني شيخنا سيدي « محمد بن مساهل » عن بعض
الشايع ان الامام سحنونا كان مدرساً بهذا المسجد ثلاث سنين (١) .
وهذه المدينة هي مدينة برقة المذكورة في كتب الفقه . وقيل إنها
مدينة بالجليل الأخضر في الجانب البحري . وقد أخبرني صاحبنا سيدي
« عبد الله بن غلبون » أنه رآها وأن رسومها تدل على عمارة قوية ،
وبها أثر سور وأبراج ورخام كثير . وقال لي : ان بها قبر صحابي .
فقد نص المؤرخون على أن « رويض بن ثابت بن السكن الانصاري
التجاري » من الصحابة قد توفي ببرقة وهو امير عليها من قبل « مسلمة
ابن مخلد » وقتل ببرقة أيضاً من الصحابة « زهين بن قيس البلوي »
ندبه « عبد العزيز بن مروان » الى برقة فلقى الروم فقاتل حتى
قتل . فان صح هذا القبر قبر الصحابي المذكور ، فتلك مدينة « برقة »
المشورة لا « أجدابية » ، والأمر في ذلك قريب ؛ فان بين المدينتين
نحواً من خمسة ايام فكلاهما يصح أن يقال بينهما وبين كل من
« مصر » و « افريقية » شهر ؛ اذ بذلك يعرفها الفقهاء . الا أن التي في

(١) رقتل الفاضل أبو عبد الله محمد الاندلسي في تاريخ الحلل السندية ما
نصه « رذكر حديس بن القطان انه سمع من سحنون بن سعيد يقول سمع مني العلم
سنة احدى وتسعين ومائة أهل أجدابية ا » .

الجبل أقرب الى مسمى المدينة لما بازائها من المياه والاماكن المخصصة والمزارع الكثيرة والغياض الملتفة من انواع الاشجار ، بخلاف (أجداية) ، فانها في صحراء من الارض مقفرة . والله اعلم بغيبه . ومسمى برقة على التعيين عند عرب البلد اليوم هي مسيرة ستة أيام من المنعم الى سلوك ، فيها رسوم ابنية كثيرة . واطلاق برقة على ما سواها مجاز علاقته المجاورة ، وهذا مما يقي ان مدينة برقة هي أجداية ، وبازاء المسجد الذي بها قبر محوط عليه بالحجارة يزار ، يقال لصاحبه (سيدي يونس) وهو من عرب الفواخر . اهـ^(١) .

(١) قال متصفح : قد سرت في هذه الديار من المدينة التي بها قبر الصحابي المذكور ونواحيها الى الاسكندرية فما رايت بقعة من هذه المسافة الطويلة التي هي نحو شهر الا وها من اثار العمارة والباثين ما رضعه على شكل اوضاع اهل الهندسة المتقنين . فلو قال قائل : ان هذه المسافة المديدة كانت كلها مصرأ واحداً مشتملا على اجزاء ومحال عظيمة ما بعد . هذا كله من جهة التلؤل والشطوط وما يقاربا بنحو اليوم واليومين من جهة الصحراء .

وكذلك سرت في صحرائها من المدينة المذكورة الى اودية الواحات التي بيئها وبين « فيوم مصر » اربعة ايام رمال ومفاوز مهلكة . فرايت في تلك المفاوز من المناهج والمالك والطرق المفضية الى اودية عظيمة لا انيس بها ولا اثر ما ، يكون مقدار المنهج الواحد منها نحو اربعين طريقاً متلاصقة متبارية ، حتى انك ترى المنهج منها مضيقاً في الليلة المظلمة . ولا شك ان هذه الطرق كانت من عمارات عظيمة الى مثلها قد طيحتها الدهر بعد اهلها بكللكه . واخنى عليها الذي اخنى على لبد . وليس السير في تلك المفاوز باهين الا على الفتيان الانجاد الذين لا يتأملون في العواقب . فاني والله ، كنا خطر ببالي سفري في تلك المهامة اقشعر جلدي . رقف شعري . وسبحان مالك الارض وما عليها ، كل شيء خالك الا وجهه ، له الحكم واليه ترجعون . اهـ

التعريف بمدينة سرت

مدينة (سرت) بضم السين وكسرهما كائنة بداخل السرت الكبير في نصف الطريق التي بين مسراته وبنغازي . واسم (سرت) يطلق على ساحل السرت الكبير الذي جزؤه الشرقي يسمى (جون الكبريت) . وقال البكري : ان مدينة (سرت) كائنة على ساحل البحر ، يحيط بها سور من الطوب وبها جامع وحمام وبعض اسواق ؛ ولها ثلاثة ابواب : القبلي والبحري والثالث صغير يشرف على البحر . وبها نخل وبساتين وآبار عذبة الماء وعدد كثير من الصهارج . ويذبح بها المعز ولحمه جيد أحسن ما يؤكل ، وأهلها أخبت الناس أخلاقا ، معاملتهم سيئة جدا لهم أسعار مقررة بينهم . فاذا رست سفينة بمرساهم وكان بها زيت مثلاً وكانوا في أشد الاحتياج اليه فانهم يتخذون قربا فارغة ويسدون أفواهها بعد النفخ ويلبسون بها الدكاكين يوهمون أصحاب السفينة انهم غير محتاجين الى هذا الصنف . فاذا أطلوا المقام بهذه المرسى فانهم يبيعون بضاعتهم بالأثمان التي قرروها بينهم بلا زيادة . ولدناءة طباعهم يقال لهم (عبيد قرلى) نسبة لطير صغير يضرب بشرافته وحرصه المثل ، فانه يكون في الجو كالشاهين ينظر بعين الى الماء وبأخرى الى السماء ، فان نظر سمكة انقض عليها كالسهم وان رأى طيراً جارحاً في الجو يقصده هرب منه ، وقيل في المعنى :

يا من جفاني وملا نسيت أهلا وسهلا

وما ترجبت لما رأيت مالي قلا
اني أظنك تحكي بما فعلت القرلى

ولسانهم ليس بعربي ، وأطوارهم تخالف أطوار أهل طرابلس . لأن
اخلاق أهل طرابلس سهلة صادقون في المعاملة مع الأعراب وغيرهم .
ومن هذه المدينة الى طرابلس مسيرة عشر أيام .

ذكر المدينة الحمراء

المدينة الحمراء كائنة في صحراء برقة حمراء التربة ، والمباني
فتحمر لذلك ثياب سكانها والمتصرفين فيها ، وعلى ستة أميال منها
الجيل الأخضر ، وهي دائمة الرخاء كثيرة الخير تصلح بها السائمة
وتنمو على مرعاها . اهـ

[رجع] وأعجبتهم البلاد فكتبوا لآخوانهم الذين بقوا شرقي
النيل يرغبونهم في البلاد ، فاجازوا اليهم وتقارعوا على البلاد فحصل
لبنى (سليم بن منصور) شرقها ولبنى (هلال بن عامر) غربها .
ثم انتشروا في أقطار أفريقية وقطعوا أشجارها وحاصروا المدن .
وكانوا كالجراد المنتشر لا يمرون بشيء الا أتوا عليه ، فعتوا في البلاد
وأظهروا الفساد . وبالجمله فلم تمر الا مدة يسيرة حتى استولوا على
ضواحي افريقية ونازلوا أمصارها ، والحديث في ذلك طويل ليس
تتبعه من غرضنا .

ثم اعلم ان أمة العرب تنقسم أولاً الى قسمين (عدنان)

و (قحطان) ثم يتقسم كل من عدنان وقحطان الى شعبين عظيمين
فاما (عدنان) وهم الاسماعيلية ذرية (اسماعيل بن ابراهيم) عليها
الصلاة والسلام فينقسمون الى (ربيعة) و (مضر) واما قحطان وهم
اليمانية ذرية (قحطان) بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن
(نوح) عليه السلام فينقسمون الى (حمير) و (كهلان) .

ثم ينشعب كل من هذه الشعوب الاربعة الى قبائل وعوائل وبطون
وافخاذ وفصائل لا حصر لها ، لكننا نلج على الغرض المقصود منها
فنتقول : من جملة قبائل مضر (بنو هلال) بن عامر بن صعصعة بن
معاوية بن بكر هوازن بن (منصور) بن عكرمة بن خصفة بن قيس
ابن عيلان بن مضر ومن قبائلها (بنو سليم) بن منصور المذكور ، وما
لها في هذا العهد من بطونهم اربعة بطون (عوف) و (ذباب)
و (زعب) و (هبيب) .

فاما (زعب) بكسر الزاي - فابن ناصر بن حفاف بن قيس بن
بهنة بن سليم .

واما (عوف) فابن بهنة بن سليم . و (ذباب) فابن مالك بن بهنة
ابن سليم و « هبيب » فابن بهنة بن سليم ومواطنهم من وادي قابس الى
العقبة والصغيرة والمرج الى العقبة الكبيرة .

فمن بطون « عوف » العلالقة بنو علاق بن عوف ومساكنهم
الآن بنواحي « ابي عجيلة » . ومن بطون « ذباب » « اولاد احمد »
ابن ذباب ومواطنهم غربي قابس وطرابلس الى برقة . و « بنو جابر »

ابن فاتك بن رافع بن ذباب مشاركون لاولاد احمد في هذه المواطن
وهم ثلاثة بطون .

« الصهب » - بسكون الهاء - بنو صهب بن جابر واخوتهم
« الحمادية » بنو حمدان بن جابر واخوتهم « العوامر » بنو عامر
ابن جابر .

« والخرجه » - بسكون الراء - بطن من آل سليمان اخرجهم
آل سليمان من مواطنهم بسلاته فحالفوا هؤلاء ونزلوا معهم .
« والاصابعة » نسبة الى رجل ذي اصبع زايد ولم يذكر التيجاني لأي
بطن ينتسبون .

ومن بني جابر « النوائل » بنو نائل بن عامر بن جابر واخوتهم
اولاد « سنان » بن عامر واخوتهم اولاد « وشاح » بن عامر وهم
بطنان عظيمان .

و « المحاميد » بنو محمود بن طوب بن بقية بن وشاح ومواطنهم ما بين
قابس ونفوسة وما الى ذلك من الضواحي والجبال ؛ ومنهم « بنو
رحاب » بن محمود . ومنهم « اولاد سباع » بن عطية بن رحاب .
و « الجراره » بنو جرير بن محمود ومواطنهم ببرقة و « اولاد معرف »
بن عطية بن رحاب بن محمود و « اولاد راشد » بن معرف ومواطنهم
يجبل نفوسة . و « اولاد علي » بن راشد ومواطنهم ببرقة .

والبطن الاخرى من الوشاحيين « الجواري » بنو حميد بن جارية

ابن وشاح ومواطنهم طرابلس وما إليها مثل « تاجوراء » و « جنزور » ومنهم بنو « صابر » بن عسكر بن حميد وبنو « مرغم » بن صابر وبنو « علي » بن مرغم ومواطنهم بترهونة . ومن اولاد وشاح « التميم » بنو تميم بن عمر بن وشاح ومواطنهم بسرت وبنو « حريز » بن تميم واولاد « قايد » بن حريز . ومن اولاد وشاح بطنان آخران صغيران مندرجان مع الجواري والمحميد وهما « الجواربة » بنو جراب بن وشاح و « العمور » بنو عمر بن وشاح هكذا زعم التيجاني في العمور .

وفي « ذباب » بطون اخر ناجعة في القفر ومواطنهم مزاحمة الى جانب الشرق عن موطن الوشاحيين فمنهم « آل سليمان » بن وهب بن رافع بن ذباب ومواطنهم قبلة مغرا وغريان . ومنهم « الزوايد » اولاد زايد بن سليمان ومواطنهم بسرت وما لها من تلك الضواحي والارياف ومعهم امم من « العبدلة » و « الحسون » ولم اقف على نسبهم فيمن هو . ومن بطون آل سليمان اولاد « نصر » بن زايد واولاد « حامد » بن حماد بن نصر .

واخوتهم اولاد « سالم » بن وهب بن رافع ومواطنهم بلاد مسراته ومسلاته وشعوب آل سالم بن وهب « العلانة » واولاد « مرزوق » و « الاحامد » و « العيايم » وقد اخبرني من اثق به ان البراهمة واخوتهم اولاد غيث من بطون العيايم . ومن بطون آل سالم بنو « معلا » بن قليته بن قماص بن سالم و « المرازيق » بنو مرزوق بن معلا وبنو « غلبون » بن مرزوق واولاد « ستان » بن عثمان بن

غلبون واما « بنو زعب » الاكبر بن نصر فمن بطونهم « بنو قره »
ومساكنهم ببرقة و « العزه » بنو عزاز بن ربيعة بن عامر بن مالك
بن زعب . قال الفاضل « ابن خلدون » فيما ادري نسبهم فيمن وترعهم
نسابة الهلالين انهم (لربيعة) بن عامر وبعضهم يقول انهم بنو
(كعب) بن سليم ومنهم بني (جعفر) بن كلاب بن ربيعة بن عامر .

ومن بطون (لبيد) بن لعة بن جعفر المذكور (الندوة)
و (السوالم) و « النوافله » ومواطنهم طرابلس وما يليها واخوتهم
« البركات » و « البلايش » و « البشرة » و « الحوتة » و « أولاد
سلام »^(١) ومواطنهم فيما بين برقة والعقبة الكبيرة .

و « أولاد مقدم » ينسبون الى « لبيد » هذا . وبعضهم يقول فيه
« مقدم » بن عزاز بن ربيعة ومنازلهم ما بين العقبة الكبيرة
والاسكندرية وهم بطنان « أولاد التركي » و « أولاد قايد » .

وتجاذب هؤلاء الأحياء في مواطنهم من الجهة القبلية « الناصرة » وهم
بطون ناصرة بن حفاف بن أمريء القيس بن هينة بن سليم .

ومن بطون « زعب » بنو « رياح » بن ابي ربيعة بن نهيك بن

(١) قال متصفحه : و « أولاد سلام » الالف ثلاث قبائل « البهجة »
و « الافراد » و « الهنادي » ومنازلهم الالف بالشرقية من مصر و « الحوتة »
بطون كثيرة منازلهم الالف من برقة الى الريف ، صح .

هلال بن (عامر) المذكور ومواطنهم بضواحي فزان مما يلي « سوكنة » .
ومن بطون رياح (مسعود) بن زمام بن وردريقي بن داود بن مرداس
ابن (رياح) المذكور ؛ وكانوا نازلين ببلاد الهبط ما بين قصور كتامة
الى ساحل البحر الاخضر . وفر مسعود هذا من بينهم في ثمة من قومه
سنة (٥٧٠) سبعين وخمسة و اجتمع اليه بنو رزق أخيه ولحقوا
بطرابلس ونزلوا على زعب وذباب .

ومنهم (أولاد شبل) بن موسى بن محمد بن مسعود المذكور ،
و (أولاد سباع) بن شبل ومنازلهم جبل نقوسة وما إليه من
من تلك الضواحي . وتجاورهم في مواطنهم من الجهة القبلية أمم من
(الخطان) و (المقارحة) منتبذون في القفر من تخوم فزان ينتجعون
ويصعدون الى أطراف التلول مما يلي الوادي الغربي ، ولم أقف على نسبهم
فيمن هو .

وأما « بنو هبيب » بن بهنة بن سليم ، فمواطنهم من أول أرض
برقة الى العقبة الصغيرة والمرج من جهة الاسكندرية ، ومنهم (بنو
حميد) بن هبيب لهم أجدابية وجهاتها . وفي شرقيهم الى العقبة الكبيرة
والصغيرة أخوتهم بني (احمد) بن هبيب .

وبني (محارب) بن هبيب ذكرهم في العبر ولم يرفع في نسبهم .
وقال : ديارهم ببرقة في الشرق وينتمون (بآل جعفر) بن كلاب
ابن ربيعة بن (عامر) ، ومعهم حي (رواحه) ينتمون (بآل زيد)
ويقال لهم من (جعفر) أيضاً ، ومعهم (بنو فزارة) . قال ابن سعيد :

ومن غطفان (محارب) و (رواحة) و (فزارة) فجعل هؤلاء
الاحياء من غطفان .

ومعهم أمم من (بني شمال) قال ابن خلدون : ولا ادري نسبهم
فيمن هو وهم يقولون من (عزاز) بن كعب بن سليم . وقوم يقولون
من (بني احمد) بن هبيب ، وقوم يجعلونه (في فزارة) .

معهم « بني جعفر » وهم ينتسبون تارة في « العزة » وتارة في
« فزارة » . قال ابن خلدون : والصحيح في نسبهم أنهم من « سدراتة »
احد بطون هواره سمعته من كثير من نسابتهم .

(رجع) ثم جمع المعز بن باديس ما يزيد على ثلاثين ألف فارس
والتقى معهم فهزموه ، ودخل (المعز) القيروان . ثم جمع المعز وخرج
اليهم والتقوا وجرى بينهم قتال عظيم ، ثم انهزمت عساكر المعز وكثر
القتل فيهم ووصلت العرب القيروان وأقاموا يحاصرون البلاد وينهبونها
الى سنة (٤٤٦) ست وأربعين وأربعائة .

ولاية خزرون بن خليفة

وفي هذه السنة قُتل عامل طرابلس (سعيد بن خزرون بن سعيد)
وقدم الى ولايتها خزرون بن خليفة بن وروا ، فأمكنه منها رئيس
الشورى وبها يومئذ من الفقهاء : (أبو الحسن بن المنتصر) المشتهر
بعلم الفرائض ، وتمكن خليفة بن خزرون من ولايتها .

ولما تغلب (العرب) على أفريقية وانحل نظام الحكومة الصنهاجية ارتحل المعز بن باديس من القيروان الى المهديّة وذلك سنة (٤٤٩) تسع وأربعين وأربعمائة . واضطربت أفريقية ناراً ، وامتنع الكثير من البلاد على (أمراء آل باديس) وتصرم الملك بيد (المعز بن باديس) وتغلب (عائد بن أبي الغيث) على تونس .

ولاية المنتصر بن خزرون

أقام (خزرون بن خليفة بن وروا) في عمل طرابلس الى سنة (٤٥٠) خمسين وأربعمائة . وفي ربيع الأول منها ثار عليه (المنتصر ابن خزرون بن سعيد) وزحف اليه في جموع من قومه ، ففر خزرون ابن خليفة من طرابلس مختفياً وملكها المنتصر بن خزرون وأوقع بأبي الحسن ، ابن المنتصر ونفاه .

وفي سنة (٤٥٤) أربع وخمسين وأربعمائة توفي (المعز بن باديس) وأقام بأمره ابنه (تميم) وغلبته العرب على أفريقية فلم يكن له الا ما ضمه السور .

ثم زحف (المنتصر بن خزرون) مع بني عدي من قبائل هلال مجلباً على (بني حماد) امراء صنهاجة بالقلعة حتى نزل (المسيلة) ودخلوا (أشير) ، ثم خرج اليهم (الناصر) من (آل حماد) ففر المنتصر أمامه الى الصحراء ورجع (الناصر) الى القلعة .

فرجع (المنتصر) الى الأجلاب على أعماله فراسله (الناصر) على الصلح وأقطعه ضواحي الزاب وريفه . وأوعز الى (عروس بن هندي) رئيس بسكرة لعهده أن يكرهه ، فلما وصل المنتصر الى (بسكرة) أنزله عروس بن هندي فقتله غيلة سنة (٤٦٠) ستين وأربعمائة .

ولاية خليفة بن خزرون

وولي على طرابلس أخوه خليفة بن خزرون بن سعيد . وكان من خبره ما يأتي ذكره :

محمد بن أبي سعيد بن شرف الأجدابي

قال في (كتاب معالم الايمان) ما نصه :

الفاضل أحد من نظم قلائد الأدب وجمع اشات الصوب وتلاعب بالمشور والموزون تلاعب الريح بأعطاف الغصون .

خرج من القيروان عند اشتداد فتنة العرب عليها ، وذلك في سنة (٤٤٧) سبع وأربعين وأربعمائة ، وقدم الأندلس وسكن (المرية) وغيرها . وتردد على ملوك الطوائف بها بعد مقارعة أهوال ومباشرة خطوط طوال .

ولابن شرف هذا عدة تواليف أفاضها بجاراً وأطلعت شمساً
وأقماراً . منها كتابه الموسوم (بأعلام الكلام) و (كتاب أبحار
الافكار) وغير ذلك من تواليفه التي تشهد بذكائه . وكان من أعقل
الناس وأحزمهم .

استنمضه (ابن رشيقي) مع منافرة كانت بينهما بأن يجتمعا بالطريق
ويحوزا معاً الى (الاندلس) فأنشد ابن رشيقي :

فما يبعثني في أرض أندلس ساع « مقتدر » فيها و « معتضد »
ألقاب مملكة في غير موضعها كاهل يحكي انتفاخاً صورة الأسد

فأجابه ابن شرف رحمه الله تعالى :

ان ترمك الغربية في معشر قد جبل الطبع على بغضهم
فدارهم ما دمت في دارهم وأرضهم ما دمت في أرضهم

وله رحمه الله تعالى ورضي عنه من قصيدة :

كُست قناع الشيب قبل اوانه وجسمي عليه للشباب وشاح
ويا رب وجه فيه للعين نزهة أمانع عيني منه وهو مباح
وأهجره وهو اقتراحي من الورى وقد تهجر الامواه وهي قراح

وله في هذا كلام طويل وفيما ذكرناه دلالة عليه . ولأبي عبد الله
محمد بن شرف هذا رواية عن (الشيخ أبي الحسن القاسبي) وذكره
(الشيخ ابو الوليد الباجي) وأثنى عليه ، ووصفه بالعلم والذكاء وان
« علم الأدب » من بعض علومه . انتهى .

خلافة المستعلي بالله أبي القاسم أحمد بن المنتصر

توفي « المنتصر بالله أبو تميم معد بن أبي الحسن علي الظاهر لاعزاز دين الله العلوي » صاحب مصر والشام . وكانت خلافته ستين سنة وأربعة أشهر في ثامن ذي الحجة سنة « ٤٨٧ » سبع وثمانين وأربعمائة . وتولى المستعلي بالله أبو القاسم أحمد بن المنتصر بالله .

ولم يزل « خليفة بن خزرون » والياً على طرابلس الى سنة « ٤٨٨ » ثمان وثمانين وأربعمائة وقد اشتد عسفه وقويت وطأته .

ولاية شاهملك

وفي هذه السنة قدم طرابلس شاهملك في مائة فارس من مصر . وكان شاهملك هذا من اولاد بعض الأمراء الاتراك ببلاد المشرق . فناله في بلده أمر اقتضى خروجه منها فصار الى مصر في مائة فارس فأكرمه « الأفضل » أمير الجيوش بها وأعطاها أقطاعاً ومالاً .

ثم بلغه عنه أسباب أوجبت اخراجه من مصر فخرج هو وأصحابه هاربين ، فاحتالوا حتى اخذوا سلاحاً وخيلاً وتوجهوا الى المغرب ، فوصلوا الى « طرابلس الغرب » وأهل البلد كارهين لوالها فأدخلهم البلد وأخرجوا الوالي وصار « شاهملك » أمير البلد .

فسمع « تميم بن المعز بن باديس » الخبر فأرسل العساكر اليها وحاصروها وضيقوا على شاهمك وقومه حتى فتحوا البلد ثم قفل الجند بشاهمك الى « المهديّة » .

ولاية محمد بن خزرون بن خليفة

وولي على طرابلس محمد بن خزرون بن خليفة وروا واستخلص لخدمته جماعة من مشيخة « بني مطروح » وصرف اليهم وجوه اقباله . وكانت لهم عنده أثرة واختصاص ، وحظ في الظهور ، والتقدم في بطانته ؛ وفوض اليهم تدبير الامور ، والرياسة على الحامية . وانتهت اليهم الرياسة في البلد الى ان كان من أمره ما يأتي ذكره :

خلافة الأمر بأحكام الله أبي المنصور

وفي سنة (٤٩٥) خمس وتسعين وأربعمائة توفي « المستعلي بالله أبو القاسم احمد بن المنتصر » وولي الأمر بأحكام الله أبو علي المنصور ابن المستعلي .

وتوفي « تميم بن المعز بن باديس » سنة « ٥٠١ » احدى وخمسمائة . وكان شهياً ، شجاعاً ، ذكياً ، محباً للعفو ، وله شعر حسن ، حسن السيرة ، محباً للعلماء مقبلاً على الشعراء وأهل الأدب ، حتى قصدته الشعراء وغيرهم على بعد بلادهم . ومدحه أبو علي بن الحسن بن

رشيقي القيرواني ببيتين أحببت ذكرهما وهما من الطويل وضربه
المحذوف .

أصح وأقوى ما سمعناه في الندى من الخبر المأثور منذ قديم
أحاديث ترويهما السيول عن الحيا عن البحر عن كف الأمير تميم

وكان تميم هذا له فضائل كثيرة وله أشعار جيدة . ومما يستجد
من شعره قوله من أول الوافر المقطوفة كضربها .

وخمر قد شربت على وجوه اذا وُصفت تجل عن القياس
خدود مثل ورد في ثغور كدرّ في شعور مثل آس

وقال ايضاً :

فدعوت ربي أن خير وسيلتي يوم المعاد شهادة' الاخلاص



وولي ابنه « يحيى » أفريقية وراجع طاعة العبيديين ووصلته
المخاطبات والهدايا من « الأمر بأحكام الله » . ثم هلك فجأة في قصره
سنة « ٥٠٩ » تسع وخمسة ، وولي ابنه « علي » وقام بالأمر الى أن
توفي سنة « ٥١٥ » خمس عشرة وخمسة ؛ وله حروب ووقائع تدل
على علو همته مبسوطه في كتب التواريخ لا حاجة لنا بذكرها .

وولي أفريقية ابنه « الحسن » غلاماً ابن اثني عشرة سنة . فقام
بأمره وليه « صندل » لأنه كان حينئذ لا يستقل بتدبير الحكومة .

فقام صندل في الحفظ والاحتياط فلم تطل أيامه حتى توفي وقام
بأمره قائد من أصحاب أبيه يقال له أبو عزيز موفق .

وفي مدة الحسن هذا كانت فتن كثيرة . وتطلب النصارى على كثير
من ممالكهم ووقع بينه وبينهم حروب ووقائع يطول ذكرها ، ولم يبق
بيد الحسن الا المهديّة فنزل بها .

خلافة الحافظ لدين الله عبد المجيد

وفي سنة أربع وعشرين وخمسة توفى (الأمر بأحكام الله أبو علي
المتصور) وولي الحافظ لدين الله عبد المجيد بن محمد بن أبي تميم المتصور
بإلهامه .

وكان أهل طرابلس لما انحل نظام الحكومة الصنهاجية بأفريقية
وتقلص ظلها عنهم قد استبدوا بأنفسهم ؛ وكان بالمهديّة آخر الحكام من
« بني مرين » وهو (الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن
باديس بن المتصور بن بلكين الصنهاجي) فاستبد لهده في طرابلس
(محمد بن خزون بن خليفة بن وروا) وبطانته من (بني مطروح)
ورفضوا دعوة الحسن وقومهم وقطعوا أسباب الطاعة ومنعوا المغارم
والجباية . وذلك عندما تكالب الافرنج على الجهات .

قطم (زجار) في ملكها وبعث أسطولاً في البحر فنالها آخر
سنة (٥٣٧) سبع وثلاثين وخمسمائة ، فنقبوا سورها . واستنجد أهلها

بالعرب فأنجدهم وخرجوا الى الافرنج فهزموهم وغنموا اسلحتهم ودوابهم ورجع الافرنج الى صقلية .

ثم استولى (جرجي = زورزي) قائد أسطول (زجار) على « المهديّة » سنة (٥٤٣) ثلاث وأربعين وخمسمائة ، ووصلها بأسطوله في ثلثائة مركب .

وكان عسكر الحسن بن علي قد توجه صريخاً (لمحرز بن زياد القادعي) صاحب (علي بن خرسان) صاحب تونس فلم يجد صريخاً فجلا عن المهديّة ورحل . واتبعته الناس ودخل العدو الى المدينة وتملكها دون دفاع .

ووجد (جرجي = زورزي) القصر كما هو لم يرفع منه (الحسن) الا ما خف . وترك الذخائر الموكية وانقرض بذلك ملك الصنهاجيين . وعدتهم ثمانية ، ومدة ملكهم من أول دخولهم في الأمانة واستعمال العبيدين لهم مائتان وسبع وستون سنة .

استيلاء الافرنج على طرابلس

ثم نزل بطرابلس ونواحيها بجاعة وأصابهم منها شدة هلك منها الناس وفروا عنها . وظهر اختلال أحوالها وفناء حاميتها ، فوجه اليها (زجار) أسطولاً لحصارها بعد استيلائه على « المهديّة » و « صفاقص » واستقرار ولايته فيها . وذلك سنة (٥٤٣) ثلاث وأربعين وخمسمائة . فأرسل عليها ونزل للمقاتلة وأحاطوا بها براً وبحراً وفاتلوها ثلاثاً .

وكان أهل طرابلس قد اختلفوا قبل وصول الافرنج وأخرجوا (محمد بن خزون بن خليفة) وشيعته من بني مطروح ، وولوا عليهم رجلاً من « أمراء لمتونة » قدم حاجاً في قومه فولوه أمرهم .

فلما شغل أهل البلد بقتال الافرنج اجتمعت شيعة يحيى بن مطروح ودخلوا البلد ووقع بينهم القتال .

فشعر الافرنج بأمرهم وبادروا الى السور فنصبوا عليه السلام وتسلموها وفتحوا البلد عنوة . وأخرجوا منها (بني خزون) وأفحشوا في القتل والنهب . ونجى كثير من أهلها الى « البربر » و « العرب » في نواحيها .

ثم رفعت التصاريح السيف ونادوا بالأمان ؛ فراجع المسلمون الى البلد وأقروهم على الجزية وأقاموا بها ستة أشهر حتى أصلح سورها ، وخنادقها . وانقرض أمر (بني خزون) منها واقتربوا في البلاد ولحق منهم (عبد الصمد بن محمد بن خزون) « يجيل اوراس » وبقي من بقي منهم بالضاحية .

ولاية أبو يحيى بن مطروح

وولي أبو يحيى رافع بن مطروح على طرابلس من طرف الافرنج وأخذوا رهنه على الطاعة ثم نادوا في صقلية بالانسار الى طرابلس فصار السها الناس .

واستولى زجار على بلاد الساحل كلها ووضع عليها الجزية . وصار
للأفرنج من « طرابلس الغرب » الى قرب « تونس » ومن « الغرب » الى
دون « القيروان » الى أن استنقذها منهم (عبد المؤمن بن علي) شيخ
الموحدين وخليفة امامهم (المهدي محمد بن ثومرت) .

خلافة اسماعيل أبو الفدا الظافر بأعداء الله

وفي سنة (٥٤٤) أربع وأربعين وخمسمائة توفي (الحافظ لدين الله
عبد المجيد) وتولى اسماعيل أبو الفدا الظافر بأعداء الله ابن الحافظ لدين
الله واستمر أربع سنين وثمانية شهور .

خلافة الفائز بنصر الله بن اسماعيل

وفي سنة (٥٤٩) تسع وأربعين وخمسمائة قتل (الظافر بأعداء
الله) وتولى ابنه الفائز وفيها هلك زجار وملك ابنه (غليالم) وأساء
تدبيره واختل أمره .

خلافة ابو محمد عبد الله العاضد لدين الله

وفي السابع من شهر رجب (٥٥٥) خمس وخمسين وخمسمائة
مات (الفائز بنصر الله بن اسماعيل أبو الفدا الظافر بأعداء الله بن

(الحافظ) وتولى أبو محمد العاضد لدين الله عبد الله بن يوسف بن اسماعيل وكان سبيء السيرة ، وتلك الأفرنج في أيامه بلاد السواحل الشامية .

الخبر عن الموحدين وأولية أمرهم

وفي هذه السنة نزل عبد المؤمن بن علي الكومي القيسي خليفة امامهم (محمد بن ثومرت) المهدي وحاصرها . وكان محمد بن ثومرت هذا رجلاً من السوس الأقصى من بلاد المغرب وقبيلته تسمى « المصاميد » وقيل انه شريف من أولاد الحسن بن علي رضي الله عنهما .

ارتحل في طلب العلم الى المشرق ولقي كثيراً من العلماء وتعلم علماً وافراً ورجع الى المغرب متفجراً من العلم ؛ فكان يحدث نفسه بأن الدولة تكون له ، وانه يظهر الله الحق على يديه . وظهر التقشف والتزهّد وصار يأمر المعروف وينهى عن المنكر .

ثم قدم (جبل تينعل) وبينه وبين مراكش مسافة يوم ويسكنه قبائل كثيرة من المصاميد وغيرهم ، فأكرمهم أهلها وأجابوا دعوته على القيام بالدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وبايعوه على

انه المهدي المنتظر^(١) . وأول من أجابه لذلك (عبد المؤمن بن علي الكومي القيسي) صاحب الترجمة (وأبو عبد الله الوثائريسي) وتابعهما الناس على ذلك . فانتشر ذكره وجاءته الناس من كل فج وسمى اتباعه (الموحدون) .

ثم لما جاءهم عمال الامير (علي بن يوسف بن تاشفين) وهو الامير الثاني من (أمراء الملثمين) لأخذ الخراجات والجبايات امتنعوا من طاعتهم وقتلوه ، فجهز اليهم الأمير جيشاً فقاتلوه وهزموا ذلك الجيش . ثم أرسل اليهم سنة (٥١٩) تسع عشرة وخمسمائة جيشاً آخر قوياً فحاصروهم في الجبل وضيقوا عليهم وصار كثير من ذوي العقول من أهل الجبل يثبطون من اتبعه ويأمروهم بالتخلي عنه ، وأرادوا اصلاح الحال مع جيش الامير . فبلغ ذلك المتمهدي فلم يرض بما أرادوا أن يفعلوه وخاف منهم أن يسلموه ، فبعث فيهم الدسائس والحيل والمكر والخديعة بواسطة أبي عبد الله الوثائريسي ، مما يطول ذكره ، حتى انخدعوا له وتمكن من قتل كل من يخاف شره . قال ابن الأثير في تاريخه الكامل « فكان عدة القتلى سبعين ألفاً » .

(١) قال متصفحه : الحظ كلام الحافظ الحدث الشيرازي القاسم السهيلي في ديباجة الروض الانف على تصحيح ان ابن ثومرت هو المهدي المنتظر . وحديث المهدي المنتظر من الخزعيلات التي راحت على كثير من أهل النظر . والحق انه لا مهدي الا عيسى كما رواه الشافعي في مسنده .

وقد اشبعنا الكلام على ذلك في غير ما موضع فليعرف ذلك . فان المسلمين قد اصبوا من هذه الجهة بمصيبة عظيمة اتلفت عليهم دينهم ودنياهم . ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . اهـ

فاستقام بعد ذلك أمره وأمن على نفسه وصار الباكون معه على نيات صادقة وقلوب متفقة على طاعته .

وسيرهم لقتال المرابطين أصحاب الأمير (علي بن يوسف بن تاشفين) سنة (٥٢٤) أربع وعشرين وخمسة . فقاتلوه ، فانهزم أصحاب محمد ابن ثومرت وقتل منهم كثير ورجع اليه من بقي .

ثم جهز جيشاً آخر بلغ أربعين ألفاً وجعل أميره (الونشريسي) ومعه (عبد المؤمن بن علي) وقدموا « مراکش » وحاصروها فجاء للأمير علي بن يوسف جيش من « سجلماسة » وتواقعوا واشتدت الحروب بينهم ، فانفك الحصار وانهزم جيش المهدي ، وقتل الونشريسي وقام مقامه عبد المؤمن بن علي .

وجاء الخبر الى المهدي وهو مريض مشرف على الموت وقد أوصى بأن الامر بعده يكون (لعبد المؤمن بن علي) ومات في هذه السنة . فكانت مدته من ابتداء ظهوره الى وفاته عشر سنين .

ثم جاء (عبد المؤمن) وبإيعه الناس وانقادوا لطاعته . فاستفحل أمره وكثر جنده وعظم بأسه ، ووقع بينه وبين المرابطين حروب هائلة مبسوطة في التواريخ حتى ملك « فاس » و « تلمسان » سنة تسع وثلاثين وخمسة . ثم ملك مدائن المغرب واتسع ملكه الى ان ملك « الاندلس » ومدحه بعض الشعراء بقصيدة مطلعها :

ما هزّ عطفه بين البيض والأسل مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي

فمنع الشاعر قراءة بقية القصيدة واكتفى بهذا البيت وأمر له
بألف دينار . وقيل أكثر من ذلك .

ثم ان (عبد المؤمن بن علي) حاصر « المهديّة » ، كما ذكر ، أشهراً
ففتحها بكرة عاشوراء المحرم سنة (٥٥٥) خمس وخمسين وخمسة .

ولاية أبي يحيى بن مطروح الثانية

وفي هذه السنة نبذ يحيى بن مطروح طاعة الافرنج ، ووفد مع
وجوه اهل طرابلس على (عبد المؤمن بن علي) بالمهديّة فوسعهم براً
وتكرمةً وقدم أبو يحيى بن مطروح عليها ، وردهم الى بلدهم .

ثم أقام عبد المؤمن بالمهديّة أياماً فرتب أحوالها وأصلح ما ثلم من
سورها ونقل اليها الذخائر من الأقوات والرجال والعدد ، واستعمل
عليها بعض أصحابه وجعل معه (الحسن بن علي) الذي كان صاحبها
وأمره أن يقتدي برأيه في أفعاله ، وأقطع الحسن بها اقطاعاً وأعطاه
دوراً نفيسةً سكنها ، وكذلك فعل بأولاده ورحل من المهديّة أول
صفر من السنة المذكورة الى المغرب .

ولاية يوسف بن عبد المؤمن

وفي عشرين من جمادى الآخرة سنة (٤٥٨) ثمان وخمسين

وخمسة توفي (عبد المؤمن بن علي) وولي بأمره ابنه يوسف ، وكان عاقلاً حازماً شديد الرأي حسن السياسة ، أعرف الناس بأمر الملك وأحفظهم لأيام العرب في الجاهلية والاسلام .

وقيل انه كان يحفظ البخاري على ظهر قلبه ، وله وقائع وغزوات يطول ذكرها . وجمع الناس بالمغرب على مذهب (الامام مالك) في الفروع وعلى مذهب (أبي الحسن الاشعري) في الاصول .

ظهور الدولة الأيوبية

وفي حادي عشر محرم سنة (٥٦٦) ست وستين وخمسة نبت طاعة (أبي محمد العاضد لدين الله عبد الله بن يوسف بن اسماعيل أبي البقاء الظاهر بأعداء الله) ومات . وبموته انقرضت (دولة الفاطميين) ومدة تصرفهم مائتا سنة وخمس سنين .

وقد طهر الله منهم البلاد وأراح منهم العباد ، كما انقرضت أمراء بني خزرون منها . (اي الحكومة الصنهاجية) .

والملك لله وحده يؤتيه من يشاء من عباده سبحانه وتعالى لا اله غيره .

● وظهرت (الدولة الايوبية) السنية أصحاب الفتوحات . وملك (صلاح الدين يوسف بن أيوب) بن أسد الدين شيركوه بن شادي الكردي « مصر » .

وكان (صلاح الدين) هذا من أتباع (السلطان محمود نور الدين ابن عماد الدين زنكي الشهيد بن آق سنقر) الملقب بقسيم الدولة . والسلطان محمود نور الدين هذا من فروع (الدولة السلجوقية) لأن جده (آق سنقر) كان مملوكاً للسلطان (ملك شاه السلجوقي) وذلك ان السلطان ملك شاه كان له ممالك كثيرة ترقى بعضهم حتى صار أميراً كبيراً . فمنهم آق سنقر جد نور الدين .

فكان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب الترجمة حسنة من حسناته ، وقد ملك مصر كما ذكر باسم السلطان نور الدين شاه ، واستولى على قصر (القواطم) بخزائنه . ووجد فيه من الأموال ما لا يحصى .

وشرع في نصر أهل السنة وتوهمين أهل البدعة والانتقام من الروافض ، وكانوا أكثر أهل مصر يومئذ ، وقطع الأذان « بجي على خير العمل » أول جمعة من شهر محرم سنة (٥٦٧) سبع وستين وخمسمائة .

ثم تحركت همته لغزو الافرنج فمكنه الله تعالى منهم ويسر « فتح الشام » وبيت المقدس . ووقائعه مقرودة بالتأليف ، وانما القصد الإشارة الى مبدأ أمره ، وكان رحمه الله تعالى شجاعاً كريماً صالحاً متواضعاً .

[رجع] ثم ان أبا يحيى بن مطروح لم يزل والياً على طرابلس الى ان هزم وعجز وطلب الحج فسرجه (يوسف بن عبد المؤمن)

فارتحل في البحر سنة (٥٦٨) ثمان وستين وخمسمائة واستقر
بالاسكندرية . وكان حسن السيرة لين العريكة وله معرفة بالأدب
وخبرة بالشعر والخطب . وأثد لنفسه بالاسكندرية :

لوقفة بين باب البحر ضاحية أو باب هواره أو موقف الغنم
اشهى الى النفس من كسر الخليج ومن دير الزجاج وشاطي بركة الحرم

استيلاء قره قوش على طرابلس

كان قره قوش من موالى (تقي الدين عمر بن شاه بن نجم الدين
أيوب) وهو ابن اخي صلاح الدين فغاضب مولاه في بعض النزعات
وذهب مغاضباً الى المغرب .

ولحق في سنة (٥٦٨) ثمان وستين وخمسمائة بزويلة وفتحها
وخطب فيها لصلاح الدين ؛ وغلب ابن الخطاب الهواري على ملك
فزان وكان ملك لعمه (محمد بن الخطاب يسلطن بن عبدالله بن صنع
ابن خطاب) وكان قاعدة ملكهم « زويلة » فتقبض عليه وعذبه على
المال حتى هلك .

ذكر مدينة زويلة

(زويلة) كسفية . مدينة كائنة في صحراء فزان وبالجانب الشرقي

من طرابلس . بها شبه من مدينة أجدابية المذكورة ومنها الى طرابلس
مسير خمسة وعشرين يوماً والى أجدابية أربعة عشر يوماً .

ومنها الى بلد (قائم) الكائنة في الجنوب منها وبالشمال الشرقي
من ساحل بحيرة (تجاد) اربعين يوماً . ومنها الى بلد (ودان)
خمسة ايام . وبين تكرفت وزويلة أربعة عشر يوماً في الطريق
الغربي .

وهي بلاد بلا سور ، بها جامع وحمام وعدة أسواق . والمعاوضة
فيها بقطع القماش . وفيها نخل كثير وزرعها يسقى على الجمال . وذكر
البكري : انها كانت محطاً للتجارة السودانية ومنها تتفرق قفل التجار
الى جميع البلاد السودانية وغيرها من أفريقية . اهـ



[رجع] ولم يزل قره قوش يفتح البلاد الى ان وصل طرابلس
واجتمع عليه عرب (ذباب ، وسلم) ونهض بهم الى « جبل نقوسة »
واقام هنالك دعوة مواله .

وكان في بسائط تلك الجبال (مسعود بن زمام) المعروف
(بالبلاط) في احيائه من (رياح) شيخ الموحدين وخليفة المهدي
فيهم ، فانتدب مسعود بقومه عن المغرب وأفريقية الى تلك القاصية .
وكانوا نازلين ببلاد الهبط ما بين (قصر كتامة) المعروف بالقصر
الكبير الى ساحل البحر الاخضر الى تلك القاصية . واجتمع اليه بنو
عسكر اخيه ولحقوا بطرابلس ونزلوا على (زعب ، وذباب) يتقلبون

بينهم فدعاه (قره قوش) الى اظهار دعوة مواليه (بني ايوب) فأجابه ونزل معه بأحيائه على طرابلس ، فحاصرها قره قوش وافتتحها واستولى عليها ونزل بأهله وعياله في قصرها ، واجتمع اليه العرب من هلال وسليم ، وفرض لهم العطاء واستبد بملك طرابلس وما وراءها ، وملك كثيراً من بلاد افريقية ما خلا المهديّة ، وسفاقس ، وقفصه و « تونس » وما والاها من القرى والمواضع .

وصار مع قره قوش عسكر كثير فحكم على تلك البلاد بمساعدة العرب بما جبلت عليه من التخريب والنهب والفساد بقطع الاشجار والثمار وغير ذلك . فجمع بها أموالاً عظيمة وجعلها بمدينة قابس . وقويت نفسه وحدثته نفسه بالاستيلاء على جميع افريقية لبعد (أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن) صاحبها عنها . وكان ما سنذكره ان شاء الله :

ولاية يعقوب المنصور بن عبد المؤمن

وفي (٥٨٠) ثمانين وخمسمائة توفي (يوسف بن عبد المؤمن) واتفق رأي قواد الموحدين وأولاد عبد المؤمن على تملك ولده أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن . فملكوها اليه من الوقت الذي مات فيه ابوه . فقام في ذلك أحسن قيام . وكان حسن السيرة في الناس وانقادت اليه بأسرها مع سعة أقطارها ، ورتب الثغر الاندلسي واستقامت له الامور بحسن فعله .

خروج بن غانية الميورقي

وفي شعبان من هذه السنة خرج (علي بن اسحاق المعروف بابن غانية) وهو حينئذ صاحب (جزيرة ميورقة) الى (بجاية) . فملكها . وعلي بن اسحاق هذا من اعيان الملمشين الذين كانوا ملوك المغرب الأقصى .

ولنذكر دولتهم وكيفية استيلاء ملكهم (يوسف بن تاشفين) . وقد ذكر كثير من المؤرخين أن الملمشين من عدة قبائل ينتسبون الى حمير ، وكان اول مسيرهم من اليمن في خلافة (« سيدنا أبي بكر الصديق ») رضي الله عنه . فساروا الى الشام ، ثم انتقلوا الى مصر ، ثم الى المغرب ، لما فتحت الاندلس . وقيل : انهم من (صنهاجة) وهي قبيلة من قبائل البربر . وقيل غير ذلك .

وتلقبوا بالملمشين لأنهم كانوا يتلمشون على عادة العرب ، فلما ملكوا ضيقوا لثامهم ليميزوا به . وقيل : لثلا يعرف الشيخ من الشاب . وكانوا لا يتركون اللثام ليلاً ولا نهاراً ، ويلقبون بالمرابطين .

وحاصل مبدأ ملكهم أنه توجه رجل منهم الى الحج سنة (٤٤٨) ثمان وأربعين وأربعمائة . ولما رجع استصحب معه فقياً من القيروان ليعلم تلك القبائل أحكام دين الاسلام فجاء اليهم وعلم كثيراً منهم . ثم ملكوا عليهم واحداً منهم يسمى (أبا بكر بن عمر) فدانت لهم

القبائل . وسماه « أمير المسلمين » فقاتل من لم يدخل تحت طاعته وقويت شوكته . وتوفي أبو بكر بن عمر سنة (٤٦٢) اثنتين وستين وأربعمائة .

فاتفقت كلمتهم على (يوسف بن تاشفين) وهو ابن عم أبي بكر ابن عمر المذكور ، فبايعوه وسماه أيضاً أمير المسلمين . ثم سار الى المغرب وافتتحها حصناً حصناً ، واتسع ملكه وقوي أمره وطلب تقليداً من (خلفاء بني العباس) فأجيب الى ذلك ، وجاءه التقليد من الخليفة (المستظهر بالله) العباسي .

وكان يوسف بن تاشفين حازماً سائساً للأمور ، ضابطاً لمصالح مملكته ، مؤثراً لأهل العلم والدين كثير المشورة لهم . حتى أن الامام الغزالي رحمه الله تعالى لما سمع بسيرته عزم على التوجه لزيارته قبله خبر وفاته وهو بالاسكندرية فرجع .

واختط ابن تاشفين (مدينة مراکش) ونزل بها ، وجعلها دار ملكه وتملك أكثر بلاد المغرب .

ثم جاز الى الأندلس وقاتل النصارى وأثنى فيهم ، وله معهم وقائع عجيبة . ثم جاز الى الأندلس مرة أخرى وغلب ملوك الطوائف بعد أن استفتى العلماء في ذلك لكون ملوك الطوائف منحرفين عن الاستقامة ، فصار ملك الأندلس والمغرب كله له . وسيرته طويلة مذكورة في التواريخ .

واستمر الى ان توفي سنة (٥٠٠) خمسمائة فكانت مدة ملكه ثمان وثلاثين سنة .

وبعد وفاة يوسف بن تاشفين ملك بعده (ابنه علي) وكانت له غزوات في الاندلس ووقائع يطول ذكرها . وتوفي سنة (٥٣٥) خمس وثلاثين وخمسمائة . فمدة ملكه خمس وثلاثون سنة .

وملك بعده ابنه (تاشفين) وقتل سنة (٥٣٩) تسع وثلاثين وخمسمائة وملك بعده اخوه (اسحاق بن علي) وقتل ايضاً سنة (٥٤٢) اثنتين وأربعين وخمسمائة .

وانقرضت دولتهم على يد (عبد المؤمن خليفة محمد بن تومرت) فكانت مدة دولتهم نحو ثمانين سنة .

وإن علياً المعروف بابن غانية صاحب الترجمة هو (ابن اسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين) وهو حينئذ صاحب (جزيرة ميورقة) وقدم في جموعه الى (بجاية) فملكها كما ذكر . وسبب ذلك انه لما سمع بوقاة (يوسف بن عبد المؤمن) عمر أسطوله فكان « عشرين قطعة » فأرسل في ساحل بجاية وخرجت خيله ورجالها من الشواني . فكانوا نحو مائة فارس من المثلثين ، وأربعة آلاف راجل ، فدخل مدينة بجاية من غير قتال لأنه اتفق أن واليها سار عنها قبل ذلك بأيام الى مراکش ولم يترك فيها جيشاً ولا ممانعاً لعدم عدو يحفظها منه . فجاء المثلث ولم يكن في حسابهم أنه يحدث نفسه بذلك .

ثم جمع جيشاً وخرج الى أعمال بجاية فأطاعته جميعاً الا

(قسنطينة) فحاصرها الى أن جاء جيش من الموحدين لما
اتصل الخبر (يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن) وهو بسببة راجعاً
من الغزو .

فسرح العاكر من مراکش في صفر سنة (٥٨١) احدى وثمانين
وخمسمائة الى (بجاية) في البر والبحر ، وكان بها (يحيى) و (عبد
الله) أخوا (علي بن اسحاق بن غانية الملقم) فخرجوا منها هاربين ولحقا
بأخيها ، فرحل من قسنطينة وسار الى أفريقية .

قدوم علي بن غانية الى طرابلس

ثم لحق علي بن غانية في جموعه الى طرابلس ولقي (قره قوش)
بها فاتفقا على المظاهرة على الموحدين ، واستمال ابن غانية كافة (بني
سليم) من العرب ومن جاورهم من (قبائل هلال) مثل (جشم ،
ورياح ، والاتيج) فانعقد أمره وتجدد بذلك بطرابلس سلطان قومه ،
وجدد رسوم الملك ، واتخذ الآلة ، وفتح كثيراً من بلاد الجريد .
وأقام فيها الدعوة العباسية .

ثم بعث ولده وكتبه « عبد المؤمن » من فرسان الأندلس الى
(الخليفة الناصر بن المنتصر) ببغداد مجدداً لما سلف لقومه المرابطين
بالمغرب من البيعة والطاعة وطلب المدد والاعانة .

فعمد له كما كان لقومه ، وكتب الكتاب من ديوان الخليفة الى

ملك مصر والنائب عن الخليفة بها (صلاح الدين) ، فكتب بذلك الى
قره قوش واتصل أمرهما في اقامة الدعوة العباسية .

فلما اجتمعوا بلغت عدتهم مبلغاً كثيراً وقويت شوكتهم
وقصدوا بلاد أفريقية فملكوها جميعاً شرقاً وغرباً الا مدينتي
« تونس » و « المهدية » ، فان الموحدين أقاموا بها وحفظوها على خوف
وضيق وشدة .

وانضاف الى ابن غانية كل مفسد في تلك الضواحي ومن يريد
الفتنة والنهب والفساد والشر ، فخربوا البلاد والحصون والقرى وهتكوا
الحرم وقطعوا الأشجار .

ولما اتصل (يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن) ما نزل
بأفريقية من أجلاب ابن غانية وقره قوش على بلاد الجريد ، نهض
من مراكش في صفر سنة (٥٨٣) ثلاث وثمانين وخمسمائة لحسم هذا
الداء واستنقاذ ما غلبوا عليه . فوصل الى مدينة تونس وأراح بها
وسرح في مقدمته (السيد أبا يوسف بن أبي حفص بن عبد المؤمن)
ومعه (عمر بن أبي زيد) من أعيان الموحدين .

فلقيهم علي بن غانية في جموعه . فانهزم الموحدون وقتل عمر
ابن أبي زيد وجماعة منهم . ووصل سرعان الناس الى تونس . وحمل
يعقوب المنصور اليهم في شعبان من سنته فأوقع بهم بظاهر
« الحامه » وأفلت ، وبادر أهل قايس فأتوا بطاعتهم وسلموا من كان
عندهم من أصحاب قره قوش وذويه فأحملوا الى مراكش . ووفد

يعقوب المنصور الى « توزر » فحاصرها فأسلموا اليه من كان فيها من أصحاب علي بن غانية .

ثم غزا العرب واستباح عليهم واحتازهم حتى استقاموا على طاعته ، فلما فرغ يعقوب المنصور من امر العرب واستقامت افريقية عاد الى مراكش ، وكان وصوله اليها سنة (٥٨٤) أربع وثمانين وخمسمائة .

ولاية ياقوت على طرابلس

ولحق ياقوت بطرابلس واستولى عليها . ثم رجع علي بن غانية وقره قوش الى حالهما من الأجلاب على بلاد الجريد الى أن هلك علي بن غانية في بعض حروبها سنة (٥٨٧) سبع وثمانين وخمسمائة . وقام بالأمر أخوه (يحيى بن اسحاق بن محمد بن غانية) وجري في مظاهرة قره قوش ومولاته على سنن أخيه علي . ثم فسد ما بينه وبين قره قوش فقتله .

ثم لما عبر (أبو يوسف يعقوب) صاحب افريقية والمغرب الى الأندلس في سنة (٥٩٣) ثلاث وتسعين وخمسمائة وأقام مجاهداً ثلاث سنين انقطعت أخباره عن افريقية ، فقوي طمع (يحيى بن اسحاق بن غانية) فعاد وقصد افريقية . فانبثت جنوده في البلاد فغربوها وأكثر الفساد فيها ، فمحييت آثار العمران وتغيرت ، وصارت خالية من الأنيس ، خاوية على عروشها .

ولاية تاشفين بن الغاني

ثم قدم يحيى بن اسحاق بن غانية طرابلس في جموعه وحاصرها وبالس (ياقوت) في المدافعة وطال أمر حصاره . وبعث يحيى بن اسحاق بن غانية في أسطول من ميورقة فأمدّه (أخوه عبد الله) بقطعتين فاستولى على طرابلس وأشخص ياقوت الى ميورقة واعتقل بها الى أن أخذهما الموحدون .

ولما فرغ ابن غانية من أمر طرابلس ولى عليها (تاشفين) ابن عمه الغاني . ثم نهض الى جبال طرابلس فأغرمهم ألف ألف دينار مكررة مرتين ، وعاد الى حاله من الأجلاب ، واستولى على المهديّة وضافها الى ما كان بيده من « طرابلس وقابس » و« صفاقص » والجريد » .

ثم نهض الى الجانب الغربي من أفريقية وفتح « باجة » وبكرة ، و« بلنسية » ، والقيروان » واستولى عليها واستفحل ملكه فأزمع على حصار (تونس) وارتحل اليها سنة (٥٩٩) تسع وتسعين وخمسمائة وافتتحها لأربعة أشهر من حصارها في ختام المائة السادسة . وكثر عتوه ، واضراره بالرعية ، وعظم طغيانه .

ولاية محمد الناصر بن يعقوب

وفي ثاني عشرة من ربيع الآخر سنة (٥٩٥) خمس وتسعين وخمسمائة توفي (أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن) صاحب المغرب والأندلس وأفريقية بمدينة (سلا) . وكان يظاهر بمذهب الظاهرية واعرض عن (مذهب الامام مالك) فعظم امر الظاهرية في أيامه ، وكان بالمغرب منهم خلق كثير يقال لهم (الحزمية) منسوبون الى « محمد بن حزم » رئيس الظاهرية وولي ابنه محمد ولقب بالناصر .

واتصل بالناصر براكش ما دهم أهل أفريقية من (يحيى بن غانية) فامتعض لذلك ورحل الى تونس سنة (٦٠٠) ستائة . وبلغ يحيى بن غانية خبره فخرج من تونس الى القيروان ثم الى قفصة ، واجتمع اليه العرب وأعطوه الرهن على المظاهرة والدفاع ، ثم نزل حامية مطماطة ونزل محمد الناصر تونس ثم قفصة .

ثم خيم محمد الناصر على المهدي يحاصرها ، وقد أنزل ابن غانية ذخيرته وولده بها ، وأجلب في جموعه خلال ذلك على قابس . وتحصن منه يحيى بن غانية في (جبال دمر) .

وفي سنة (٦٠١) احدى وستائة انتقض أهل طرابلس على ابن غانية وأخرجوا عاملهم (تاشفين بن الغاني) ، وقصدهم ابنه (غانية)

رفتحها وخربها . فشرح محمد الناصر اليه (الشيخ ابا محمد عبد الواحد ابن أبي حفص) لقتاله في أربعة آلاف من الموحدين سنة (٦٠٢) اثنتين وستائة . فلقيه بجبال « تاجوراء » من نواحي قابس وأوقع به ، واقتحمها عليه واستولى على مساكنهم وما كان بأيديهم ، وأئخذ فيهم بالقتل والسبي وفر (ابن غانية) الى مكانه من قاصية أفريقية ومعه مسعود البلاط .

ولاية عبد الله بن ابراهيم بن جامع

ثم فرض محمد الناصر على (المهديّة) واستعمل عليها (محمد بن يغمور) وعلى طرابلس (عبد الله بن ابراهيم بن جامع) ورجع الى تونس . فأقام بها الى سنة (٦٠٣) ثلاث وستائة .

وسرح أخاه (السيد أبا اسحاق) في عساكر من الموحدين لاتباع المفسدين ويحوي مواقع عينهم . فدوخ ما وراء طرابلس وأئخذ في (بني دمر ، ومطمطة ، ونقوسة) وشارف أرض « سرت ، وبرقة » ، وفر يحيى بن غانية الى صحراء برقة وانقطع خبره . وانكفأ السيد ابو اسحاق راجعاً الى تونس .

وفيها رجع ابن غانية الى نواحي طرابلس فجمع اخوته واتباعه من العرب من سليم ، وهلال . وكان فيهم (محمد بن مسعود) في قومه من (الزواودة) وعادوا عينهم .

فسرح محمد الناصر ابا محمد في عساكر الموحدين وتحيز اليه « بنو عوف » من سليم وهو « مرداس » وعلاق « فلقبيهم بأشهر فتواقعوا واحتربوا عامة يومهم . ونزل النصر وانتفض مصاف ابن غانية آخر النهار . واتبعهم الموحدون والعرب واكتسحوا اموالهم وافلت ابن غانية جريحاً وخلص لجهة طرابلس . وتلاحق به فل الملتصين واولياؤه من العرب واجمعوا دخول افريقية . فبادرهم (ابو محمد) قبل وصولهم وخرج من تونس سنة (٦٠٦) ست وستائة ، واغذوا السيرو اليهم وتزاحفوا عند جبل نفوسة واشتدت الحرب . ولما حمى الوطيس ضرب ابو محمد ابنته وفسطاطه ، وتحيز اليه بعض الفرق واختل مصاف ابن غانية واتبعه الموحدون الى ان دخل في غيابات الليل ، وامتلأت ايديهم من الاسرى والغنائم . وانصرف ابن غانية مهبط الجناح مفلول الحد عفوا بالياس من جميع جهاته . وانقلب ابو محمد والموحدون اعزة ظاهرين . وفي سنة (٦١١) إحدى عشرة وستائة توفي محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف ابن عبد المؤمن بن علي واستولى ابنه يوسف المنتصر وهو ابن ست عشرة سنة . واستبد آل بني حفص بأفريقية ... ثم في الاضحى من سنة (٦٢٠) عشرين وستائة توفي يوسف المنتصر واجتمع الموحدون وبايعوا ابا محمد عبد الواحد بن يوسف اخي يعقوب المنصور . وفي سنة (٦٢١) إحدى وعشرين وستائة قتل بكان خفي ، وبعث الموحدون بيعتهم الى العادل عبد الله بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بعد اقالة عمه ابي محمد عبد الواحد . ولما بلغت بيعة الموحدين للعادل وكتاب ابن زكرياء بن الشهيد جاز العادل الى العدو ، وولى اخاه ابا العلاء ادريس المأمون بن يعقوب المنصور على الاندلس ، وولى عبو بن ابي محمد بن

الشيخ ابي حفص على إفريقية . وفيها جمع ابن غانية اوباشا من العرب والبربر وانتزى على جهات طرابلس ، وردد الغزو والغارات على بساط أفريقية والمغرب الاوسط فاكسحها بالغارات وعاث فيها ، وكبس الأمصار واقتحمها بافساد السابلة وانتساف الزرع وحطم النعم الى ان خربت وعقا رسمها ، فاتبعه السيد ابو زيد من الموحدين وقبائل هواره وتزاحفوا بظاهر تونس فانهمزم ابن غانية وجموعه ، وقتل كثير من الملتزمين وامتلأت ايدي الموحدين من الغنائم ، ولم يزل شريداً مع العرب بالقفار الى ان هلك سنة (٦٣١) احدى وثلاثين وستائة ودفن وعفى اثر مدفنه .

[رجع لخبار العادل] وفي ايام الفطر من سنة (٦٢٤) اربع وعشرين وستائة قتل عبد الله العادل بن يعقوب . وكان ابو العلا ادريس المأمون بن يعقوب المنصور بالأندلس ، قبايعه اهل الأندلس وتلقب بالمأمون . ثم بايعه اهل مراکش وهو بالأندلس . وزاحمه يحيى بن الناصر ، ثم ثار عليه بالأندلس امير من غير بيت عبد المؤمن وهو « محمد بن هود الجذامي » وخطب لبني العباس ونبذ طاعة بني عبد المؤمن ، فتبعه الناس وخرج الأندلس عن طاعتهم فخرج (ابو العلا ادريس المأمون) من الأندلس ومملك فاس وتلمسان . ولم يزل يتحارب مع (يحيى بن الناصر) الى ان صفى الأمر لأبي العلا بالمغرب دون الأندلس . وكان سقاكا للدماء حتى قيل له حجاج المغرب . وكان عالماً فصيحاً اسقط اسم مهديهم محمد بن تومرت من الخطبة والسكة ، وصنف في ذلك رسالة طويلة نصح فيها بتكذيب مهديهم . وتوفي سنة (٦٣٠) ثلاثين وستائة وولي ابنه (عبد الواحد) وتلقب بالرشيد

وشرط عليه الموحدون إعادة ما كان أزاله أبوه من رسوم المهدي فأعيد . وجرى بينه وبين يحيى بن محمد الناصر المتقدم ذكره حروب الى أن قتل يحيى سنة (٦٣٧) سبع وثلاثين وستائة . واستمر عبد الواحد الرشيد في ملكه الى أن توفي سنة (٦٤٠) أربعين وستائة غريقاً في بعض جوارى القصر . ويقال انه خرج من الماء وخم لوقته وكان فيها مهلكه . وبويع أخوه (علي المعتضد بن أبي العلا ادريس المأمون) . ولأول ولايته انتقض أبو علي بن الخلاص صاحب سبته وكذلك أهل أشيلية ، وبايعوا جميعاً للأمير أبي زكرياء صاحب أفريقية . ثم انتقض عليه بسجلماسة عبد الله بن زكرياء الهزرجي صاحب تلمسان ، فنهض الأمير أبو زكرياء بسبب ذلك الى تلمسان واستولى عليها . وفي سنة (٦٤٣) ثلاث وأربعين وستائة ثارت العامة بمكناسة على واليها من قبل علي المعتضد فأوقعوا به وحولوا الأمر الى الأمير أبي زكرياء بن أبي حفص المتقدم ذكره وبعموا اليه بيعتهم .

أبو محمد عبد السلام بن عبد الغالب

المسراقي الصوفي

قال : في « معالم الايمان » .

قرأ على الشيخ (أبي يوسف الدهباني) وغيره من الشيوخ الأجلة كأبي زكرياء يحيى بن محمد النبرقي الصوفي ، قرأ عليه « القراءات السبع » و « الحديث » وتفقه عليه .

وقرأ عليه جماعة اتفقوا به ؛ منهم : (أبو زيد عبد الرحمن ابن محمد الأنصاري) .

قال العواني : هو من اجلّ المشايخ قدرا ، وأعلام حالاً ، منفرداً بحاله في وقته ، لا يشاركه فيه أحد من أبناء جنسه ، ولا يدانيه من اهل العناية التامة بتقيد الآثار وخدمة العلم مع حسن التفنن فيه ، والتصرف في فهم معانيه .

وله تأليف في علم التصوف ومأخذ شديد . وكان من أهل العلم والمعرفة بالقراءات ، حن الضبط لها ، عارفاً بوجوها وطرقها ، اخذ الناس عنه كثيراً . وكان ديناً ، فاضلاً ، صوفياً ، صاحب حال وعبادة ، ثقةً فيما رواه .

أخبرنا عنه الفقيه (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري) بجميع ما رواه . ووصفه بالعلم ، والصلاح والفضل ، والورع ، والجلالة . وكان الفقيه أبو زيد هذا يقول : « هو شيخني ومعلمي وأحد من أنعم الله علي بصحبته ، اختلفت اليه كثيراً فلم ترعيني قط مثله نسكاً ، وفضلاً ، وصيانة لنفسه ، وانقباضاً عن الناس . كثير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وما رأيت احفظ منه لأخبار الصالحين وحكاياتهم . حسن الابرار لها . متقناً لما يحكيه منها . انيس المجالسة . مليح المحادثة » . اهـ

قال (العواني) : فأبي عذر له في تركه التعريف به . ومن هو مثله على جلالة قدرهم واستشهار ذكرهم ؟ انتهى .

وَأَلَفَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ السَّلَامِ تَأْلِيفًا فِي الْفَقْهِ سَمَاهُ بِالْوَجِيزِ .
وَهُوَ تَأْلِيفٌ حَسَنٌ وَفِيهِ فَقْهُ كَثِيرٌ . وَنَقَلَ (الشَّيْخُ خَلِيلٌ) مِنْهُ فِي
شَرْحِهِ عَلَى ابْنِ الْحَاجِبِ .

وَجَرَتْ عَادَةُ شَيْخِنَا (أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عُرْفَةُ الْوَرَعْمِيِّ)
بِضَعْفِ نَقْلِهِ لِأَنَّهُ يَنْقُلُ فِيهِ بَعْضَ مَسَائِلَ فِيهِ عَنْ (كِتَابِ ابْنِ سَحْنُونٍ)
وغيره ، وَلَا يَوْجَدُ ذَلِكَ لِنَقْلِ غَيْرِهِ كَقَوْلِهِ « وَفِي كِتَابِ ابْنِ سَحْنُونٍ
إِذَا اخْتَذَ الْخُفَّاسُ شَيْئًا مِنْهُ (أَشْهَبُ) وَ (ابْنُ وَهْبٍ) . وَاجَازَهُ
(سَحْنُونٌ) » اهـ .

وَهَذَا لَا يَضَعُفُ بِهِ . وَإِنَّمَا يَضَعُفُ نَقْلُهُ إِذَا يَنْظُرُ كِتَابُ ابْنِ سَحْنُونٍ
وَلَمْ يَوْجَدْ فِيهِ مَا نَقَلَهُ . مَعَ أَنَّهُ لَا مَعْصُومَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ
تَعَالَى . وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُؤَلِّفِينَ يَغْلَطُونَ فِي نَقْلِ كَثِيرٍ مِنَ الْمَائِلِ وَلَا
يَضَعِفُونَ بِذَلِكَ بَلْ يَنْقُلُ كَلَامَهُمْ وَيُنْبِئُهُ عَلَى مَا فِيهِ .

وَأَلَفَ (شَرْحُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى) تَأْلِيفًا حَسَنًا جَدًّا وَ (الزَّهْرُ
الْأَتِيقُ فِي قِصَّةِ سَيِّدِنَا يُوسُفَ الصِّدِّيقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَتَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ
بِكَلَامٍ حَسَنٍ . وَيُخْرِجُ فِي كَلَامِهِ لَتَدْقِيقَاتٍ وَإِشَارَاتٍ يَعْلَمُ بِذَلِكَ فَقْهُ .
وَإِنَّهُ كَانَ فَرِيدَ أَهْلِ زَمَانِهِ ، وَوَحِيدَ عَصَرِهِ .

(قَالَ الْعَوَانِي) : وَتَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ بِالْقَيْرَوَانِ عَلَى رَأْسِ السَّبْعِينَ
ضَحَى يَوْمَ الْخَمِيسِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ صَفَرٍ سَنَةِ (٦٤٦)
سِتِّ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّائَةً وَدُفِنَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَهُ أَثَرُ صَلَاتِهَا . وَتَوَلَّى
حِمْلَهُ مِنْ مَنْزِلِهِ فَقَرَأُوهُ وَتَلَامَذَتْهُ حَفَاةُ الْأَقْدَامِ .

فلما صلى عليه غلبت العامة على نعشه وحالت بينه وبين تلامذته
وفقرائه وكانت جنازة مشهورة ، والثناء عليها جميلاً . ودفن بباب
تونس وقبره بمقبرة من قبر (الشيخ ابي الحسن القاسبي) .

وكان اخوه (ابو العباس احمد بن عبد الغالب) من اولياء الله
تعالى . قال (العواني) : كان من ذوي التقى والحجى والصيانة ،
والديانة ، والزهد ، والنزاهة ، وكنم الفاقة ، كثير التهجذ والصلاة في
الأوقات مع همة عالية ورقة قلب وغزارة دمع . وكان يقصده اهل
الصلاح والتوبة والانابة ويلوذون به ويلزمونه ويتبركون به ويرغبون
في دعائه ويكثرون في مجالسته . فيعظمهم ويذكروهم ويخوفهم العقاب
ويدهم على طريق النجاة . وكان حسن الحادثة مليح الاثانة جميل
الاخلاق حسن اللقاء على وجهه نور وعليه قبول ، وكان كثيراً ما ينشد
هذا البيت :

انت في غفلة وقلبك ساهي ذهب العمر والذنوب كما هي

وهو من قصيدة ليست من نظمه بل هو مسبوق بها ولكنها
أعجبت لما دلت عليه وبعدها :

لم تبادر بتوبة منك حتى صرت شيخاً فحبلك اليوم واهي

[رجع] وفي (ربيع الآخر) من السنة المذكورة ، أعني سنة ست
وأربعين ، استشهد (علي المعتضد بن أبي العلا ادريس المأمون) وولي
بعده ابن عمه عمر المرتضى بن اسحاق بن يعقوب المنصور . وفي
مدته كثرت الفتن بينهم وبين بني مرين ، واستولى بنو مرين على

مدينة فاس ثم حاصروا مراکش فصالحهم عمر المرتضى على مال يدفعه لهم كل عام .

ولاية محمد بن عيسى الهنتاتي

وفي هذه السنة أيضاً توفي والي طرابلس (عبد الله بن ابراهيم بن جامع) وولي محمد بن عيسى الهنتاتي وشهر « بعنق الفضة » فاستبد بها منقطعاً عن الحضرة ومقيماً رسم الدعوة .

ثم ثار على عمر المرتضى (أبو العلا ادريس الوائقي أبو دبوس بن عبد الله بن يعقوب المنصور) وطلب الأمر لنفسه وجرى بينها حروب الى ان قتل المرتضى سنة (٦٦٥) خمس وستين وستائة .

ثم جرى بين (أبي العلا ادريس) وبين (بني مرين) حروب يطول ذكرها الى أن قتل أبو العلا بمراكش في المحرم سنة (٦٦٨) ثمان وستين وستائة وانتقل ملك الموحدين لبني مرين وانقرضت (دولة بني عبد المؤمن بن علي) والبقاء لله وحده ومدتها كلها مع مدة مهديهم « مائة واربعة وسبعون عاما » ، وتفرق بنوه وتقلبوا في الارض .

فلحق منهم عثمان بشرق الأندلس ونزل على طاغية « برشلونة » فأحسن تكريمه ووجد هنالك أعقاب عمه (ابي زيد المنتصر) أخ أبي دبوس في مشواهم من ايلة العدو .

وكان لهم هنالك مكان وجاء للزوع « السيد ابي زيد » عن دينه الى دينهم ، فاستبلغوا في مساهمة قريتهم هذا الوافد وخاطبوا له عن الطاعة خطاباً ووافق ذلك حصول (مرغم بن صابر بن عسكر) شيخ قبيلة الجواري من بني ذباب في قبضة امره . وكان قد أسره الغزاة من اهل صقلية بنواحي طرابلس سنة (٦٥٢) اثنتين وخمسين وستائة وباعوه من اهل برشلونة فاشتراه الطاغية وقام عنده أسيراً الى أن نزع اليه عثمان بن أبي دبوس هذا كما ذكرناه .

وشهر بطلب حق الدعوة الموحدية وأهل الظفر في القاصية لبعدها عن الحامية . فعبر البحر الى طرابلس .

وكان من حظوظ كرامته عند الطاغية أن أطلق له مرغم بن صابر وعقد له حلفاً معه على مظاهرته وجهاز له اساطيل وشحنها بالمدد من المقاتلة والأقوات على مال شرطوه . فنزل على طرابلس سنة (٦٦٨) ثمان وستين وستائة ، واحتشد مرغم بن صابر قومه وحملهم على طاعة عثمان بن ابي دبوس ونزلوا البلد معه وجمع جنده من النصرانية فحاصروها وبلغ واليها محمد بن عيسى الهتائي في المدافعة وساء اثرهم فيها .

ثم رحل النصارى بأسطولهم ورسوا بأقرب السواحل الى البلد وتنقل عثمان بن أبي دبوس ومرغم بن صابر في نواحي طرابلس بعد أن أنزلوا عليها عساكر للحصار فاستوفوا من جباية المغارم والوضائع مالا دفعوه للنصارى في شروطهم وانقلبوا في اسطولهم وأقام عثمان بن أبي

دبوس يتقلب مع العرب الى أن هلك ، والله يرث الأرض ومن عليها
وهو خير الوارثين .

الاستاذ أبو محمد بن أبي الدنيا

وفي سنة (٦٨٤) أربع وثمانين وستائة توفي الأستاذ المالكي الفقيه
العلامة ، الحجة الفهامة ، أبو محمد بن أبي الدنيا .

ولد هذا الفاضل بطرابلس ونشأ بها وأخذ عن جماعة من علمائها
ورحل الى المشرق وحج وأدرك الاستاذين (الريعن) و (الصفراوي)
وأخذ عنهما وبرع في العلوم الشرعية وعلوم التصوف ، ثم ارتحل الى
« تونس » في مسدة الأمير أبي زكرياء بن أبي حفص ثم عاد الى
طرابلس . وله تصانيف كثيرة منها « العقيدة الدينية » و « شرحها »
و « حل الالتباس في الرد على نفاة القياس » و « كتاب في الحض على
الجهاد » وبقي في طرابلس الى أن استدعاه الأمير المذكور فولاه قضاء
الجماعة والأنكحة والخطابة بالجامع الأعظم ، ومن نظمه من أول
الكامل وضربها المعائل :

طرق السلامة والفلاح قناعة ولزوم بيتٍ بالتوحش مؤنس
يكفيه أنساً أن يكون انيسه آي الكتاب ونوره في الهندس
واذ رات عيناه انساناً اتى فلينفرن نفور ظبي المكنس
ولقلما ينفك صاحب مقول من عثرة او زلة في المجلس
تحصى وتكتب والجهول مغفل حتى يراها في مقام المفلس

ظهور الداعي أبي عمارة

كان أحمد بن مرزوق من بيوتات بجاية ، ونشأ بها وسيماً محترفاً بصناعة الخياطة .

وكان يحدث نفسه بالملك لما كان يزعم أن العارفين يخبرونه بذلك .

ثم اغترب عن بلده ولحق بصحراء سجلماسة واختلط بعرب المعقل وانتمى الى أهل البيت ، وادعى أنه الفاطمي المنتظر ، فاشتملوا عليه وحدثوا بشأنه أياماً ثم زهدوا فيه لعجز مدعاه .

فذهب يتقلب في الأرض حتى وصل الى جهات طرابلس ونزل على ذباب ، وآتوه بيعتهم وقام بأمره مرغم بن صابر بن عسكر أمير ذباب ، وجمع له العرب ونازلوا طرابلس ، وبها يومئذ محمد بن عيسى الهنتاتي ، فامتنعت عليهم ورحلوا الى جزور وجهاتهم من هوارة فأوقعوا بهم .

ثم ساروا في تلك النواحي واستوفى جباية « المائة » و « زوارة » وأغرم « نفوسة » و « غريان » وضايع الزمها اياهم واستوفاهما .

ثم زحف الى قابس فبايع له عبد الملك بن مكى في رجب سنة (٦٨١) احدى وثمانين وستائة وأعلن بخلافته .

ثم ارتحل الى أفريقية وتفاقم أمره وتوافت اليه بيعة أهل « جربة » و « الحامة » وقرى « نفزاوة » ثم زحف الى « توزر » فأطاعوه ، ثم رجع الى « قفصة » فبايع له أهلها ثم دخل « تونس » وعظم أمره وعلا صيته .

ثم ثقلت وطأته على العرب بما كان يسيء بهم ، وظهر الأمير (عمر ابن يحيى بن عبد الواحد الحفصي) فبايعوه ، ونهض الى « تونس » فنزل بسحوم قريباً منها وعسكر الداعي بظاهر البلد تجاهه وطالت بينها الحروب أياماً .

ثم إن الناس تبرأوا من الداعي وأسلموه ورحل من مكان معسكره ولاذ بالاختفاء ، ودخل الأمير البلد سنة (٦٨٣) ثلاث وثمانين وستائة واستولى على سرير ملكه .

ثم أحضر له الداعي فاعترف بادعائه وقتله . واستبد الأمير عمر بملكه وتلقب بالمنتصر بالله وبادر الناس الى الدخول في الطاعة اليه ، وبعث أهل القاصية ببيعتهم من « طرابلس » و « تلمسان » وما بينهما .

الامام الحافظ أبو اسحاق ابن الأجدابي

هو الامام الحافظ أبو اسحاق ابراهيم بن اسماعيل بن أحمد بن عبد الله اللواتي المعروف بابن الأجدابي نسبة الى « أجدابية » ؛ ولد بطرابلس ونشأ بها وحضر مجالس العلم والعرفان وصحب مشايخ

عصره ؛ وكان من العلماء ومشاهير الفضلاء ومن أعلم أهل زمانه بجميع العلوم كلاماً ، وفقهاً ، ونحواً ، ولغةً ، وعروضاً ، ونظماً ، ونثراً . ولم تكن له رحلة ، وصنف كتباً كثيرة مفيدة منها (كتاب كفاية المتحفظ) وكتابان في العروض ، صغير وكبير ، و « كتاب الرد على أبي حفص في تثقيف اللسان » و « شرح ما آخره ياء من الأسماء وبيان اعتلال هذه الياء » استوفى فيه جميع احكامها على اختلاف أحوالها ، من تصغير وتكسير وغير ذلك .

ولما استوفى فيه ذلك استيفاء جلياً تعرض فيه لشرح المقاطيع الواقعة في (سورة مريم) لاشتغالها على كثير من تلك الاحكام ، فجاء هذا التأليف في غاية الافادة والتحقيق .

وله « كتاب مختصر في علم الأنساب » وآخر « مختصر في الانواء على مذهب العرب » و « رسالة في الحول » تعرب عن أدب كثير وحفظ غزير ، واختصر « كتاب نسب قريش » لأبي عبد الله بن الزبير ابن العوام رحمه الله .

قال التيجاني : وحسبك بهذا التأليف علماً وفائدة ؛ وقد مدح هذا الكتاب أبو الحسن بن مغيث بقوله « هو كتاب عجب لا كتاب نسب » ؛ وقد أدخل أبو اسحاق فيه من حفظه زوائد تشتمل على فرائد .

وترجم له الاستاذ محمد بن الطيب الشرقي في كتاب (تجريد الرواية في تحقيق الكفاية) بقوله : وكان أبو اسحاق من صدور

المائة السابعة وأيتها الاعلام ، أثنى عليه المجد الغوي في بعض تصانيفه ، وذكره الجلال السيوطي في « البغية » ووصفه بالجلالة في العربية . واعتنى بهذا المختصر وهو « كفاية المتحفظ » جمع من الأئمة المقتدى بهم واعتمدوه ، واكثر من النقل عنه الامام الحافظ الثقة أحمد الفيومي في كتابه (المصباح المنير) ، والامام كمال الدين الدميري في « حياة الحيوان » وغيرهما ، وعدله بال تصنيفات الكبار « كالمصباح » و « التهذيب » و « المجمل » ونحوهما ، وربما اختار كلامه في المصباح عنهم أحياناً .

واعتنى بخدمته الامام الأديب العلامة جمال الدين قاضي الحرم محمد بن أحمد عبد الله بن أبي بكر بن محمد الطبري ، فنظمه في نحو الف وثلاثمائة بيت نظماً لطيفاً حلواً على ارتكاب اوهام وبعد افهام .

ومدحه الفقيه الأديب العلامة جمال الدين علي بن صالح العدوي فأجاد حيث قال :

من كان يطلب في الغرب وسيلة من شاعر او كاتب متلفظ
او كان ينبغي في الكلام بلاغة فليحفظن كفاية المتحفظ

ولاية يوسف بن طاهر اليربوعي

وفي سنة (٦٨٤) اربع وثمانين وستائة توفي (محمد بن عيسى

الهناتاي (وولي يوسف بن طاهر . واضطربت الأحوال بأفريقية ،
واستبد يوسف بن طاهر اليربوعي بطرابلس .

وفي سنة (٦٩٤) اربع وتسعين وستائة توفي (عمر بن يحيى
الحفصي) وولي (محمد ابو عصيدة بن الواصل بن المنتصر) وتوفي
سنة (٧٠٩) تسع وسبعائة ، وولي (ابو بكر الشهيد بن يحيى بن
عبد الرحمن بن زكرياء بن ابي بكر بن يحيى الواصل الحفصي) .
فبقي ثمانية ايام ، فخرج عليه خالد بن ابراهيم بن يحيى ،
فاضطربت الأحوال عليه بأفريقية وخلع سنة (٧١١) احدى عشرة
وسبعائة .

الاستاذ ابو عبد الله محمد بن مكرم

وفي هذه السنة توفي لسان المتكلمين ، ومادة علوم الدين ، حجة
الناظرين ، قدوة المحققين ، وفخر العلماء الراشدين ، صاحب لسان
العرب ، ابو عبد الله محمد بن مكرم ، بن علي ، بن محمد ، بن ابي
القاسم ، بن حقة ، بن منظور الأنصاري الطرابلسي نزيل مصر .

يتصل نسبه بسيدنا رويغ بن ثابت الأنصاري ، وقد تقدم ذكره
وولايته على طرابلس ووفاته وهو أمير عليها .

قال الأستاذ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى في « بغية الوعاة
في طبقات اللغويين والنحاة » : ولد في المحرم سنة ثلاثين وستائة .
وسمع من (ابن المقير) وغيره وجمع ، وعمر ، وجدث ، واختصر

كتباً كثيرة من كتب الأدب المطولة « كالأغاني » و « العقد الفريد »
و « مفردات ابن اليطار » . ويقال ان مختصراته « خمسمائة مجلد »
وخدم ديوان الانشاء مدة عمره ، وولي قضاء طرابلس ، وكان صدراً ،
رئيساً ، فاضلاً ، في الأدب ، مليح الانشاء ، روى عنه (السبكي)
و (الذهبي) .

وقال : تفرد في العوالي وكان عارفاً بالنحو ، واللغة ،
والتاريخ ، واختصر « تاريخ دمشق » في نحو ربعه . وعنده تشيع
بلا رقص .

وذكر الامام الحافظ شهاب الدين ابو الفضل احمد بن حجر
العسقلاني : في كتابه « الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة » مثله ؛
وقال : كان مغرمًا باختصار الكتب المطولة كالأغاني ، والعقد ،
والذخيرة ، ونشوان المحاضرة ، والتواريخ الكبار ، وكان لا يمل
من ذلك .

قال الصفي : لا اعرف في الأدب وغيره كتاباً مطولاً الا وقد
اختصره . قال : واخبرني ولده (قطب الدين) انه ترك بخطه
(خمسمائة مجلد) . ويقال ان الكتب التي علقها بخطه (خمسمائة مجلد)
قلت : وجمع في اللغة كتاباً سماه لسان العرب جمع فيه بين التهذيب ،
والمحكم ، والصحاح ، والجمهرة ، والنهاية ، و حاشية الصحاح ،
وجرده ما شاء ، ورتبه على ترتيب الصحاح ، وهو كبير .

قال ابو الحيان : انشدني لنفسه :

ضع كتابي اذا اتاك الى الأثر ض وقلبه في يديك لماما
فعلى ختمه وفي جانبيه قبل قد وضعتن ثؤاما

قال : وانشدني لنفسه ايضاً :

الناس قد اثموا فينا بظنهم وصدقوا بالذي ادري وتدرينا
ماذا يضرك في تصديق قولهم بان تحقق ما فينا يظنوننا
حملي وحملك ذنباً واحداً ثقة بالعفو أجمل من اثم الورى فينا

قال الصفيدي : هو معنى مطروق للقدماء لكن زاد فيه زيادة
وهي قوله (ثقة بالعفو) من أحسن متمات البلاغة .

وذكر ابن فضل الله : أنه عمي في آخر عمره . وكان صاحب
نكت ونوادر وهو القائل :

بالله ان جزت بوادي الأراك وقبلت عيدانه الخضر فاك
فابعت الى عبدك من بعضها فأنني والله ما لي سواك

ابو اسحاق ابراهيم بن عبد السلام

بن عبد الغالب المسراقي

كان صالحاً صوفياً فاضلاً ، موصوفاً بالخير ونصر الفقير وحفظ

الغريب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وكان من ذوي الكرامات وخوارق العادات ، حليماً لين
الاخلاق كريم الطباع عطاءً لذي رحمه ، وصولاً لآخوانه ، سالم
الصدر عفيف اللسان شديداً لتغيير المنكر ، لا تأخذه في الله لومة
لائم . وكان خطيب جامع القيروان .

وقد بلغه عن بعض أهل القيروان كلام عليه فيه طعن أداه
الى الخروج عن البلد والهروب منه ، فقلق الناس من ذلك ووجدوا
وجداً شديداً على فقد مثله ، فقد انتقع به عالم من الناس وتاب
خلق كثير على يديه . ثم ان الناس اجتمعوا اليه وأقسموا عليه
وسألوه الجلوس بالبلد فأبى ، فارتحل الى مدينة تونس مستوطناً بها ،
فحل من اهلها محل اهل الارادة ، واحتل منها بمرقاة التعليم
والافادة . ومكث بتونس حتى أصابه بها مرض وغلب عليه بلغم
عطل كلامه وثقل لسانه . واخبره من بتونس من الاطباء ان القيروان
يصلح بها حاله ويرجى فيها برؤه ، وانها أليق بمزاجه وان مقامه
بتونس ضرر عليه . وعرف بذلك الحاكم وقتئذ ، فأمره بالرجوع
للقيروان فانصرف لها ، فاحتفل به اهل القيروان احتفالاً فائقاً
وتلقوه وفرحوا به . واقام بالقيروان وحسن بها حاله الى ان
توفي رضي الله عنه في الرابع والعشرين من شهر رمضان المعظم
لسنة (٧٠٤) اربع وسبعائة ودفن بباب تونس بجوار قبر ابيه ،
رحمة الله عليها ورضوانه .

أبو سعيد فرج بن عبد الله المسراقي

كان صالحاً نبيلاً عاقلاً ورعاً زاهداً من القائلين بالحق العاملين به .
روي عنه انه حج مراراً وجاور زماناً ولزم الرباط بثغور المسلمين
مدة من السنين حتى اوهنته العبادة والكبر فالتزم القيروان وصار
جليس بيته معولاً عليه في معيشتة على البقول . وكان يفرغ نفسه
للعبادة في شهر رمضان ويفلق بابه طول نهاره ويدخل الى بيته ،
فيقبل على الذكر والصلاة فلا يتحرك من داره الا الى المسجد خاصة
لأداء الصلاة ، منافساً في فضل الجماعة . فاذا قضاها عاد الى مكانه ،
قد عرف اخوانه حاله فاذا جاء شهر رمضان توقفوا عن زيارته
ومواصلته .

وله كرامات . من ذلك ما اخبر به (العواني) عن جده
(عبد الملك) قال : كنت جالساً مع الشيخ أبي سعيد فرج
بمخرج البلد وبين ايدينا خبز شعير وزيتون ، فسمعتة يخاطب رجلاً
في الهواء وهو يقول له « خبز وزيتون » فلم أرَ الرجل وانما رأيت
شخصه وظله في حائط سور البلد فقلت للشيخ : ما هذا ؟ فقال
لي : رجل من الطيارة قال لي : ما انت تأكل ؟ فقلت له : خبز
شعير وزيتون ... اه

ابو عبد الله محمد بن أحمد الزيليتي

قرأ على الشيخ أبي عبد الله محمد بن فندار ثم ارتحل لتونس فقراً بها على شيخنا ابن عرفة حتى مات . وكان عالماً صالحاً ناسكاً ورعاً ذا سمت حسن ، وقافاً بالليل نفاعاً خلقي الله من عند الأمراء وغيرهم لا يبخل بجاهه . فكان كل من يعرفه أو يقصده تسبب له فيما يليق به من قضاء أو عدالة أو إمامة مسجد أو اخذ دراهم من حبس على الفقراء وغير ذلك .

وكان كلامه مقبولاً . وكان للناس فيه غاية الاعتقاد . قال في معالم الإيمان : واخترته ، رحمه الله تعالى ، الوفاة ، ولو عاش كانت طريقته الإمامة بجامع الزيتونة صلاة وخطبة ، لا يزاحمه احد في ذلك .

وتوفي رحمه الله تعالى بتونس (٨٠٨) ثمان وثمانمائة في أوائل شهر رمضان .



[رجع] وفي هذه السنة اعني سنة (٧١١) احدى عشرة وسبعمائة قفل (زكرياء بن أحمد بن محمد اللحياني بن عبد الواحد) من المشرق الى طرابلس ، ورأى اضطراب الاحوال بأفريقية وعقد له

بطرابلس ووفدت اليه رجالات الكعوب اولاد ابي الليل ، فأغذ السير الى « تونس » وصحبوها ثامن جمادى الآخرة من هذه السنة ، وعقد له البيعة العامة بظاهرها ثم دخل البلد واستولى .

وكان هذا الأمير بصيراً بالسياسة ، مجرباً للأمور ؛ وكان يرى من نفسه العجز عن الأمانة واستحقاقها مع الأمير (ابي بكر بن يحيى بن عبد الواحد) صاحب الثغور الغربية فتوقع زحفه اليه بتونس ، وكانت أفريقية مضطربة عليه . فاجتمع على التقويض عن أفريقية فجمع الأموال والنخاير وباع ما كان بمودعاتهم من الآنية والفرش والشناع حتى الكتب التي كان الأمير ابو زكرياء جمعها . فجمع من ذلك قناطير من الذهب تجاوز العشرين قنطاراً وجوالقين من حصي الدر والياقوت ، واستخلف ابنه محمد ابو ضربة ثم خرج من تونس في صفر سنة (٧١٨) ثمان عشرة وسبعائة الى قابس موارياً بمشارفة عملها . وانتهى اليها فاقام بها أياماً ثم ارتحل من مقامه بقابس الى نواحي طرابلس فأوطن بها ، وكان معه أبو عبد الله محمد بن يعقوب وهجرس بن مرغم كبير الجوارى في جموعه ، فدوخ البلاد وفتح المعازل وجبى الأموال . وانتهى الى برقة واستخدم « آل سالم » و « آل سليمان » من عرب (ذباب) ورجع الى طرابلس .

واستمر محمد أبو ضربة ثمانية أشهر ثم قدم اليه أبو بكر الحفصي بالعاكر وهزمه ، وافتقت جموعه وشردت رواحلهم والقتل والنهب يأخذ منهم مأخذه . ولجأ محمد أبو ضربة في فله الى المهديّة .

ولما سمع الأمير ابو يحيى اللحياني بانهمزاه واعتصامه بالمهديّة

اضطرب معسكره وبعث الى النصارى في أسطول تحمله الى الاسكندرية ، فوافاه ستة أساطيل فاحتل أهله وولده .

ولاية محمد بن أبي عمران

واستخلف على طرابلس صهره أبا عبدالله محمد بن أبي عمران . وهو من أعقاب (أبي عمران موسى بن ابراهيم بن الشيخ أبي حفص) .

وركب الأمير أبو يحيى اللحياني الى الاسكندرية فنزل بها على الأمير (محمد بن قلاوون) واستقدمه الى مصر فعظم من مقامه واهتز للقاءه ونوه بجلسه ومنى من جراته .

ولم يزل أبو عبد الله محمد بن أبي عمران والياً على طرابلس الى سنة (٧٢١) إحدى وعشرين وسبعائة ، فاستقدمه بنو حمزة ومشايخهم الكعوب ، وأجلبوا به على تونس فملكها ستة أشهر . ثم أجفله عنها الأمير أبو بكر الحفصي ولحق بطرابلس الى أن انتقض عليه أهلها سنة (٧٢٤) أربع وعشرين وسبعائة وثاروا به وأخرجوه فلحق بالعرب . وأجلبوا به على تونس مراراً فيهمون في كلها ، ثم لحق بتلمسان واستقر بها عند أبي تاشفين في خير جوار وكرامة .

ولاية ثابت بن محمد بن ثابت

ولولوا عليهم ثابتاً بن محمد بن ثابت بن عمار واستمر والياً بطرابلس الى أن هلك سنة (٧٣٠) ثلاثين وسبعائة .

ولاية محمد بن ثابت

وتولى ابنه محمد وبعث أسطوله لحصار « جربة » فحاصرها واستولى عليها .

ثم هلك أبو يحيى اللحياني بمصر سنة (٧٣٢) ثنتين وثلاثين وسبعائة وقفل ابنه عبد الواحد الى المغرب يحاول أسباب الملك ، وقدم طرابلس فأوطن بها وبنى مقعداً لجلوسه بسور البلد القبلي مما يلي البحر سماه (الضارمة) ، وادعى لنفسه وتابعه أعراب ذباب ، وبعث العمال في الجهات لجباية الأموال ثم انتقض معه عبد الملك ابن مكى عامل قابس وقدم عبد الواحد في جموعه الى تونس في غيبة الأمير أبي يحيى فأجفل عنها ولحق عبد الواحد بأبي تاشفين فأقام عنده في مبرة وتكرمة .

ثم عقد له الأمير أبو يحيى على الثغور الشرقية فهلك عند وصوله اليها بالطاعون الجارف . واستمر الأمير أبو بكر الى ان توفي سنة (٧٤٧)

سبع وأربعين وسبعائة . وملك ابنه أبو حفص عمر وكان أخوه الفضل أكبر منه وولي عهد أبيه ، فغلبه على الأمر ثم سرحه في العساكر الى جزيرة جربة فدخلها الأمير أبو العباس الفضل بن معه وخاضوا اليها البحر فأجفل عسكر محمد بن ثابت وأفرج عن الحصن .

وكان أبو الحسن بن أبي سعيد عثمان المريني أمير تلمسان يحدث نفسه منذ ملكها بملك أفريقية ويتربص بالأمير عمر بن أبي بكر ، ثم أزمع غزو أفريقية ومن بها فعسكر بظاهر تلمسان وفرق الاعطاءات ورحل في صفر سنة (٧٤٨) ثمان وأربعين وسبعائة يجر الدنيا بما حملت . ووفد اليه أمراء البدو والثغور بأفريقية فلقوه (بوهرا) وأتوه بيعتهم رغبة ورهبة وأدوا بيعة محمد بن ثابت والي طرابلس . ثم سار الى القسنطينة ، ووفد عليه هنالك بنو حمزة ومشايخ قومهم الكعوب وأخبروه باجفال الأمير عمر بن أبي بكر من تونس مع طواعن أولاد مهليل ، فسرح معهم العساكر في طلبه فأدركوه وقتلوه . ثم سبقت العساكر الى تونس وجاء الأمير أبو الحسن على اثرهم ودخلها في الزي والاحتفال في جهادى الآخرة من سنته .

واستمر أبو الحسن بن أبي سعيد عثمان المريني ثم ولده الفضل سنتين ونصف ، ثم انتزعها منه أبو العباس الفضل بن أبي يحيى أبي بكر الحفصي سنة (٧٥٠) خمسين وسبعائة .

ولاية ثابت بن محمد بن ثابت

وفي هذه السنة توفي (محمد بن ثابت) والي طرابلس وولي ابنه

ثابت وفيها انقضت افريقية من أطرافها على الأمير (الفضل ابن أبي بكر بن يحيى بن ابراهيم) واستبد بطرابلس ثابت بن محمد هذا .
وفي سنة (٧٥٣) ثلاث وخمسين وسبعائة خلع الفضل الحفصي وولى (ابراهيم بن أبي بكر بن يحيى بن ابراهيم) .

الخبر عن استيلاء النصارى على طرابلس

كانت طرابلس هذه ثغراً منذ الدول القديمة . وكانت لهم عناية بحمايتها لما كان وضعها في البسيط ، وسواحلها الشمالية مقابلة لسواحل أوربا الجنوبية . وكونها ممراً ومركزاً للتجارة السودانية . ولما حوى إقليمها من اللطافة والقوة الانبائية . وكانت ضواحيها فقرا من القبائل ، فكانت النصارى أهل صقلية كثيراً ما يتحدثون أنفسهم بملكها ، وكان ميخائيل الأنطاكي صاحب أسطول زجار قد نلكتها من أيدي بني خزرون من مغراوه آخر دولتهم ودولة صنهاجة كما ذكرنا ، ثم رجعها ابن مطروح ودخلت في دعوة الموحدين ومرت عليها الأيام الى أن استبد بها ثابت بن محمد بن ثابت .

وكان تجار الجنوبيين يترددون اليها فاطلعوا على عورتها وأضرموا غزوها فوافوا مرساها سنة (٧٥٥) خمس وخمسين وسبعائة وانتشروا بالبلد في حاجاتهم ، ثم بيتوها ذات ليلة فصعدوا أسوارها وملكوها عليهم وهتف هاتفهم بالحرب وقد لبسوا السلاح فارتاعوا وانتبهوا من مضاجعهم . فلما رأوهم بالأسوار لم يكن همهم الا النجاة بأنفسهم ونجا

(ثابت بن محمد) الى حلة الجواري في أعراب وطنها من ذباب
فقتل لدم كان أصابه منهم ولحق أخواه بالأسكندرية واستباحها
النصارى واحتملوا في سفنهم ما وجدوه من الخثرى والمناع والأسرى
وأقاموا بها .

استيلاء أحمد بن مكى على طرابلس

ثم داخلهم أبو العباس أحمد بن مكى صاحب قابس في فدائها
فاشترطوا عليه خمسين ألف مثقال من الذهب العين فبعث فيهم لملك
المغرب (أبي عنان بن أبي الحسن علي بن أبي سعيد عثمان المروني)
يطرفه بثوبتها . ثم تعجلوا عليه فجمع ما عنده واستوهب ما بقي من
أهل قابس والحامة وبلاد الجريد فجمعوها له حبة ورغبة في الخير .
وأمكنه النصارى من طرابلس فملكها واستولى عليها ونزل بها وجعلها
دار امارته وأزال ما دنسها من الوضر . وبعث الأمير أبو عنان بالمال
اليه وان يرد على الناس ما أعطوه ويتفرد بثوبتها وذكرها ، فامتنعوا
الا قليلا منهم ووضع عند أحمد بن مكى لذلك .

الفقيه ابو موسى بن عمران الهواري الطرابلسي

كان فقيها عالما سمع الحديث من أفاضل عصره كأبي محمد
ابن أبي الدنيا وغيره وكان مشهوراً بالدين والورع متصفاً بالعدالة
والتمسك بالشرع .

تولى القضاء بطرابلس نيفاً وثلاثين سنة . ولاشتهار فضله استدعاه أبو
اسحاق ابراهيم المنتصر الحفصي وولاه قضاء تونس سنة (٧٥٨) ثمان
وخمسين وسبعائة فأظهر العدل في الاحكام حتى توفي سنة (٧٦٠)
ستين وسبعائة . رحمه الله تعالى . اهـ



[رجع] ولم يزل أبو العباس أحمد بن مكّي والياً بطرابلس الى
أن توفي سنة (٧٦٦) ست وستين وسبعائة .

ولاية عبد الرحمن بن مكّي

وولي ابنه عبد الرحمن بن أحمد مكّي على طرابلس وساءت سيرته
فيها . وفي سنة (٧٧٠) سبعين وسبعائة توفي (ابراهيم الحفصي)
وولي بعده (ابنه خالد أبو البقاء) . ولما كانت سنة (٧٧٢) اثنتين
وسبعين وسبعائة خلع خالد ابو البقاء وولي بعده أحمد بن محمد بن
أبي بكر والد (عمر والفضل) .

ولاية أبي بكر بن محمد بن ثابت

وفيهما قسدم أبو بكر بن محمد بن ثابت من الاسكندرية الى
طرابلس في اسطول ونازل عبد الرحمن بن أحمد بن مكّي وأجلت

عليه بالبرابرة والعرب من أهل الوطن فاستنقض عليه أهل البلد
وثاروا به . وبادر أبو بكر بن محمد بن ثابت لاقتحامها عليه . واسلموه
أحد رؤساء ذباب فأجاره الى ان بلغه مأمنه من محلة قومه وايالة
عمه عبد الملك بن مكّي بقابس واستولى أبو بكر بن محمد بن ثابت
على طرابلس .

ولما كانت سنة (٧٨١) احدى وثمانون وسبعائة اجمع الأمير
(أحمد بن محمد الحفصي) الحركة على قابس وعسكر بظاهر تونس .
ثم ارتحل يجنوده يريد قابس ، فبعث أبو بكر بن محمد بن ثابت الى
الأمير بالطاعة والانخياش ، ووافته رسله دون قابس . ولما استكمل
الأمير أحمد الفتح وشؤونه انكف راجعاً الى تونس فدخلها سنة
(٧٨٢) اثنتين وثمانين وسبعائة ولحق اليه رسله من طرابلس بهدية
واليها أبي بكر بن محمد بن ثابت من الرقيق والمتاع بما فيه الوفاء
بمغارمه بزعمه .

ولم يزل أبو بكر بن محمد بن ثابت والياً عليها الى أن توفي سنة
(٧٩٢) اثنتين وتسعين وسبعائة .

ولاية علي بن عمران بن ثابت

وولي ابن اخيه علي بن عمران بن محمد بن ثابت ثم اضطربت
قومه ونزع قائدهم ورئيسهم ابو خلف الى الأمير أحمد فبعث معه
ابنه عمر سنة (٧٩٤) أربع وتسعين وسبعائة لحصار طرابلس . فقدمها

وأقام عليها حولا يحاصرها ويمنع الاقوات عنها حتى ضجر وضجروا
من طول المقاومة ، فدافعوه بالضربة وانكف راجعا الى أبيه سنة
(٧٩٥) خمس وتسعين وسبعائة .

وفي سنة (٧٩٦) ست وتسعين وسبعائة توفي ابو العباس أحمد بن
أبي عبد الله محمد الحفصي وولي ابنه (أبو فارس عزوز) .

واستمر علي بن عمران بن محمد بن ثابت بولاية طرابلس الى
سنة (٨٠٠) ثمانمائة ؛ وكان ابنا عمه يحيى وعبد الواحد ابنا أبي بكر
بن محمد بن ثابت قد سارا الى (أبي فارس عزوز الحفصي) واستنجده
على ابن عمها علي هذا ، فسار عزوز أبو فارس الى طرابلس في العساكر
وظفر بواليتها علي بن عمران وقبض عليه .

ولاية يحيى بن أبي بكر بن ثابت

وولي يحيى بن أبي بكر بن محمد بن ثابت وعقد لأخيه عبد
الواحد على الجند وقررها على ولاية طرابلس وانتقل راجعا الى تونس .
ثم علم الأمير (أبو فارس عزوز) أنهما لا يقدران على حفظ الايالة
من الافرنج فسار في سنة (٨٠٣) ثلاث وثمانائة الى طرابلس وقبض
على أميرها يحيى المذكور وملكها من أيدي بني ثابت بن عمار . وبذلك
كان انقراض امرة بني ثابت بن عمار .

ولاية عبد العزيز

وولى عليها من قبله عبد العزيز أحد ثقاته من رجاله وانقلب راجعاً .

أبو سمير عبيد بن يعيش الغرياني

كان من خواص الشيخ الجديدي الذي خلفه في مكانه على زاويته . وكان يحفظ بعض القرآن . وكان شيخاً صالحاً فاضلاً نفاعاً لخلق الله له خلق حسن . وكان يقول : ما اهتمت قط من غداء ولا عشاء . وكان الجديدي يقول : « عبيد راجلنا دنيا وأخرى » وكان يتصرف فيه تصرف المالك في ملكه . وحدث الحاج مبارك بن سالم الهيشري قال : قال لي الشيخ الجديدي : رأيت في منامي « كأني مقدم في سفينة وعبيد الغرياني في مؤخرها » فتأولته أني أموت وهو يرثني . فقلت بعد ذلك لعبيد المذكور كيف كانت معرفتك ؟ . قال : « جئت من جبل غريان لقصر المستنير وكان فيه الشيخ عمر بن محفوظ الغرياني فأقمت عنده أزيد من عام فرأيت في منامي كأن هائلاً يقول لي : ما يفتح الله عليكم إلا على يد سيدي محمد الجديدي ! . فقيمتي ثلاث مرات ثم في الرابعة رأيت صفته وحاله وما عرفت أين هو فقصدت الجديد بين الدين في بلده « فحققة » فلم نر صفته فيهم فقلت : سبحان

الله !.. هذا الذي جاءني شيطان؟.. ثم قلت : بعد أن حصلت ها هنا
 ندخل القيروان ونزور من بها . فلما دخلت من باب تونس وإذا
 بصبيان يلعبون ورجل خلفهم قاصداً جهة الباب فعرفت أنه صاحبي
 فقلت لصبي : من يكون ذلك الرجل؟.. فقال : سيدي محمد
 الجديدي ! . فبحثت اليه وقابلني وقابلته وقال لي : جئت ؟.. وأخذ
 بيدي ومشى معي لموضعه » .

وحدث الفقيه أبو عبد الله محمد بن الشيخ سليمان النفوسي الهبري ،
 قال : جئت من « قصة » بزيت وزيتون فيه فلقيني الشيخ عبيد
 الغرياني فقال لي : جئت لي مطراً زيتاً وشيئاً من الزيتون فيه .
 وأوصلته لداره . فوصلني من عنده بسبعة أمتار زيتاً
 وديناراً ذهباً .

وله من الكرامات ما لا يحصى ، وتوفي رحمه الله تعالى عام خمسة
 وثمانئة ودفن بالزاوية وقبره مزار ...



[رجع] ولم يزل عبد العزيز والياً بطرابلس الى أن توفي سنة
 (٨٢٣) ثلاث وعشرين وثمانئة .

ولاية محمد المنصور ابن أبي فارس

وولى محمد المنصور ابن أبي فارس عزوز وولى عهده وأقام بطرابلس

والياً الى ان مات في رجب سنة (٨٣٣) ثلاث وثلاثين وثمانمائة لعشر
سنين من ولايته وحمل نعشه الى تونس ودفن بقرية آله جوار الولي
الصالح سيدي محمد بن خلف .

ولاية أبي محمد بن عبد الواحد

وعقد أبو فارس عزوز لأبي محمد بن عبد الواحد على ايلة
طرابلس فقدمها وتلم زمام الأمر فيها وشمر عن ساعد الجد والاجتهاد
فما يؤول لاستبواب الراحة وتعميم الأمن في كافة انحاء الولاية وصرف
أنظاره الى أعطاف الذئاب العاوية من أعراب قلاتها وقطع دابر
المفسدين فعم الأمن والعدل .

واستمر الأمير أبو فارس عزوز في امارته الى أن توفي سنة
(٨٣٧) سبع وثلاثين وثمانمائة وولي حافده (محمد المنتصر بن محمد
المنصور) ثم مات في صفر سنة (٨٣٩) تسع وثلاثين وثمانمائة وقام
بالأمر بعده شقيقه (عثمان) .

واستمر أبو محمد عبد الواحد والياً على طرابلس الى أن هلك بها
في سنة (٨٥٨) ثمان وخمسين وثمانمائة

ولاية أبي بكر بن عثمان

وفي هذه السنة عقد عثمان بن محمد المنصور لابنه أبي بكر على

ولاية طرابلس واستمر والياً عليها الى سنة (٨٩٣) ثلاث وتسعين
وثلاثمائة ولم يحدث بالولاية في خلال هذه المدة ما يغير صفو الأمن بما
مهّد له سلفه .

وفي أواخر رمضان من هذه السنة نزل عثمان بن محمد المنصور
من ولايته لحافده (زكرياء بن محمد المسعود) هذا وعدل عن ولده
أبي بكر والي طرابلس ثم ثار عليه عمه أبو بكر بن عثمان المذكور
وطلب من أهل طرابلس الولاية لنفسه وجرت مقتلة عظيمة ، آلت
الى القبض على (ابي بكر) وبعثه لابن أخيه (زكرياء بن محمد
المسعود) فحبسه بتونس ثم قتله .

ولاية محمد بن الحسن

وانتزى « بنو غراب » على طرابلس وقدموا محمد بن الحسن
لولايته . وكان عاجز الرأي ، ضعيف الشكيلة ، خفيف القيادة ،
واهى العزيمة .

فاستضعفه « بنو غراب » واستبدوا عليه فكان التصرف التام
لهم ولم يكن له معهم الا الاسم . وكثر عيثهم ومرج أمر الناس .
— فبعث زكرياء المسعود اليهم (أبا البركات السلياني) في العساكر
فحاصر طرابلس براً وبحراً نحو سبعة أشهر . وضاق الحال وسفكت
دماء فامتعض لذلك الشيخ العارف سيدي (خليفة أبو غرارة) رحمه
الله تعالى .

قال الأستاذ (محمد الحروي) أن الشيخ خليفة عرارة أمر أصحابه أن يجعلوه على نعش ، ففعلوا ، وأمرهم أن يذهبوا به الى محلة (المنفذ) فذهبوا به وهو في النعش على رقاب الفقراء فلما سمع بقدومه (المنفذ) سار اليه فلقيه وقبل يديه فقال له الشيخ : - يا أبا البركات ؟.. أرحل عن هذه البلد فقد ضيقت بالمسلمين !! . فقال له : - يا سيدي لا اذن لي من الامير . فأعاد عليه ثلاثا أو أكثر وهو يحبه بما أجاب به أولا . فقال الشيخ لأصحابه ردوني الى النعش واحملوني ففعلوا فلما استقر أشرف منه على المنفذ وقال له « اذا لم ترحل عن البلد كما أمرتك !.. ترجع إلى أهلك كما أرجع الى أهلي !.. » فما مضت أيام قلائل الاومات المنفذ وحمل في تابوت الى تونس وبموته تفرقت العساكر وارتفع الحصار وتمهد الهناء .

وأخذت السكينة في تعاطي أسباب الثروة والغناء من التجارة والزراعة فنمت زراعتهم وربحت تجارتهم وأقبلوا على انواع اللذات واستطابوا خفض العيش وترك الحامية السلاح حتى كان ذلك سبباً لطمع العدو فيهم وكان من أمرهم ما يأتي ذكره ...

في تاريخ طرابلس الغرب

قال في « كفاية المحتاج » لمعرفة من ليس في الديباج .

الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن موسى بن عبد الحق اليزليتي
القروي عرف بجلو الوامح .

قال السخاوي : ذكره تلميذه أحمد بن خاتم : أنه كان حياً عام (٨٩٥) خمسة وتسعين وثمانية لا تقصر منه عن ثمانين سنة . ولي قضاء « طرابلس » ثم عزل . ورجع لتونس فتولى مشيخة المدارس عوضاً عن إبراهيم الأخضرى وهو أحد الأئمة من حفاظ فروع المذهب .

شرح مختصر خليل ، وجمع الجوامع ، والتنقيح ، وإشارات الباجي ؛ وعقيدة الرسالة ؛ انتهى .

قلت : له شرحان على « خليل » الكبير في ستة أسفار فيه تحرير وأبحاث يعتني بنقل (بن عبد السلام) و (التوضيح) و (ابن عرفة) . ويبحث معهم أحياناً .

و (الصغير) في سفرين و (شرحان على السبكي) و (مختصر فتاوى البرزلي) في سفر . أخذ عنه وعن الإمامين (ابن عمر القلشاني) و (قاسم القبايى) و (ابن ناجي) وعنه (الشيخ زروق) .

[فائدة] من أبحاثه : ما ذكره من قول (خليل) في الشهادة (ولا عالم على مثله) لما حكى (ابن عات) عن (الشعباني) توجيهه بأنهم يتحاسدون والحسود ظالم لا يقبل على من ظلمه .

ثم قال : هذا كلام ساقط ، باطل ، متناقض ، لأنه وصفهم بالظلم . وشهادة الظالم لا تجوز مطلقاً .! لأن الظلم فسق مانع من الشهادة .

فينقض ما جوزه أولاً من شهادتهم في كل شيء ، ورد شهادتهم
مطلقاً ؟ .. لا قائل به ! ..

وايضاً !.. ان أراد قائله : (مرتبة ذلك بينهم) فلا يختص بهم ؛
(أو العموم) فعارض بادلة الشرع . ولا احسبه يصدر من عالم . ولعله
وهم من ناقله : ولأن قائله ان كان عالماً ؟ .. فقد دخل فيه ! ..
والا ؟ .. فلا عبرة به فيما يخرج نفسه منهم ؟ ..

فكيف تصح هذه الأقبوحة اليهم ؟ .. مع ان أدلة الشرع طافحة
بشرف أهل العلم كآية (ثم أورثنا الكتاب) . وحديث (العلماء ورثة
الأنبياء) وحديث (يحتمل هذا العلم من كل خلف عدو له) .

ولم يزل الشيوخ ينكرون هذا الكلام قديماً وحديثاً وتأويل ذلك
وحمله على ما ثبت بينهم بعيد لعدم اختصاصه بهم ؛ فياليت خليلاً لم
يذكره !! انتهى .

الشيخ يوسف الجعفري المسلاقي

الورع الزاهد الولي الناصح العارف الصالح ذو الكرامات العجيبة
والاحوال البديعة والقضايا الانيقة الأستاذ يوسف بن علي الجعفري
المسلاقي .

كان رحمه الله تعالى اماماً في علوم القرآن مقدماً في علوم اللسان
وله عدة تواليف منها (شرح القرطبية) و (شرح الاجرمية) ونظمها
نظماً لطيفاً وغير ذلك من تواليفه التي تشهد بفضله . وضرىحه ببلدة

(ملاته) بقرية القصبات من عمل طرابلس .

قال الشيخ (عبد السلام بن عثمان بن عز الدين) قد زرتة واطلعت ببلده على وثيقتين فيهما شهادة العدول ان الشيخ ابا القاسم بن الشيخ يوسف هذا ولد مكتوباً على بطن ذراعه اليمين (محمد) بقلم القدرة وتاريخ احدى الوثيقتين سنة (٨٢٠) عشرين وثمانمائة فيعلم من ذلك تاريخ عصره .

العارف اسماعيل بن يربوع

الأستاذ البركة الولي الصالح شيخ زمانه وواحد الجامع بين الشريعة والحقيقة العارف بالله تعالى سيدي اسماعيل بن يربوع صاحب الزاوية الغريبة معدن الأسرار القدسية .

كان رحمه الله تعالى من كبار الصوفية صالحاً ورعاً صاحب فيوضات وظهرت له كرامات وخوارق عادات في حياته وبعد المات وضريحه بداخل الثغر معروف ويتوسل ببركته كل ملهوف .

ومن كراماته ما أخبرني به الوالد رحمه الله تعالى قال : « بينا نحن نقرأ القرآن العظيم على الحافظ (الفقيه محمود) الخطيب بجامع الدرج الكائن بجوار ضريح الشيخ واذا برجل حسن الهيئة وعليه وقار راكبا على فرس من جياذ الخيل قد وقف بباب الكتاب الكائن بفناء ضريح هذا الاستاذ وخاطب الفقيه بقوله « يا فقيه محمود (سرح الأولاد) أي ائذن لهم بالروح الى منازلهم ! » ففعل ؛ وجلس الفقيه

للمطالعة حسب عادته . فقال له : ولا بد ان تخرج انت سريعاً ؟ ..
 فخرج جبراً مخاطره ، فبوقت خروجه من الكتاب سقطت قبة الكتاب
 باجمعا فكان هذا الرجل سبباً لنجاة من ذكر . ثم التمس هذا الرجل
 لأجل التبرك به فلم يوجد له اثر فعلمت الناس ان هذا من كرامات
 الولي الصالح سيدي اسماعيل رضي الله عنه ونفعنا به .

الاستاذ عبد الرحمن الغرياني

عبد الرحمن الغرياني الطرابلسي محشّي « المدونة » أخذ عن تلاميذ
 (ابن عرفة) (كيعقوب الزعي) وغيره .

قال (الشيخ حلولو) : له معرفة بالفقه انتهى .

وذكر في حاشيته عن شيخه (الزعي) عن (ابن عرفة) أنه قال :
 « لا يجوز لأحد يقف على نص ابن رشد في مسألة ويأخذ بقول
 (اللخمي) » فأنكره على ابن عرفة فذكره انتهى .

قلت : في هذا الذي قال ابن عرفة وان كان له وجه ما لكن
 لا يوافق عليه . فقد مشى (خليل) في مختصره في عدة مواضع على
 كلام اللخمي دون ابن رشد مع وقوفه على كلامه ونقله له في توضيحه
 كقوله في الجنائز « في الصنف ايضاً الصف » وقد ذكر كلامهما في
 التوضيح وله مثله في مواضع . انتهى من (كفاية المحتاج) .

الاستاذ عمر المسراقي

هو عمر بن ابراهيم المسراقي ابو علي . اخذ عنه (ابن ناجي)
وتقل في (شرح المدونة) .



الفقيه عبد الله الغرياني

قال ابن ناجي : صاحبنا الفقيه الحاج أبو محمد أخذ عن عيسى
الغبريني المتوفى سنة (٨١٦) ست عشرة وثمانائة انتهى .



الاستاذ عمر بن محمد السوكني

قال في كفاية المحتاج :

عمر بن محمد بن احمد بن خليل السوكني أبو علي نزيل تونس
الفقيه الأصولي العالم السني .

ألف كتاب التمييز لما أودع الزمخشري من الاعتزال في الكتاب
العزیز و (جزء الطبقات في البدع) .



الفقيه محمد الغرياني

محمد الغرياني التونسي أبو عبد الله . وصفه (البرزلي) بالفقيه العدل المدرس . انتهى .

وقع له نزاع مع (ابن عرفة) فيمن قال لرجل « انا عدوك وعدو نبيك ... » فأفتى ابن عرفة منتقص يقتل بلا استتابة . وأفتى هو بأنه مرتد واختاره الأبى وله بحث مع ابن عرفة في ذلك . انتهى من (كفاية المحتاج) .



العارف بالله أحمد زروق البرنسي

قال في كفاية المحتاج ، لمعرفة من ليس في الديباج :

أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي عرف بزروق .
الامام ، العلامة ، المحدث ، الفقيه ، الصوفي ، الولي ، الصالح ،
القطب ، الغوث ، العارف بالله ، الرحالة ، المشهور شرقاً وغرباً ،
ذو التأليف العديدة المقيمة ، والمنائب العتيدة الحميدة .

ولد كما قال هو : يوم الخميس عند طلوع الشمس ثامن وعشرين
من المحرم عام (٨٤٦) سنة وأربعين وثمانمائة . وتوفي ابواه قبل

السابع فكفله جدته ، فحفظ القرآن وتعلم الخرازة ، ثم اشتغل بالعلم في السادس عشر من عمره فقرأ الرسالة على (أبي عبد الله الفخار) وعلى (الشطي) بحثاً وتحقيقاً . ثم اخذ عن (القوري) و (الزرهوني) و (المجاصي) والاستاذ الصغير والتصوف عن (عبد الرحمن المجذولي) و (القوري) وقرأ عليه البخاري وأحكام عبد الحق الصغرى وشانل الترمذي وغيرهم .

وصفه (ابن غازي) بالفقيه ، المحدث ، الفقير الصوفي ، الصفي البرنسي ، بضم النون بعد الراء - نسبة لبعض العرب بالمغرب انتهى .

ومن شيوخه (عبد الرحمن الثعالبي) و (المشدالي) و (ابراهيم التازي) و (حلولو) و (الرصاع) و (الحذري) و (أحمد بن سعيد الحباك) و (ابن معدي الملواسي) و (السنوسي) و (التونسي) .

وأخذ بالشرق عن (النور السنبوري) والحافظين (عثمان الديلمي) و (السخاوي) والولين (أحمد بن عقبة الحضرمي) و (الشهاب الأبيطي) وآخرين .

وله تأليف كثيرة مختصرة محررة بحققة مفيدة « كشرح الرسالة » و « شرح الأرشاد » و « شرح مواضع من مختصر خليل » رأيتها بخطه و « شرح القرطبية » و « الوغليسية » و « المافقية » و « العقيدة القدسية » للغزالي و نيف وعشرين شرحاً ، على « الحكم » لابن عطاء الله « وقفت منه على السابع عشر والخامس والرابع عشر و « شرح حزب البحر » و « شرح مشكلات الحزب الكبير » و « شرح حقائق الامام المقرئ » و « شرح قطع الششتري » و « نونيته »

و « شرح الأساء الحسنى » و « شرح المراد » لشيخه (ابن عقبة)
و « النصيحة الكافية » و « مختصرها » و « اعانة المتوجه المسكين على
طريق الفتح والتمكين » و « قواعد في التصوف » في غاية النبل
والحسن و « النصح الأنفع » و « الجنة للمعتصم من البدع بالسنة »
و « عدة المريد الصادق من أسباب المقت في بيان الطريق »
و « حوادث الوقت » كتاب جليل فيه مائة فصل في بدع فقراء
الوقت و « تعليق لطيف على البخاري » في ضبط الألفاظ وجزء
صغير في « علم الحديث » و « رسائل كثيرة لأصحابه » في آداب
ومواعظ وحكم ولطائف .

وبالجملة فقدرة فوق ما يذكر فهو آخر الأئمة الصوفية المحققين ،
الجامعين للحقيقة والشريعة ، له كرامات ، وحجج مرات .

وأخذ عنه خلق (كالشهاب القسطلاني) و (الشمس اللقاني)
و (الخطاب الكبير) و (طاهر القسنطيني) وآخرين .

توفي ببلاط « طرابلس الغرب » في صفر سنة (٨٩٩) تسع
وتسعين وثمانائة .

وتنسب له قصيدة على منهاج القصيدة الجيلانية وهذا لفظها :
انا لمريدي جامعا لشتاته اذا ما سطا جور الزمان بنكبة
فان كنت في كرب وضيق ووحشة فتباد ايا زروق آت بسرعة
فكم كربة تجلى يكتنون عزنا وكم طرفة تجنى بأفراد صحبتي
وقد ذكرنا في الأصل شيئا من كلامه . ويذكر عن شيخه

سيدي الزيتوني انه قال فيه : رأس السبعة الأبدال تفعلنا الله به
انتهى .

قلت : وله « كتاب فتح المواهب » وكنز المطالب ، في الشبه
على بعض ما يتعلق بصدور المراتب ونيل المراتب « و « الكناش »
و « الرحلة » .

الولي الصالح سالم المشاط

وفيها توفي الامام الشهير الكرامات ، الكبير المقامات ، شيخ
السالكين ، وقدوة العارفين ، وعمدة المحققين ، سيدي سالم المشاط
رحمه الله تعالى ونفعنا به . ودفن بداخل مدينة طرابلس مما يلي السور
البحري قريباً منه . وضريحه ظاهر يقصد للزيارة ، والدعوات فيه
مشهورة الاجابة .

قال في فتح العليم : ان الشيخ سيدي (عبد السلام الأسمر) رضي
الله عنه يكثر من التوسل بسيدي سالم المشاط في مقطعاته ولا سيما
في مقطعاته المشهورة بالسلسلة . قال : وقد سمعت الشيخ العارف سيدي
(أبا راوي) رحمه الله يقول ، أنه ما ذكر فيها الا من بلغ القطبانية
العظمى . رحم الله الجميع ونفعنا ببركاتهم واسرار علومهم [رجع]

استيلاء الاسبانيول على طرابلس

فبينما أهل طرابلس في أرغد عيش وأهناه ، قد استأثروا مهاد الدعة

واستطابوا خفض العيش ، وطال نومهم في ظل الغرف والسلم فاستوت الحامية والرعية ، وتشابه الجندي والحضري ، اذ قدمت سفن النصارى الاسبانيول تجاراً بسلع كثيرة فنزلت بالمرسى فخرج اليهم رجل من التجار فاشترى منهم جميع ما بأيديهم من السلع ونقد لهم ثمنها ، ثم استضافهم رجل آخر فصنع لهم طعاماً فاخراً ، فلما أخرج لهم الطعام أخذ ياقوته ثمينة فدقها دقاً ناعماً ورشها على طعامهم . فبهتوا لذلك فلما فرغوا قدم لهم بطيخاً أخضر ، فطلبوا سكيناً لقطعها فلم توجد في داره سكين ولا عند جاره ، الى ان خرجوا الى السوق فأتوا بسكين . فلما رجعوا الى بلدهم سألمهم مالكمهم عن حال البلد التي قدموا منها ، فقالوا : ما رأينا بلداً اكثر منها مالاً واقل سلاحاً وأعجز أهلاً عن مدافعة عدو . فحكوا له الحكايتين فتأهب للاستيلاء عليها وارسل اساطيله واستولى عليها وذلك سنة (٩١٦) ست عشرة وتسع مائة ، ولم ينج من اهلها الا من تسور ليلاً . وانحاز المسلمون الى (تاجوراء) و (جبال غريان) و (مسلاته) وصارت المدينة للنصارى الى ان كان من أمرها ما يأتي ذكره !..

ذكر ظهور آل عثمان في أفق الخلافة

ولما أراد الله بأهل الأرض احساناً ، وافضالاً . وقدر ظهور العدل فيهم اكراماً ، واجلالاً . وقضى باطقاء نيران الظلم ، والفتن . وقمع مواد الفساد والمحن ، وتأييد دين الاسلام . وتقوية أهل السنة ،

التمسكين بسنن سيدنا محمد عليه أفضل الصلوات والسلام ، اطلع في أفق
الخلافة العظمى ، شمس الايادي العثمانية ، وأسطع في أوج سماء السلطنة
الكبرى ، بدور المعدلة الخاقانية ، وكانوا مطهراً لقول من يقول للشيء
كن فيكون ، ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها
عبادي الصالحون ، واستولوا بتأييد الله ونصره ، على شام البلاد
ومصره ، ورحم الله من قال :

هم معشر كلهم غايز وكلهم خير الملوك صناديد الصناديد
أولئك الناس ان عدوا وان ذكروا ومن سواهم فلعنو غير معدود
لو خالدة الدهر ذا عز لعزته كانوا أحق بتعمير وتخليد

خلد الله ملكهم العثماني مد الزمان ، وأبقى ملك الارض فيهم وفي
عقبهم الى انتهاء الدوران ، آمين .

وفد أعيان طرابلس الى دار الخلافة

ولما تفاقم الخطب على أهل طرابلس واستفحل أمر ما نزل بهم من
فتنة الاسبانيول ومغالبتهم على حاميتها وطلوعهم على أهلها بسوم الخسف ،
انتدب جماعة من أهلها سكنة تاجوراء ووفد وفد الى دار السعادة
العلية مستنجدين بالخلافة الاسلامية وكان ذلك سنة (٩٢٦) ست
وعشرين وتسعمائة .

ذكر خلافة أمير المؤمنين السلطان الغازي

وكان الخليفة في هذا العصر السعيد من ملكه الله تعالى أعظم الممالك ،
وفتح على يده أكثر الأمصار والبلاد بالسيف الصارم ، الحاسم مواد الظلم
من كل ظالم ، الناصر جناح الأمن والأمان ، على أهل الايمان ؛ السلطان
الأعظم ، والحاقان الأفخم ، فخر السلاطين آل عثمان ، السلطان الغازي
(سليمان) خان الأول . ابن ياوز السلطان (سليم) خان الأول . بن
السلطان (بايزيد) خان الثاني . بن السلطان الفاتح (محمد) خان
الثاني بن السلطان (مراد) خان الثاني الجلي . بن السلطان (محمد)
خان الأول . ابن ييلديرم السلطان (بايزيد) خان الأول . بن
خداوندكار السلطان (مراد) خان الأول . بن السلطان (اورخان)
خان الغازي . بن السلطان الغازي (عثمان) خان الاول . بن
(أرطغرل) . بن (سليمان) شاه . تغمدهم الله بالرحمة والرضوان ،
وحفهم بروايح الروح والريحان ، وكان جلوسه على سرير الخلافة العظمى
في شوال سنة (٩٢٦) ست وعشرين وتسعمائة . وكان رحمه تعالى
رفيع القدر حسن الطبع في الحرب والسلام ، موصوفاً بالعلم والحزم ،
مؤيداً في حروبه ومغازيه ، مشهوراً في وقائعه ومراميه ، أيان سلك
ملك ، وأنى توجه فتح وقتك ، وصلت سراياه أقصى الشرق والغرب ،
وفتح البلاد الشاسعة بالقهر والحرب ، وأسس قواعد الدولة العثمانية بسن
القوانين ، ومهد الممالك ، ولين الجموحات ، وأمن السالك ، مع الفضل

الباهر ، والعلم الزاهر ، ان نظم نضد عقود الجواهر ، أو نثر ، نثر منشور الأزاهر ، أو نطق قلد الاعناق الدر الفاخر .

[رجع] فعرض أولئك الوفد استرحامهم على أعتابه الشريفة السلطانية وأوضحوا ما نزل بهم من البلاء الناشئ عن سوء تصرف ولائهم ، فوسعهم بيراً ، وتكرمة وتوجهت عواطفه السنية الى اغاثتهم ونجدهم .

ولاية مراد اغا

وسنحجب ارادته السنية بتولية (مراد أغا) عليهم . وكان مراد أغا هذا من أغوات الحرم الذين نشأوا بالسراية السلطانية . وكان يحسن اللغة العربية وله كفاية فيما يقلد اياه وشهامة فيما يستعان به .

فسرحه (أمير المؤمنين) مع الوفد في خوف من العساكر لأن أولئك الوفد سهلوا الأمر ، وجاء فيمن معه الى قرية (تاجورآه)^(١) ونزل بها .

ثم حاصر طرابلس ولم يتيسر فتحها بما لديه من العساكر .

وفي سنة (٥٧) سبع وخمسين التمس المدد . ثم أسس طابية صغيرة بين طرابلس وتاجورآه للمدافعة ووجه أنظاره لتمهيد الوطن

(١) قرية بمقره من طرابلس على اثني عشر ميلا من شرقها .

بكمال الخزم ، وأرسل العمال ، وأمن السبل ، وبسط في الناس العدل ،
وقام بالأمر أحسن قيام ، وأسس (الجامع الكبير) بتاجوراء
و (المدرسة) المعروفة به وأوقف عليها أوقافا جمّة .

وفي هذه السنة غزا أهل نابولي وجنوه (المهدية) وأخذوا ما فيها
وتفرق أهلها وهدموا أسوارها . ثم أقلعوا عنها وتراجع إليها بعض أهلها

ثم أنوا جزيرة جربة واستولوا عليها وامتلات أيديهم من مغائرها
فسرح لهم (أدير المؤمنين السلطان سليمان) قبودان البحر (سنان
باشا) و (بياله باشا) و (طورغود بك) في الأساطيل وحلقوا
بالعدو وأوقعوا به وشتتوا أساطيله وافتكّوا منهم (جزيرة جربة)
بعد حصار ثلاثة أشهر . وأخذوا حاكمها أسيرا .

ثم في سنة (٩٥٨) ثمان وخمسين وتسعمائة قدم منها طورغود بك
إلى طرابلس في مائة وعشرين أسطولا وحاصروها فتيسر فتحها
والاستيلاء عليها بسهولة ونزل واليها (مراد أغا) بقصر الحكومة فيها
وصفا له الجوّ وشرع في ترتيب الأمور .

وما تمهد الهناء فيها رجع الرئيس (طورغود بك) إلى دار الخلافة .
ثم قدم في الأساطيل السلطانية سنة (٩٦٢) اثنتين وستين وتسعمائة
إلى جزيرتي (ميروقة) و (قوريسقة) وأوقع بهما ولحق بالقبودان
(بياله باشا) و (جزاير بكلكر بكى صالح باشا) وقدموا (بجاية)
وتيسر فتحها . ثم فتح (وهران) و (بنزرت) وصدوا أساطيل
إسبانيا عن الهجوم على بلاد المغرب ثم رجع لدار الخلافة بغنائم وافرة .

ثم في سنة (٩٦٤) أربع وستين وتسعمائة توجه بالأسطول الذي

كان يومئذ في (بحر طيش) لاصلاح تلك الجهة وعملها ودفع المتغلبين عليها . وقدم (مسقط) و (هرمز) فكان له غاية النصر والاستيلاء والتمكين . وأوقع باساطيل (البرتغيز) التي كانت ببحر عمان تقطع البحر وتغير على بلاد الاسلام وشقتها ، فاشتهر هذا الهام بما أبرزه من الشجاعة والبسالة في هذه الحروب وأحرز رتبة (طرابلس غرب بكربكي) وكان من أمره ما يأتي ذكره :

الشيخ محمد بن عبد الرحمن الخطاب

قال في كفاية المحتاج : محمد بن عبد الرحمن بن حسين أبو عبد الله الرعيني شهر بالخطاب . أندلسي الأصل ثم طرابلسيه وبها ولد . تفقه على محمد الفاسي وأخيه في المختصر ثم قدم مع أبويه وأخويه الى مكة سنة (٧٧) سبع وسبعين وحضر عند (السراج معمر) في الفقه وجلس للإقراء في الفقه ، والعربية ، ولد وقت صلاة الجمعة في العشر الأخير من صفر سنة (٨٦١) إحدى وستين وثمانمائة انتهى من السخاوي .

قلت : وأخذ أيضاً عن (السهوري) و (عبد المعطى بن خطيب) و (العلمي) و (محمد بن أحمد السخاوي) قاضي المدينة والامام (زروق) و (الحافظ أبي الخير السخاوي) و (الشمس المراغي) وغيرهم ، ذكر ذلك ولده العلامة محمد الخطاب .

واخذ عنه ولداه وغيرهما وكان حيا في حدود سنة (٩٤٤) أربع وأربعين وتسعمائة انتهى .

واننى عليه العلامة (محمد الخروبى) رحمه الله بقوله : ربانا أحسن
تربية . وأدبنا أحسن تأديب . واجتهد في تعليمنا . وكان يقوم
بشؤوننا . وكان يتحفظنا بخدمة الصالحين وموالاة الفقراء ويقول « من
خدم شيخا كبيرا لكبر منه قبض الله له من يخدمه في آخر عمره »
وانا وجدنا بركة ذلك وثمرة خدمتنا لأولياء الله ولعبيد الله . فوفى
الله لنا المكيال . وأمال إلينا قلوب الرجال . فكنا اذا أمرنا أطعنا .
واذ أردنا أعطينا . واذا استشفعنا قبلنا . والله الحمد والشكر .

وكان هذا السيد من أصحاب الوالد رحمه الله تعالى ومن تلامذته
رحمهم الله جميعاً ، وكان هذا الشيخ كثير العبادة شديد الورع زاهداً
عالماً عارفاً بالله تعالى ، له تطلع في علم التفسير ، وأكثر كلامه فيه
بالمواهب الربانية . والحقايق العرفانية . والنكت الصوفية . اذ كان له
قدم فيه .

وكان دائم الاهتداء ، شديد الاقتداء : في الأقوال ، والأفعال ،
والاحوال ، في العادات ، والعبادات ، حتى كان رضي الله عنه وأرضاه
يقتدي برسول الله (صلى الله عليه وسلم) في لباسه ، وعمامته ،
ومشيته ، وجلوسه ، وأكله ، وشربه ، وفي جميع شؤونه .

وكان يحض أصحابه على ذلك ويعلمهم عمامة رسول الله (صلى الله
عليه وسلم) ومشيته ، وجلوسه ، وأكله وشربه ، وجميع أفعاله :
ويقول « الخير كله في ذلك » وأما العبادات : فكان أشد الناس
فيها تعلماً للأمة وأحرصهم الى ذلك . حتى كان يسير بأصحابه الى
البحر ، ويتجرد حتى يكون في (ميزر) ويعلمهم كيفية (الوضوء)

و (الفصل) بالفعل بعد القول . كل ذلك حرصاً على تعليم الخلق دين الحق وتأدية الأمانة .

وكان هذا السيد : مهاباً ، وقوراً ، صموتاً ، دايماً الذكر ، ملازماً للخلوة ، الا اذا خرج للتفسير أو تقرير كلام القوم واطهار معاني حقائقهم ، وشرح ما أشكل من عباراتهم ، وبيان ما غعض من أشاراتهم .

وله في هذه الطريقة أشياخ عظام منهم الولي العارف القطب سيدي (احمد الدهماني) الطرابلسي وهو عنده العمدة . ومنهم مولاي الوالد ومنهم الشيخ العالم العلامة . العالم بعلم الشريعة . الماهر في علم الحقيقة . المتضلع مسن العقول والمنقول . سيد أفريقية وعالمها (أبو عبد الله البكي) التونسي رضي الله عنه .

وكان هذا السيد يستعمل السماع لكن بشرطه ، ومع أهله ، وفي محله . ويقال بمحضره كلام الوفائية ، ومقطعات الشثري ، والبرايي ، وكلام أبي المواهب . وينشد في مجلسه كلام (ابن الفارض) وأمثاله فيزيل ما في كلام القوم من الاشكال ، وينفي ما فيه من الابهام ، ويشرحه على طريق جامع للشريعة والحقيقة ، فلا يجد في كلامه ما يردده عليه المعارض .

وكان يقسم السماع على ثلاثة أقسام : فمجلس لا يحضره الا أخص أصحابه كسيدي (عبد الحميد الكمودي) ، وسيدي (عبد الحميد بن يربوع) ، وسيدي (محمد الضكاوح) ، وسيدي (الحاج قاسم بن قلاع) ، والسيد الصالح الفقير الصادق والمريد السالك ذي الأحوال

السنية سيدي (محمد غميص) ، والشيخ الولي العارف الغوث سيدي
(خليفة بو غرارة) ، وامثال هؤلاء السادات الكرام ، والصالحين
العظام .

ومجلس : يحضره خواص أصحابه كسيدي (محمد بن طاهر) ،
وسيدي (محمد بن خروف) ، وسيدي (محمد غميص) السالف ذكره
وسيدي (محمد بن مسلم) ، وأمثالهم .

ومجلس : يحضره عوام الفقراء . فهذه طريقه في سماعه .

ولهذا السيد كرامات منها ما قال لي السيد الحاج (قاسم بن قلاع)
وكان من خواص أصحابه وكان من المريدين السالكين ، ومن أرباب
الأحوال ، أخبرني رحمه الله تعالى انه كان مع الشيخ يوماً في مسجد
سيدي (أبي يعقوب) على ساحل البحر من طرابلس قال : والشيخ
ينظر في كتب له قال : فقلت في نفسي « هذا الشيخ شديد العبادة ،
كثير المجاهدات ، دائم الأحوال ، ولم تظهر له كرامة ، يعني من
خوارق العادات ؟ .. قال : فيينا أنا أقول في نفسي هذا الكلام وإذا
بالشيخ رفع رأسه الي وقال لي : « يا حاج قاسم !.. الذي ينظر في
أمر الخالق ، خير من الذي ينظر في أمور المخلوق !.. » فهذا الشيخ
رحمه الله تعالى كنا تحت واسع كنفه وسديد نظره وحسن رأيه
يؤدبنا بآداب الصوفية ، ويعلمنا الاحكام الشرعية ، والحقائق الاحسانية ،
والنكت والدقائق والأسرار العرفانية ، الى أن قبضه الله تعالى اليه
وهو راض عنا فله الحمد والشكر .

أقول : توفي رحمه الله تعالى بطرابلس وضريحه بزاويته الكائنة بالقرب من قرية تاجوراء .

الاستاذ محمد الخطاب

قال في كفاية المحتاج : محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخطاب ولي الله شمس الدين شيخ شيوخنا . كان اماماً علامة محققاً ، بارعاً ، حافظاً ، حجة ، ثقة ، نظاراً جامعاً ، ورعاً ، صالحاً ، معتبراً من اولياء الله . ومن سادات العلماء وسراهم . متقناً ، متقناً ، محصلاً ، نقاداً ، عارفاً بالتفسير ، ووجوهه ، محققاً للفقهاء وأصوله ، ومسانله ، مستنبطاً لها ، يقيس على المنصوص غيره ، حافظاً كبيراً في الحديث وعلومه ، محيطاً باللغة وغريبها . عالماً بالنحو والصرف . فرضياً ، حسابياً ، معدلاً ، محققاً لها . اماماً مطلقاً في ذلك كله . جامعاً لسائر الفنون .

آخر الأئمة المتصرفين في الفنون التصرف التام . آخر أئمة المالكية بالحجاز .

له تواليف بارعة تدل على امامته ، وسعة حفظه ، وسيلان ذهنه وقوة ادراكه ، وجودة نظره ، وحسن تصرفه ، واطلاعه أدرك فيها فحول الأئمة (كابن عبد السلام) و (خليل) و (ابن عرفة) فمن فوقهم .

وفي الحديث على حفاظه (كابن حجر) و (السيوطي)
و (السخاوي) وناهيك بذلك . أخذ الفقه وغيره عن والده (الخطاب
الكبير) والعلامة (أحمد بن عبد الغفار) والعارف بالله (محمد بن
عراق) وروى عن الحفاظ (عبد القادر النوير) وابن عمه (المحب
أحمد بن أبي القاسم النويري) و (البرهان القلقشندي) و (العز
عبد العزيز فهد) و (الجمال الضاغاني) و (عبد الرحمن القابوني)
وغيرهم وأجازوه .

وأخذ عنه (عبد الرحمن التاجوري) و (محمد الفيش) و (ولده
شيخنا يحيى الخطاب) وشيخنا (محمد الفلاني) وغيرهم .

وله تواليف حسان أجاد فيها ما شاء . كشرحه على مختصر (الشيخ
خليل) تركه مسوداً فيبضه ولده (يحيى) في أربعة أسفار كبار
يدل على جودة تصرفه وكثرة اطلاعه وامامته ، لم يؤلف على خليل
مثله جمعاً ، وتحصيلاً بالنسبة لأوائله .

وله كتاب الحج منة استدرك فيه على خليل وشراحه وشرح ابن
الحاجب وابن عرفة وغيرهم وأشياء كثيرة وشرح مناسك خليل شرحاً
حسناً . وشرح (قرة العين) في الاصول لامام الحرمين ، و (تأليف في
مسائل الالتزام) أي الزام الرجل نفسه معروفاً سماه « تحرير الكلام »
حسن في نوعه لم يسبق إليه . ومناسك سماه « هدية السالك المحتاج »
ليبيان فعلي المعتمر ، والحاج « في كراريس وشرح رجز ابن غازي في
نظائر الرسالة سماه « تحرير المقالة » .

و « كتاب تفريج القلوب » بالخصال المفكرة لما تقدم وما تأخر

من الذنوب » جمع فيه بين تأليفي (ابن حجر) و (السيوطي) وزاد عليها في كراسة .

و « البشارة الهنية بأن الطاعون لا يدخل مكة والمدينة » و « القول الثمين ان الطاعون لا يدخل البلد الأمين » و « عمدة الراوين في أحكام الطواعين » و « مقدمة بسط فيها مسائل الجرومية » و « ثلاثة رسائل في استخراج أوقات الصلاة بالأعمال الفلكية بلا آلة من الآلات » كبرى ووسطى وصغرى انتشرت الوسطى و (مؤلف فيما يلزم من فضل على نبينا صلى الله عليه وسلم أحداً من الأنبياء والملائكة وتفضيله عليهم) و (مؤلف في استقبال عين الكعبة وجهتها والفرق بينها) شرح به كلام صاحب الأحياء في كتاب السفر في نصف كراس مفيد (ومختصر اعراب خالد الأزهرى للألفية) مع زيادة يسيرة في أربعة كرايس .

ومما لم يكمل من توافيه (تفسير القرآن) الى سورة الأعراف و (حاشية على تفسير البيضاوي) وحاشية على الأحياء نحو ثلاثة أرباع الكتاب وصل فيه الى أواخر ذم الجاه . وشرح (قواعد عياض) وصل فيه الى القاعدة الثانية (وتعليق على ابن الحاجب) في بيان ما أطلقه من الخلاف وما خالف فيه على المشهور و « المذهب الى سنن الصلاة » . وتعليق على مواضع من اثنا عشر . و « جزء المسائل التي انفرد بها الامام » وذكر فيه بعض مسائله و « جزء في مسائل لم يقف فيها على نص في المذهب » و « جزء على ما في كلام بهرام في شروحه الثلاثة من الأشكال ومخالفة النقل » كتب منه يسيراً . و « تعليق على

الجواهر الى شروط الصلاة وعلى ابن عرفة في الكلام على تعرفاته
وبعض اعتراضه « ، كتب منه يسيراً ، و « حاشية على توضيح النحو »
و « شرح » خالد الوقاد عليه . و « شرح على مختصر الحوفي الى
المناسخات » . و « جزء جمع فيه المواضع التي غلط فيها صاحب
القاموس صاحب الصحاح » . و « جزء في الفاظ العربية التي فسر
صاحب الصحاح كل لفظ منها بمرادفه » فاستغنى بها عن التفسير
كقوله : [الجذب] نقيض الخصب ... ثم قال : في [فصل الخصب]
بالكسر نقيض الجذب ... ثم يفسر هو كلا اللفظتين بما قاله أهل
اللغة . و « حاشية على الشامل الى شروط الصلاة » . و « حاشية على
الارشاد الى الاستقبال » و « تأليف في القراءات » . و « حاشية على
قطر الندى في النحو » .

ولد ليلة الأحد ثامن عشر من رمضان سنة (٩٠٢) اثنتين
وتسعين . وتوفي تاسع ربيع الثاني سنة (٩٥٤) أربع وخمسين
وتسعين رحمه الله تعالى . انتهى .

أقول : توفي رحمه الله تعالى بطرابلس وضريحه بداخل الشجر مشهور
معظم مزار .

الشيخ عبد الرحمن التاجوري

قال في كفاية المحتاج :

عبد الرحمن بن الحاج أحمد المغربي الطرابلسي التاجوري به عرف .

قال القرافي : « شيخنا العالم الناسك ذو الحقيقة والطريق علامة الوقت في علم الميقات باطلاق .

أخذ الفقه على الأخوين (الشمس اللقاني) و (الناصر) وغيرهما . واعتنى « بالتهذيب » و « الرسالة » و « الموطأ » يدس فيها . قرأ عليه يوماً « وانه فوق عرشه المجيد » فذكر ما أجيب به من ان لفظة (بذاته) دس عليه في كتابه . فأنكره بعضهم وقال « كل عبارة عرضت يحاب عنها بذلك فلا يبقى اعتراض على عبارة » .

فغضب الشيخ ..! وقال : هذا امام مجمع على جلالة لم يوصف شيئاً مما يؤهله للفظ .

ثم قال السائل : تسكت والا أنكلم ؟ .. وكرره . فقال الطالب : لوجه الله لا تتكلم ! .. فذهب الشيخ مغضباً .

وسئل الطالب بعد ذلك فقال : خفت قوت الدرس وأنا جنب فحضرت في المسجد جنباً فزجرني الشيخ بما رأيتم . توفي قرب الستين وتسعمائة انتهى .

قلت : لقيه والدي وشيخنا محمد لما حجاً ، وحضر شيخنا عروسة رحمه الله تعالى .

وقال في فتح العلم جاء لزيارته جماعة من حجاج طرابلس وهو مقيم اذ ذاك بمكة المشرفة فسألوه الدعاء فرقع يديه وقال : « اللهم خفف حساب أهل مصر ! .. » فقاموا من عنده ولم يراجعوه لهيبته .

ثم جاءوه في اليوم الثاني وأعادوا عليه السؤال فأعاد الدعوة ثانياً
ثم في اليوم الثالث كذلك . فقال له أحدهم : يا سيدي !.. إنا أهل
بلدك وقد قصدناك فرحين بما منحك الله به وسألناك الدعاء لبلدك وأهلها
قدعوت لأهل مصر ...

فأجابه الشيخ رضي الله عنه بقوله « أهل طرابلس غير محتاجين الى
الدعاء ... الذي يأكل الشعير ويلبس الصوف لا يحتاج للدعاء وإنما
المحتاجون له أهل مصر وغيرهم من أهل الرفاهية » . هـ ١

الفقيه الطيب بن أبي بكر الغدامسي

الفقه العلامة . قال في « كفاية المحتاج » كان فقيه بلده تفقه
بأبيه . وأبوه بأبي عبد الله الرصاع . وحج وتوفي بعد (٩٦٠) الستين
وتسعمائة . له نظم .

الأستاذ محمد بن علي الخروبي

العالم العلم الفقيه الصوفي الراشح الشهير العارف بالله تعالى أبو عبد الله
محمد بن الفقيه الجليل العارف علي الخروبي ولد بقرية (قرقارش)^{١١}

(١) (قرقارش) قرية كائنة في ساحل طرابلس الغربي على نحو أربعة
أميال منها بها خرابة قصر مبني بالحجر المتحوت وتحت مغارات كان اسمه (قره
قوش) الأمير المشهور عند قدمه طرابلس واسم هذه القرية محرف عن اسم
مؤسسها المذكور .

وبيته بيت علم من لدن أسلافه الكرام ، وحضر مجالس العلم والعرفان
واخذ عن أساتيد عصره ومشايخ مصره ثم ارتحل الى ثغر جزائر الغرب
وأوطن بها الى أن مات سنة (٩٦٣) ثلاث وستين وتسعمائة .

وكان رحمه الله تعالى اماماً بارعاً محققاً وضاح الفهم ساطع الحاجة
عباب علمي الظاهر والباطن متين الحفظ متسع المعرفة شديد الرواية
معتدل الافادة ومن تواليفه (مزيل اللبس عن أدب وأسرار القواعد
الخمسة) وشرح (على الصلاة المشيشية) في غاية الجودة والنبيل .

أثنى عليه المحقق محمد بن المديني كنون في بعض تصانيفه ووصفه أبو
حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي بأنه واسع العلم والمعرفة شهير
الذكر قدم المغرب الأقصى مرتين في سبيل سفارة بين ملوك المغرب
الأوسط والمغرب الأقصى فأخذ عنه كثير من أهل المغرب الأقصى ، وأخذ
هو عن أساتيد أعلام منهم أبو العباس سيدي أحمد زروق رضي الله
عنه . ومنهم .

الأستاذ الحاج قاسم بن قلاع

قال الفاضل الخروبي :

وممن عاشرناه وصحبناه وافادنا وله علينا تربية : الفقير الصادق
السالك الناسك ذو الأحوال السنية ، والأخلاق الكريمة الزكية السنية .

سيدي الحاج قاسم بن قلاع الطرابلسي منشأً ومولداً ، دفن بمدينة فاس .
 كان رحمه الله تعالى يوالينا ويفيدنا ويخدمنا بجرمة مولانا الوالد لأنه
 شيخ شيخه واقتداء بشيخه سيدي محمد الخطاب في فعله معناه . ولقد
 وقعت لي معه وقعة كانت بداية الخير ، وذلك انا كنا جميعاً عشية يوم
 من الأيام فتذاكرنا حالة (سيدنا عمر بن الخطاب) رضي الله تعالى
 عنه وزهده وقرأنا شيئاً من رسالة سيدي (يوسف العجمي) .
 وانشدنا من لامية (عمر بن الفارض) وهو قوله رضي الله عنه :

هو الحب فاسلم بالحشاما الهوى سهل فما اختاره مضى به وله عقل

قطاب الوقت وصفا وحن الروح الى أحوال أهل الوفا وفتح الباب
 وزال الحجاب ونادى منادي الوصال هلم وتعال فنزعت ثيابي وأجبت
 بلبسك ها أنا منك واليك وأخذت ثياب سيدي الحاج قاسم ولبستها
 ولبس ثيابي وعمدت الى دارنا فكان لي فيها بعض طعام فاخرجته وفرقته
 على من احتاجه . وبعث ثيابي من غير ان تعلم الوالدة رحمه الله تعالى
 فكانت قيمتها اثنين وعشرين ذهباً طرابلسية تزيد قليلاً او تنقص عن
 ذلك وكتبت في زمام كل من كانت له عندي تباعة وفرقتها كلها فمن
 الآخذ ومن التارك الماسح الى ان نفدت الدراهم فعلمت بذلك الوالدة
 وسرت بما صنعت . وهذا كله من فضل الله تعالى ومنه ، ومعرفة
 الصالحين وذكر احوالهم والنظر في كتبهم نفعنا الله تعالى بهم بمنه .
 وكان صاحب الترجمة سيدي الحاج قاسم يأتي بعض ايام ويسألني عما
 يخصني في الدار واذا اخبرته الجأني الى روضة خارج بلد طرابلس
 تعرف بروضة سيدي عبد الله الشاب ونبيت هناك في مذاكرة وعبادة

وخير ، ونرجع الى البلد وقد تأثرت قلوبنا واطمأنت انفسنا . وربما حملني الى الجامع الأعظم من طرابلس نذكر الله ونتذاكر حكاية الصالحين ومعاملاتهم ، فيأخذني البرد وأنا حينئذ صبي صغير فينزع جبة له من صوف ويقرشني اياها رحمه الله تعالى وعفا عنه وأرضاه وجزاه الله خيراً كما هو اهله . فكان هذا دأبه معنا الى ان قضى الله بفراقنا ، ومنهم .

الاستاذ عبد النبي الجبالي

قال : ومن عرفناه من الصالحين وأخذنا عنه من اولياء الله المتقين الشيخ الكبير الولي الشهير فريد عصره ، ووحيد دهره ، العارف بالله تعالى القدوة مربي المريدين ، ومفيد السالكين ، ذو الكرامات الشهيرة ، والاحوال الذكية الأثيرة ، المكاشف المربي سيدي « عبد النبي الجبالي » نفعتنا الله به أمين . وقفنا ببابه وتأدبنا بأدابه وخدمناه ودعا لنا بخير . وكان هذا الشيخ كثير الاتباع ، عام الانتفاع ، ذكي الطباع ، له احوال سنية ، وافعال ذكية ، وكرامات ، وخوارق عادات ، ذا هبة عند الأمراء يعظمونه ويقومون اجلالاً له فأمره عندهم مطاع .

ولقد وقعت لي معه وقعة ، وذلك انا لما صافحنا شيخنا أبا عبد الله (محمد بن عبد الله الشهير بزيتون) اعاد الله علينا من بركاته لقنت ذكراً وارسلنا الى هذا الشيخ سيدي (عبد النبي) ، وكان ببلد (زنزور) بزراوية ابي جعفر غربي طرابلس ومن احوازها . وكان شيخنا زيتون

بطرابلس فمضيت انا واخي لي في الله وهو السيد الفقيه العلامة الصالح
 البركة بقية السلف الصالح سيدي « ابو بكر بن ابراهيم النفاثي »
 وكنت صافحت شيخنا زيتون معه في ساعة واحدة وواخي بيننا :
 وقال له محمد - يعني - يكفيك هم الدنيا وانت تكفيه هم الآخرة
 او العكس - الشك مني - فلما وصلنا اليه مكثنا عنده - والله
 اعلم - ثلاثة ايام . فلما اردنا الانصراف الى البلد والرجوع الى الشيخ
 سار معنا راكباً على فرسه كأنه كان مودعاً لنا ومشيعاً فلما اراد
 الرجوع عنا اخذت بركابه وقبلت يده فنظر الي وقال لي : يا ابن
 الشيخ لا ينبغي للعبد ان يطلعه الله على غيب السموات حتى يكمل
 اربعين سنة وهي السنة التي يكمل فيها عقل الانسان وفيها ارسل
 صلى الله عليه وسلم الى الناس او كلاماً هذا معناه ، فلما فتح الله علينا
 بما فتح ومنحنا من المواهب الربانية ما منح ، تذكرت كلام الشيخ فاذا
 الفتح وقع لنا في الوقت الذي أشار به الشيخ ، وكنت حين وقوع هذه
 الاشارة منه ابن نحو اثنتين وعشرين سنة أو ما قاربها .

ولقد التقى هذا الشيخ بشيخنا زيتون بطرابلس فلما التقيا تكلموا
 بكلام عظيم لولا اني أخاف أن أزيد فيه أو انقص - لأني حينئذ
 صغير السن - لذكرته . ومنهم .



الاستاذ العارف خليفة أبو غراره

قال : ومن عرفناه وخدمناه وله علينا مشيخة وفيها تربية الشيخ

القطب الفوث العارف بالله تعالى ، ذو المجاهدات العظيمة ، والاحوال
الزكية الكريمة ، شيخ زمانه ووحيد أقرانه ، المكاشف سيدي (خليفة
ابو غراوه) رحمه الله ورضي عنه وأرضاه . وكان هذا الشيخ كبير
المجاهدة مسكنه بموضع قريب من بلد طرابلس بنحو ثلاثة اميال يقال
له (الحارات) فكان مهابة صموتاً وقوراً يهابه الملوك والامراء وتعظمه
العلماء والفقراء ؛ وكان يحب السماع ويحضره عند شيخنا سيدي محمد
الخطاب ، فاذا حضر لا يبقى احد من اهل طرابلس الا حضر
يتبركون به ، فاذا أنشد المنشدون وقال القوال يقع صريعاً فلا يبقى
فيه روح حتى تقول إنه مات ، فيبقى صريعاً ما شاء الله تعالى ، ثم
يقوم كأنما خرج من القبر ؛ ويتكلم بحقائق وأمرور وكان يقول « الفقير
اذا غاب في الحضرة وغيبه السماع اذا لم يستقد في غيبته علوماً من الله
عز وجل فغيبته كاذبة ... » ولقد شاهدته مراراً اذا اخذه الحال
يجعل في رقبته حبلاً ويدفعه لبعض الفقراء فيأخذه ويطوفون به في
الأسواق بأمره ويأمره ان ينادي « من يشتري هذا العبد السوء المثقري
الكذاب الآبق من سيده ؟ » فيدفع الناس الدراهم لمن يطوف به فتجتمع
منها دراهم كثيرة فيأخذها الشيخ ويدفعها للقولين يقسمونها بينهم . وكان
رضي الله عنه اذا اخذه الحال في بعض الاوقات يأتي البلد وهو
يصيح ، فيتلقاه أهل البلد ويعلمون أنه انما جاء لأمر ظهر له ، لما
يعلمون من عادته ، فيتكلم بحقائق وأمرور . ومنهم .

الولي البدل محمد شأن الشأن

قال : ومن خدمناه وصحبناه وله علينا تربية ومشیخة الولي البدل سيدي محمد الشير بشأن الشأن ، كان مجدوباً من اهل الحال أطبق الناس على ولايته واجتمعت القلوب على محبته وأطلق الله على السنة الناس انه من الاوتاد . وكان مكاشفاً يتكلم على الخواطر فيأتي المسافرون يكلمهم بما يكون في سفرهم ويدخل عليه أناس من الآفاق فيسميهم بأسمائهم ويعرف بلد كل واحد منهم وأين مسكنه وكم اولاده ومن جاره ، ويقول لهم : رأيت في بلدكم كذا وكذا يتيا فكنا نرى انه يريد التربية الخاصة فكان يحبنا ويألف الينا وينظر من أحوالنا أنا واخوتي ؛ ويقول لنا : والدكم أعطاني الكلفة بان أربيكم . وكان ربما دعاني وألبسني الثياب الثمينة وأحضر آلات وجعلني أمامهم ويأمرهم أن يطوفوا بي البلد . وكان يشير الينا بإشارات رأينا اثرها وظهر لنا امره وبان خبرها ، فله الحمد والشكر . وكان رحمه الله مهاباً اذا انقبض مونساً اذا انبسط ، ولهذا الشيخ كرامات عديدة وخوارق عادات كثيرة لولا خوف الاطالة لدرجتها . ولما مات هذا السيد حضرت وفاته وختمت عليه وصاحب لي ختمة من القرآن . وليلة ان مات رأى بعض الناس ملائكة كثيرة هبطت من السماء فقالوا تهبطوا الجنازة فلان فلما صلي عليه في الجامع الأعظم حضر جميع أهل البلد فلم يبق رجل ولا امرأة ولا صبي الا وحضر الصلاة عليه ، وكنت فيمن حضر ؛ فلما صلي عليه ورفع سمع ضجة عظيمة وأصوات

كثيرة بالتهليل والتكبير حتى كأن الأرض انطبقت ، فلا شك ان
الملائكة حضرت حينئذ والله سبحانه وتعالى أعلم . ومنهم

الاستاذ عبد الرحمن بن عبيد التاجوري

قال : كان يؤدبنا بآداب الفقراء ويتوسم فينا الخير ويرجو أن
تكون الخلافة فينا ؛ فصحبناه زماناً وخدمناه أياماً . وكان صالحاً ورعاً
متعبداً له أتباع كثيرون وأصحاب صالحون ، أخذ الطريقة عن الشيخ
الصالح الولي العارف ، القطب الوارث المربي ذي الكرامات الظاهرة
والخوارق الباهرة شيخ شيوخ أهل أفريقية سيدي (محمد بن أبي بكر)
وهو أخذ عن سيدي (محمد الدخلي) وهو أخذ عن سيدي (فتح
الله العجمي) رحمهم الله جميعهم ونفعنا بهم . وصحبنا غير من ذكر من
الصلحين عدداً كثيراً وجماً غفيراً كلهم صالحون زاهدون عالمون ذوو
طريق قويم وصراط مستقيم كسيدي (محمد الأندلسي) وسيدي
(محمد المكاح) وسيدي (عبد الله الكمودي) وسيدي (عبد الحميد
ابن عمه) وسيدي (محمد الصغير) وسيدي (عبد الرحمن بن
ادريس) وسيدي (احمد الرجباني) وسيدي (عبد الله العبادي) وسيدي
(الشيخ الولي الكامل) شيخ زمانه وواحد عمله وزهدا وتعبدا
سيدي (أبو بكر المحجوب السراقي) وابنيه سيدي (يحيى)
وسيدي (أبي القاسم) وسيدي (علي بن أبي القاسم) كان فريد
عصره ووحيد دهره علماً وزهداً وورعاً وتوكلأ وتجريداً حضري الطبع
كثير النفع . وسيدي (محمد غميض) وسيدي (محمد بن سعيد)

والسيد الصالح الحاج (عبد الرحمن الكتفي) والسيد الصالح سيدي
 (عبد الرحمن بن ادريس التاجوري) والسيد الوالي الصالح البركة
 سيدي (محمد الصغير) من البلد المذكورة . والشيخ الصالح السيد
 (التيجني) وسيدي (عبد الحميد) والسيد الصالح التالي لكتاب
 الله سيدي (قاسم بن حمدون الأموي) وغيرهم ممن يكثر
 تعدادهم . وهؤلاء السادات كلهم قادة بهم يهتدى ، وبسنتهم
 يقتدى ، عالمون ، عاملون ، جامعون بين الشريعة والحقيقة ، ذوو صدق
 في الارادة ، والاستقامة في السلوك ، ولهم فضائل كثيرة ، رضي الله
 عنهم سبحانه كلهم وخدمناهم وأنحفونا بأسرار شريفة ، وحقائق دقيقة
 لطيفة ، فلهم علينا المنة الكبرى ؛ رحم الله الجميع ، وأمدنا بأسرارهم .

العارف بالله عبد السلام الأسمر الفيتوري

الغوث الشهير التصريف الغني بشهرته عن التعريف ، قدوة العارفين ،
 وينبوع اليقين ، صاحب الكرامات ، عالي المقامات ، شريف العلماء ،
 وعالم الشرفاء ، القطب الأكبر ، والكبريت الأحمر ، سيدنا عبد السلام
 الأسمر ، ابن سليم ، ابن محمد ، بن سالم ، بن محمد ؛ بن حميد ، بن
 عمران ، بن محيا ، بن سليمان ، بن سالم ، بن خليفة ، بن نفيل
 السعدي المغربي المخزومي القرشي صاحب الأسرار والأنوار المشهور
 بأبي مرزوق .

كان رضي الله عنه من أكابر الأولياء الأقطاب ، زاهداً ، فاضلاً ،
 عارفاً بربه ، لا يشق غباره في مقام التوكل ؛ وكان مبسوطاً بالقبض ،
 مقبوضاً بالمراقبة . وله تصاريف قوية في حياته وبعد مماته .

قال الفاضل شيخ الطريقة الشاذلية ومجمع الحقائق القدسية الأستاذ
محمد ظافر في رحلته :

أنه من أهل المائة العاشرة ومن أجل مشايخ (الطريقة العروسية)
اشتهر في زمانه وظهر بالعجب العجائب ، وعد من الأقطاب ، وقد
نجح على يديه كثير من الطلاب ، له فيض كبير ، وسر واضح شهير ،
وتصرف لا يحجده في زمانه المأمور ولا الأمير ، ومقام كريم ،
وحال مع الله عظيم ، ونال ما ناله الصديقون من التمكين ، في
مقامات اليقين .

ظهر رضي الله عنه في وقته بدعوى صادقة ، وأحوال خارقة ،
يسلمها ذو القلب السليم ، بطريق العلم الالهي وفوق كل ذي علم عليم .
ولنبداً أولاً بذكر بدايته ، وسنده في الطريقة ، وذكر أحواله ،
وسلوكه ، ونصيحته ، وشيء من كراماته ، ملخصاً ومختصراً . قال
العارف بالله تعالى سيدي (عمر بن ججا) رحمه الله : كان سيدي
عبد السلام رضي الله تعالى عنه في ابتداء أمره يقرأ القرآن ثم قرأ
العلوم على (الشيخ عبد الرحمن الوسلاقي) و (الشيخ زروق) . ولما
تفقه توجه الى (الشيخ الدكالي) وقرأ عليه وأخذ عنه التصوف .
انتهى .

قال سيدي عبد السلام رضي الله عنه : « وما أنعم الله به علي
اني لم افارق حلقة شيخنا الدكالي منذ عرفته الى ان مات رحمه الله ؛
وكننت أقرأ عليه « المختصر » و « الرسالة » و « مقدمة الامام
الاشعري » في علم التوحيد » .

وقال رضي الله تعالى عنه تلقيت « الطريقة العروسية » عن استاذي وملاذي ووسيلتي الى الله تعالى الشيخ سيدي (عبد الواحد عرف الدكالي) المغربي القرشي القاطن ببلد (مسلاته) توفي بها ودفن بقرية (زعفران) خارج المقبرة القديمة رحمه الله تعالى . انتهى .

قلت : وضريحه ببلد (يزليتين) من عمل طرابلس معروف تقصده الزوار ، من جميع الأقطار ، ولم تنزل بلده هذه مأوى الصالحين ، ووكر العابدين ، من قديم الزمان .

تواتر عند أهل البلد أنها لا تخلو من سبعة من كبار الصالحين وهم على هيئة العوام في ملابسهم ومساكنهم وحرفهم الا انهم قائمون على منهاج الشريعة الغراء ، وكل من رام أهل هذه البلد بسوء يقصمه الله ولهم كرامات كثيرة وخوارق عادات شهيرة .



ولاية طرغود باشا

وفي سنة (٩٦٤) أربع وستين وتسعمائة قدم طرغود باشا الى طرابلس والياً ومعه مقدار من (العساكر اليكيجرية) وتولى زمام الامر فيها فعمر البلاد ولمّ شعثها ووضع الاستحكامات وجعل الثغر في غاية المتانة والقوة ، وبسط العدل وأمن البلاد وتثبت بالأسفار في اساطيله وبث السرايا على الاعداء والرجوع بأموال الغنائم فيسد بها معاشات الجند وتعيناتهم ومصاريف الأسطول ونحوه .

ثم استدعاه أهل القيروان لما آسفهم جور صاحبها (محمد بن أبي الطيب الشابي) ، فقدم اليهم في العساكر وملك القيروان وقتل محمد بن أبي الطيب الشابي وشردها عنها أهلها وحاميتها من الشابين واستخلف على القيروان (حيدر باشا) ورجع الى طرابلس .

ثم في سنة (٩٧١) احدى وسبعين وتسعمائة اتفقت حكومات (اسبانيا) و (مالطة) و (الجنويز) على مهاجمة أفريقية وضبطها وازالة الاسلام منها ، ووقع ملك اسبانيا ببلاد الجزائر واخذ منها بعض قلاع ومراكب . فغضب (السلطان سليمان) من ذلك وأرسل الوزير الثاني (اسفنديار اوغلو : مصطفى باشا) الى « مالطة » في الاساطيل ولقبه بالسردار ورفقه بالقبودان (بياله باشا) . فقدموا « مالطة » ولحق بهم (طرغود باشا) فخرجت العساكر الى البر واخذوا في عمل خنادق امام القلعة وأقاموا عليها الحصار الشديد الى ان ائخنوا بها واخذوا اسرى كثيرين . وكان قد وقع في يد حاكم المدينة اسرى مسن اليكيجرية فلما اجهده الحصار امر بقطع رؤوسهم ووضعها في المدافع وضرب بها المحاصرين ودارت بينهم حروب هائلة استشهد فيها (طرغود باشا) وفقد عسكر كثير فلم يكن اخذ المدينة .

فرفعوا الحصار عنها وارتحلوا وحمل الشهيد (طرغود باشا) الى طرابلس ودفن في تربته المخصوصة وقبره يزار .

ولاية يحيى باشا

وولي يحيى باشا برتبة طرابلس غرب بكربكي فأبدى الحزم

وأمن السبل وأجرى العدل وقام بالأمر أتم قيام ؛ إلا أنه لم تطل أيامه ومات في سنة (٩٧٣) ثلاث وسبعين وتسعمائة لستين من ولايته .

ولاية مصطفى باشا

وولي مصطفى باشا برتبة طرابلس غرب بكالربكي فقدمها وتولى أمرها الى أن استدعاه (حيدر باشا) عامل القبروان عند قدوم (محمد بن حسن الحفصي) ودخوله تونس بعساكر الاسبانيول واشتداد الخطب على أهل تونس كما سيأتي ذكره .

خلافة السلطان سليم خان الثاني

وفي سنة (٩٧٤) أربع وسبعين وتسعمائة ارتحل (السلطان سليمان) الى دار الجنان ، وجوار الرحمن ، عامله الله بالكرامة والرضوان ، لثمان وأربعين سنة وشهر من خلافته . وجلس على سرير الخلافة ولده (السلطان سليم خان الثاني) وكان شهياً ، شجاعاً ، وسلطاناً قاهراً ، ووجداً ظاهراً ، وسيفاً منصوراً ، تحت عدل مشهور ، وكان رحمه الله ذكياً مايلاً الى التقوى ووجوه الخير ، مهذب الشكل ، جليل القدر .

سيدي أحمد بن عبد الحميد اليربوعي الشهير

ببحر السباح

قال في الرحلة الطافرية : حفظ القرآن في زاوية الشيخ (سيدي عبد السلام الأسمر) وتفقّه في المختصر ، والرسالة ، على أكابر من علماء (طرابلس) وارتحل الى المشرق وأخذ الفقه على الأخوين الشمس اللقاني والناصر وغيرهما ؛ واعتنى بالتهذيب والرسالة والموطأ ؛ وحج وزار واجتمع بجماعة من أكابر (الأزهر) ، ولازم (ابن حجر الهيتمي) وتبرك به وقيد عنه مسائل ؛ ثم قدم الى طرابلس واجتمع بالشيخ سيدي (عبد السلام الأسمر) وأخذ عنه وخدمه مدة وانتفع به . وكان الشيخ رضي الله عنه يثني عليه ويشهد له بالصدق ويذكره دائماً بخير . وكان رحمه الله ذا كرامات وكشف وإطلاع ؛ وكان وسيع الاخلاق لا يكاد يغضب ابداً . وكان من أهل السخا والكرم . توفي رحمه الله سنة (٩٧٩) تسع وسبعين وتسعمائة وقبره بمكان يسمى (ديله) مشهور .



[رجع] وفي سنة (٩٨٠) ثمانين وتسعمائة قدم (محمد بن الحسن ابن محمد بن الحسن بن محمد المسعودي) من آل أبي حفص ، وهو آخر أمراء هذا البيت ، وسبحان من لا أول له آخر . ودخل تونس بعساكر

الاسبانيول فخرج غالب أهلها الى (جبل الرصاص والغابات) بأهلهم وأولادهم فراراً بأنفسهم وأموالهم . واشتد الخطب على أهل تونس ولاذوا بالبوادي ونالهم من الجوع والعطش وكشف السر وتشتت الشمل ما هو مبسوط في كتب التواريخ . وتوجهوا الى القيروان فضاقت بهم البلاد حتى هم (حيدر باشا) عاملها بالفرار منها ، وثبطه (سيدي أحمد الرفاق) وكاتب والي طرابلس مصطفى باشا وصاحب الجزائر بطلبه الاعانة ، فأتى المدد منها ، وتوجهوا لحصار تونس وقاتلوا يوماً واحداً فقط .

ولما طال أمر الحصار عزموا على الرحيل فأتاهم القرح بعد الشدة بظهور عدد كثير من الأساطيل في البحر ظنوها نجدة للسبانيول فبان انها من (السلطان سليم) وبها الوزير الشهير (سنان باشا) قبودان البحر ، و (قلنج علي باشا) ، وجباة من أعيان الأمراء والشجعان ، خرجوا من دار الخلافة غرة أشرف الربيعين سنة (٩٨١) احدى وثمانين وتسعمائة ، ودخلوا في الرابع والعشرين من الشهر . فكتب الوزير (سنان باشا) الى أمراء الجهات بخبر قدوم النجدة من (الدولة العثمانية) ، وامر كل واحد أن يحتفظ بما في يده . وأيقن الناس بالنصر وحصول اليسر بعد العسر . ونزل العسكر العثماني الى البر واعتضد الوزير (سنان باشا) (بمصطفى باشا) والي طرابلس و (بحيدر باشا) عامل القيروان ، وحاصر (قلنج علي باشا) « حلق الواد » ووالى عليه القتال الى أن أخذه عنوة وحكم السيف في أهله ، وغنم جميع ما به من العدة والذخائر والآلات . ثم جرد الوزير (سنان باشا) عسكرياً لحصار تونس وأوقعوا بها ففر من بها

من الاسبانيول ومعهم محمد بن حسن الحفصي إلى « البستيون » ؛ وتملك
العسكر العثماني تونس وقصبتها . ثم حاصروا « البستيون » ، وأوقعوا بهم
إلى أن ملكه عنوة يوم الخميس لخمس بقين من جادى الأولى من هذه
السنة واستأصل أهله بالقتل .

ولما استقرت قدم (سنان باشا) المشار إليه بتونس ، وتلافى ما
بقي من رمقها ، وقّلع أوتاد الحفصى من مراكزها وصفا له الجو :
شرع في ترتيب الأمور وتأليف الناس ، وأبقى نحو أربعة آلاف من
العساكر وعلى كل مائة منهم أمير يسمى (داي) وجعل (مير -
لواء) لضبط أوطان المملكة واستخلاص جبايتها ويسمى (الباي) ،
وهو (رمضان بن حسن) من جند الجزائر وقيل هو من مسلمة
الافرنج أسلم صغيرا ، ورتب القضاة وسائر المأمورين .

ولما تمهد الهدوء بتونس رجع الوزير (سنان باشا) وقبّودان البحر
(قلنج علي باشا) إلى دار الخلافة ، و (مصطفى باشا) إلى عمله
بطنابلس الغرب .

خلافة أمير المؤمنين السلطان

مراد خان الثالث

وفي سنة (٩٨٢) اثنتي عشرة وثمانين وتسعمائة أفضت الخلافة بعد وفاة
(السلطان سليم) خان الثاني لابنه السلطان مراد خان الثالث . وكان

وقت وفاة أبيه غائباً في « مغنيا » فأختوا موت أبيه احد عشر يوماً الى أن حضر (السلطان مراد) وقام بأعباء الخلافة أتم قيام .

وكان رحمه الله ملكاً جليلاً ، تربى في حجر السعادة ، واشتغل بالعلوم ، حتى حصلها وفاق فيها ، واشتغل بعلم التصوف ، ولم ينقل عنه أنه صدر منه شيء من الكبائر . وكان واقفاً عند مراد ربه لا يتعدها ، عاملاً في أمره بتقوى الله ، مراعيّاً للعدل والاحسان فيما استرعاه . [رجع]

ولاية محمد باشا

في سنة (٩٨٢) ثنتين وثمانين وتسعمائة توفي (مصطفى باشا) والي طرابلس وولي محمد باشا عرف التركي . وكان شديد الوطأة سيئ الخلق فبسط في الناس يد الجور .

وثار في هذه السنة بعمل (غريان) رجل اسمه (الحجاج) والتف به لقيف من رعاك الناس واستبد بذلك العمل .

الشيخ احمد الكمودي

قال في الرحلة الظافرية : ومن أهل الكمال والحال سيدي الشيخ أحمد بن عبد الله الكمودي شقيق سيدي عبد الحميد المذكور . كان

مجنوباً من أهل الكمال ومن أرباب الكشوفات يخبر الناس بما في ضميرهم ، ويذكر وقوعاتٍ حدثت في أماكن بعيدة ، ويظهر صدقه فيها . ويقول : « أهل الله اجتمعوا على الأمر القلاني » وهكذا !.. وإذا كان أحد من الناس وقع في معصية فيأتيه سرّاً وينهاه ويتهدده إن عاد إليها . ولا يتكلم بالأمور المغيبات إلا إذا تقوى عليه الوارد .

وإذا سئل قبل ذلك يقول لسائله : « دعني في حالي !.. » وإن ألح عليه ، أو ألزمه بشيء يجب كتمانـه ، يزوم زومة ويتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ويمتد كاليت ، ثم : يفيق .

وله أحوال عجيبة . وكان كثير الصيام قليل الأكل عند الإفطار ولا يزال لسانه رطباً بذكر الله . ومهما أحدث تَوْضاً . وكان كثير الصمت لا يتكلم إلا بما يعنيه ، وكراماته كثيرة مذكورة في محلها ، ومن كلامه في بعض شطحاته :

أنا أحمد صاحب الحال	أنا عمار البلاد
عندي مفاتيح الاقوال	حين ينادي المنادي
عند الحرم أسد قتال	من نضربه ما يدادي
أنا شربت من منهل زلال	والشيخ الاسمر أستاذي
رباني بعز ودلال	شيخي هو منية مرادي
الأسمر مليح الفعال	سقاني كؤوس الوداد
وفزت عن جميع الرجال	أهل الحضرة والبواد

وكانت وفاته رضي الله عنه في سنة (٩٨٤) أربع وثمانين وتسعمائة ودفن مع والده رحمهما الله تعالى ورحم جميع المسلمين آمين .



الشيخ أحمد أبو قطاية المجذوب

قال المحقق الشيخ محمد ظافر في رحلته : هو الشيخ الولي الصالح المجذوب المكاشف سيدي أحمد أبو قطاية ابن محمد البشت - بكسر الباء الموحدة - كان مجذوباً مستغرقاً في الحال مكشوف الرأس له فرع مسدل بين كتفيه يسمى عندهم (بالقطاية) - بضم القاف وتشديد الطاء - وبها لقب .

وكانت له كرامات عديدة ، وأقوال مفيدة ، مات رحمه الله في سنة (٩٨٩) ثع وثمانين وتسعمائة ودفن بمسجد جده ، وقبره ظاهر يزار . ا هـ



[رجع] وفي سنة (٩٨٥) خمس وثمانين وتسعمائة مات (المنتصر ابن الناصر بن محمد الفاسي) عامل « لواء فزان » متأثراً مما ناله من قهر زوجته (خودة) .

وكان من خبره أنه لما بنى بها أكنها بالقصر الأحمر الكائن « بسببه » من قرى فزان ثم تزوج عليها من نساء مرزوق وولع بها ،

فقتل ذلك على « خودة » وأضمرت لبعْلِها سوء ؛ فاتفق أن المنتصر أطال المكث عند زوجته المرزوقية فاستثار هذا التأخير غيرها ولما قدم عليها جاهرت بالعداوة ، ومنعته الدخول الى قصرها . وكان القصر منيعاً فحاصرها فيه ثلاثاً وفي الرابع مات كمدأ .

واستبد (الناصر) أكبر أولاد المنتصر برزوق وقطع أسباب الطاعة ومنع الجباية ؛ ولما اتصل الخبر بمحمد باشا سرح العساكر لتمهيد تلك الجهة ، وقدموا « سبه » وقبضوا على (خودة) وقتلوها ، وفر ابنه الناصر بخزنيته واخوته ولحق بأرض « كاشنه » من السودان وأوطن بها ، وتبوأ الجند مرزوقاً من غير قتال وانقادت الأهالي الى ما الفوه من الغرامة وقوانين الخراج .

ولما عهد الهناء استعمل أمير الجند عليهم رجلاً يدعى (مامي) وترك معه طائفة من العساكر وانقلب ببقية الجند الى طرابلس مظفرين ، وكان وصولهم اليهم في سنة (٩٩٠) تسعين وتسعائة .

ولاية جعفر باشا

وفي هذه السنة توفي (محمد باشا) وولي جعفر باشا برتبة طرابلس غرب بكالربكي . وكان ضعيف الشكيمة ، عاجز الرأي والحيلة . فتغلب عليه الجنود واضطريت البلاد ، وكثر الثوار والبغي والفساد ، وتحطفت الناس من السابلة . وسرى هذا الداء في جميع أعمال لبلاد وأظلم الجو من بغي الجنود وجور العمال .

الشيخ محمد بن علي السملقي

قال الاستاذ محمد ظافر في رحلته : كان من أعظم النقباء والسادات الأصفياء ، وكان له في الفهم والانتقان شأن عظيم وأي شأن . حفظ الرسالة ومختصر الشيخ خليل ، وتعاليقه ، وعقائد السنوسي ، وحكم ابن عطاء الله ، والبخاري ، ومسلم ، وله في كل علم طريق . وهو من الرجال الذين لو أقسموا على الله لأبرهه .

وكان من المتعبدين الورعين له اتباع كثيرون . وأخذ الطريقة على سيدي (عبد السلام الأسمر) وانتفع به . مات رحمه الله تعالى سنة (٩٨٨) ثمان وثمانين وتسعمائة ودفن بجامعه الذي بالموضع المشهور (بلوالة) نفع الله به . اهـ



[رجع] ثم في آخر سنة (٩٩٠) تسعين وتسعمائة انتقضت اهالي فزان وقتلوا عاملهم (مامي) ومن كان معه من الجند ، واستقدموا الناصر من مكانه بأرض السودان وولوه امرهم ، واستقر بذلك العمل الى ان كان من امره ما يأتي ذكره .



عبد الحميد المشهور بضوء الهلال

قال الفاضل الاستاذ محمد ظافر في رحلته :

« هو العلامة العابد الزاهد الوالي الصالح مظهر الجمال ، والمنهل العذب الزلال ، « سيدي عبد الحميد » الشهير (بضوء الهلال) ، ابن عبد الله الكمودي .

وكان رحمه الله ذا علم صحيح وذوق صريح . وكان من العلماء العاملين ، الناصحين ، الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم . ولد بعد صلاة الصبح ، في يوم الاثنين في العشر الاول من ذي القعدة سنة (٩٠٥) خمس وتسعمائة ، وحفظ القرآن ، وهو ابن ثمان سنين ، وقرأ في النحو ، والمنطق ، والتوحيد ، على اكابر من فقهاء (تونس) . وتلقى علوماً جمة من علماء (فاس) وارتحل للعشقر فحج وزار واجتمع بجامعة من علماء (مصر) وشيخنا (ناصر اللقاني) والشريف يوسف تلميذ السيوطي ، والجمال ابن الشيخ زكرياء ، وامين الدين ، وابن حجر ، وعبد العزيز الطليطلي ، وعبد المعطي وغيرهم . وانتفع منهم ولازم ابا المكارم البكري وتبرك به وقيد عنه فوائد . ثم : توجه الى (بغداد) في طلب الغوث ليأخذ منه التلقين في طريق الله ، فلما وصل الى (الشام) اجتمع باحد كبار مشايخها ، فلما قرب منه واخذ يده يقبلها فقال له مكاشفاً عليه : « يا عبد الحميد ! . انت تطلب الغوث وهو في بلادك طرابلس الغرب اسمه (عبد السلام بن سليم

الفيتوري) ؟ « فرجع . ولما وصلها اجتمع بالشيخ وأخذ عنه وخدمه وانتفع به .

وكان رحمه الله ذكياً مشاركاً في العلوم ، وكان رقيق القلب عظيم الجاه ، وافر الحرمة عند الملوك وكافة الناس ، لا يدخل بجاهه على احد ، وينقاد كل احد لطلوبه ، يحسن للفقراء والأرامل ، كثير العبادة ، شديد الورع ، له كرامات ومزايا شهيرة .

وسبب تسميته بضوء الهلال أن امرأة صالحة تسمى (الفقيرة مبروكة) بنت الشيخ سيدي عبد الرحمن البشت - بكسر الباء الموحدة - قالت لوالدته وهي حامله به : « في بطنك ابن يضيء كالهلال !. » فلما ولدته تلقب بذلك .

توفي رحمه الله تعالى في السابع عشر من شعبان سنة (٩٩١) إحدى وتسعين وتسعمائة ، ودفن بأزاء مسجد والده ، بموضع يسمى (بالحرم) من حيز الزاوية الغربية . وقبره مشهور يزار . « انتهى .

الأستاذ أبو زكرياء يحيى الخطاب

قال في كفاية المحتاج :

يحيى بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن المكي فقيهاً وعالمياً . شيخنا بالاجازة . كان علامة متفناً فاضلاً ، مؤلفاً صالحاً ، آخر فقهاء الحجاز .

له تواليف (في الفقه ، والمناسك ، والنحو ، والحساب ،
والعروض) . وغيرها .

لقيه جماعة من أصحابنا بمكة . أجازني مكاتبة في أشياء معينة ثم
عمم . وكتب لي بخطه .

وتوفي بعد ثلاث وتسعين وتسعمائة رحمه الله تعالى . اهـ

قلت : توفي بطرابلس وضريحه داخل الثغر بجوار « جامع محمود » .



[رجع] وفي سنة (٩٩٦) ست وتسعين وتسعمائة انتزى بناحية
« تاجوراء » يحيى بن يحيى السويدي ، والتف به كل ناعق من جفاة
الأعراب وأجلافهم ، ومن يلتمس الرزق بسلاحه . وقدم بهم بلاد
« مسلاته » فانضموا اليه وكثرت جموعه وعظم أمره . ولما اتصل
خبرهم بمحمد باشا سرح اليهم العساكر وتزاحفوا بظاهر « مسلاته »
واحتربوا عامة يومهم .

ولما حمى الوطيس اختل مصاف الجند وهلك نحو الألف منهم
وخلص بقيتهم لطرابلس مفلولين ، فقويت نفس يحيى السويدي وطمع
في الاستيلاء على طرابلس ونهض فيمن معه وعسكر بتاجوراء .

ثم قدم طرابلس وحاصرها وضيق عليها وامتد حصاره لها الى سنة
(٩٩٨) ثمان وتسعين وتسعمائة ، فانتدب (شيخ قبيلة بني نوير) من المحاميد
وأقبل من جمهور عشيرته واتباعه وقبض على يحيى السويدي ومكن
منه جعفر باشا فقتله ، وتشتت تلك الذئاب العاوية وقهد الهناء .

أبو الحسن علي بن محمد البشت

قال الفاضل الاستاذ محمد ظافر في رحلته :

هو الشيخ الولي الصالح الكامل سيدي أبي الحسن علي بن محمد البشت - بكسر الباء الموحدة - كان من اصحاب (سيدي عبد السلام الاسمر) رضي الله عنه . وقد جمع الله قلوب أهل البلاد على محبته وتعظيمه . وكان كلما يأتون اليه بالتدور يتصدق بها على الفقراء والمساكين ، ويقول « رزق الناس ؛ يرجع للناس » . ومن كراماته أنه : يكشف على ما في ضمير الانسان . واذا ضاع لأحد شيء وسأله ، يقول له : « إمض الى المحل الفلاني ! تجد حاجتك الضائعة فيه ! » فيتوجه له ويجدها . وكان اذا أراد أحد أن يدخل الى بيته من غير اذنه فلج . وغير ذلك من الكرامات الكبيرة المتواترة الشهيرة . وانما اختصرناها من محلها تلخيصاً . مات في سنة (٩٩٧) سبع وتسعين وتسعمائة في ربيع الثاني وقبره بقرب ضريح جده البشت وهو ظاهر يزار ، رحمهما الله .

الشيخ ابراهيم بن علي العوسجي

قال الاستاذ محمد ظافر في رحلته :

أبو اسحاق سيدي ابراهيم بن علي العوسجي الامام القدوة الرباني .

كان رحمه الله ولياً صالحاً واعظاً ينتفع به الناس ، له كرامات وكشوفات واطلاع على الغيبات ، وكان يرسل الى أمير طرابلس (محمد التركي) ويقول له « بادر بأفعال الخيرات !. فانك لا تمكث في الحكم بعد هذه السنة الا شهرين !. » فلم يلتفت لقوله . ويقول : « هذا مجذوب !. لا عبرة بكلامه .. » فكان الأمر كما قال الشيخ رضي الله عنه . وكان قد حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، وأخذ الفقه عن شيخنا الناصر ، وصحب سيدي (عبد السلام الأسمر) وانتفع منه . وكانت ولادته سنة (٩٠٤) أربع وتسعمائة . وتوفي رحمه الله في سنة (٩٩٨) ثمان وتسعين وتسعمائة . ودفن (بعوسجة الجديدة) من حيز (الزاوية) وقبره مشهور يزار . انتهى .

عمر بن عبد الرحمن القريو

قال المحقق الأستاذ محمد ظافر في رحلته : هو الشيخ الفقيه الامام ، العالم ، العلامة ، العابد ، الزاهد ، الفاضل ، الكامل ، العارف ، القطب ، الوارث ، المربي ، ذو الكرامات الظاهرة ، والحوارق الباهرة ، سيدي أبو حفص عمر بن عبد الرحمن الشهير بالقريو : ولد ثاني عشر من ربيع الثاني سنة (٩٠٦) ست وتسعمائة وتوفي أبوه قبل السابع وكفلته جدته (حليلة القريوية) وبها لقب . ولما كبر وضعته في المدرسة فلما حفظ القرآن اشتغل بالعلم ، فأول ما قرأ النحو بمدينة (تونس) وارتحل الى المشرق وقرأ الرسالة علي (شمس الدين

اللقاني) بحثاً وتحقيقاً . ثم : أخذ على شيخنا الناصر ، والشريف يوسف السيوطي ، والشهاب عبد الرحمن الاجهوري ، والجمال ، زحج ثم رجع الى طرابلس واجتمع بسيدي (عبد السلام الأسمر) وأخذ عنه التلقين . ودرس بداخل المحروسة وارتحل الى (الصابرية) من حيز (الزاوية الغربية) وظهرت له كرامات ، وخرق عادات ، توفي بها انسلاخ صفر سنة (٩٩٩) تسع وتسعين وتسعمائة ودفن هناك رحمه الله تعالى .

خلافة السلطان محمد خان الثالث

وفي سنة (١٠٠٣) ثلاث وألف انتقل (السلطان مراد خان الثالث) لدار الجنان . عامله الله بالكرامة والرضوان ، وورث الخلافة بعده ولده (السلطان محمد خان الثالث) .

قال في (خلاصة الأثر) : كان سلطاناً عظيم القدر ، مهيباً ، جواداً ، عالي الهمة ، مظفراً في وقائعه ، صالحاً ، عابداً ، ساعياً في اقامة الشعائر الدينية ، ومن عاداته المرضية ، انه كان اذا ذكر النبي (صلى الله عليه وسلم) نهض قائماً . وبالجمللة فأوصافه كلها حسنة فائقة . انتهى [رجع]

ولاية سليمان طاي

وفي سنة (١٠١٢) اثنتي عشرة وألف ثار جند اليكيجرية على

(جعفر باشا) وحاصروه في قصر الحكومة ثم أمنوه على أن يخرج من بينهم فخرج ، وولوا عليها (سليمان طاي) . وكان صاحب عزم وحزم واقدام فضبط البلاد وقام بالأمر أتم قيام وصرف الى شاقية من جنود اليكيجريه وجوه عزائمه واذاقهم سوء العذاب وقتل بعض رؤسائهم ورفع عن الرعية ما نالهم من عدوانهم ومهد البلاد وصفا له جوهرها ودانت له القاصية .

ذكر خلافة أمير المؤمنين السلطان

احمد خان الاول

وفي هذه السنة توفي (السلطان محمد خان الثالث) طاب ثراه ، وجعل الجنة مأواه .

وافضت الخلافة من بعده لابنه (السلطان احمد خان الأول) وسعى رحمه الله في اخماد الفتن ، وجدة في قطع دابر أهل الفساد ، حتى أبادهم .



[رجع] ثم في سنة (١٠١٥) خمس عشرة وألف عادت أهالي تاجوراء الى حالهم من الاستبداد ومنع الجباية وقطع أسباب الطاعة وولوا عليهم رجلا اسمه (أويس) ولاحقهم « بنو رقيعة » ونزلوا بخيلهم ورجلهم حول بلد (تاجوراء) .

ولما اتصل خبرهم بسليمان طاي سرح اليهم العساكر برأً وبحراً وأحاطوا بتاجوراء من كل جهة وأوقعوا بها ، فامتنعت عليهم وطال أمر حصارها . ثم اتفقت أن وقعت دابة لأحد رؤساء بني ربيعة في زرع لبعض اهالي تاجوراء فاغتاز صاحبها وقتل الدابة فثأً عن سبب ذلك اختلاف وانحراف بنو ربيعة عن موالاتهم وارتحلوا عنهم فتمكن جند اليكيجرية من اهالي تاجوراء وجاسوا خلال ديارهم وساموهم سوء العذاب وامتألت ايديهم من الغنائم . ولما تهبت انقلب الجند الى طرابلس أعزة ظاهرين .

وفي سنة (١٠١٦) ست عشرة وألف اهتم سليمان طاي لتمهيد فزان ودفع المنتزي عليها فسرح العساكر اليها فزحف اليهم في نحو عشرة آلاف مقاتل ، والتقوا (بكثير) ^(١) واحتربوا فانهمز جند اليكيجرية ثم كروا بعد الهزيمة ودارت بينهم حروب هائلة هلك فيها (الناصر) واختل مصافه ، وافترقت جموعه ، وشردت رواحلهم ، واتبعهم الجند والقتل والنهب يأخذ منهم ما أخذه ، حتى استولوا على جميع ذخائرهم وسلاحهم .

ولجأ أخوه الظاهر بن المنتصر بأهله لأرض السودان ثم تبوأ الجند مرزقاً من غير ممانع ، واستعمل أمير الجند عليها (حسن النعال) وترك معه مقداراً من العساكر وانقلب ببيعتهم الى طرابلس أعزة ظاهرين .

(١) مرضع كان بين أم « العبيد » و « الرملة » على مافة يوم من قرية « الزيفن » .

الشيخ محمد بن شعبان

قال في خلاصة الأثر « الشيخ محمد بن شعبان الطرابلسي الحنفي »
من اهل طرابلس الغرب ذكره (ابن نوعي) ووصفه بالفضل الباهر .
وقال : قدم قسطنطينة في سنة (١٠١٦) ست عشرة ألف وتناظر مع
علمائها فظهرت مزيته وروعى حقه ، وأقبل عليه شيخ الاسلام (صنع
الله افندي بن جعفر) واعطاه قضاء بلده باعتبار المولوية ، وأضاف
الى القضاء الفتوى والتدريس فتوجه الى وطنه

وله تأليف باهرة منها « شرح مجمع البحرين » ساه « تشنيف
المسمع » في شرح المجمع ، وجمع مناقب (الشيخ أبي الفيث القشاش)
وله غير ذلك من الآثار ما ليس له نهاية ، وفتاويه كلها مسلمة ،
توفي في سنة (١٠٢٠) عشرين وألف ، رحمه الله تعالى . اهـ



[رجع] وفي سنة (١٠٢٢) اثنتين وعشرين ألف نافقت اهالي
فزان وتألّبوا على عاملهم واستقدموا الظاهر بن المنتصر من مكانه
بأرض السودان فقدم ومكنوه من العمل .

ثم ان سليمان طاي أساء السيرة وبسط في الناس يد الجور ، واطلق
يد الجند وأباح لهم في هذه السنة نهب قرية (تاجوراء) فجاسوا خلالها
ودمروها وساموا اهلها سوء العذاب ، ونهبوا جميع اموالهم وكافة

مواشيهم . ولما ثقلت وطأته رفعت به الشكايّة لمعدن العدل دار الخلافة
العلية فحصلت عناية أمير المؤمنين « السلطان أحمد خان الأول » وصدرت
أرادته السنية بإرسال أسطولين مشحونة بالعساكر ، فجاءت مرسى
طرابلس في سنة (١٠٢٦) ست وعشرين وألف ، ودعي الوالي سليمان طاي
إلى أحديهما وطلب فيه على أعين الناس واستقبت الراحة وعم الأمان .

ولاية شريف باشا

وولي شريف باشا وكان ذا شهامة وقيام فيما يفوض إليه ، فأبدي
الخزم وقرن بالصواب تدبيره ، وأمضى بالعدل حكمه ، وصرف نظاره
إلى شأقيه من زعماء جندها وأعراب فلاتها وقبض أيديهم بعد انزال
العقوبة بهم وأمن السبل وأضاء الأفق .

خلافة أمير المؤمنين السلطان مصطفى

خان الأول

وفي سنة (١٠٢٦) ست وعشرين وألف توفي « السلطان أحمد
خان الأول » لأربع عشرة سنة من خلافته . وكان رحمه الله عظيم
القدر ، جميل الذكر ، حسنة الأيام ، حاسم الإسلام ، وأوصى بالخلافة
بعد أخيه السلطان « مصطفى بن محمد خان » - لأن أولاده الكرام
كانوا صغاراً - فبويع له .

وكان صالحاً ، زاهداً ، متقشفاً ، تاركاً للدنيا ، ليس براغب فيها ،
وصار فراغه لثلاثة أشهر من خلافته .

خلافة أمير المؤمنين السلطان عثمان خان الثاني

وبويع السلطان عثمان خان الثاني وكان جلوسه على سرير الخلافة
يوم الأربعاء ثامن شهر ربيع الأول سنة (١٠٢٧) سبع وعشرين
وألف . وكان رحمه الله تعالى من أحسن السلاطين خلقاً ، وأجملهم
شياً وطبعاً ، له أدب ، وحياء ، وعرفان ، وفيه شجاعة وفروسية ،
وكان ينظم الشعر التركي .

خلافة أمير المؤمنين السلطان مصطفى

خان الأول الثانية

وفي اليوم الثامن من رجب سنة (١٠٣١) احدى وثلاثين وألف
ارتحل (السلطان عثمان) لدار البقاء ، فكانت مدة خلافته أربع سنوات
وشهر ، وقيل في تاريخ وفاته ، من الثانية من الرمل وضربها المائل :

مات	سلطان	البرايا	فهو في	الأخرى	سعيد
قال لي	الهاتف	أرخ	ان	عثمان	شيد
سنة	(١٠٣١)	٥١	٦٦١	٣١٩	

وبويع السلطان (مصطفى خان الأول) وصار فراغه في رابع ذي
العقدة سنة (١٠٣٢) اثنتين وثلاثين وألف فكانت مدة خلافته سنة
واحدة وأربعة أشهر .

خلافة أمير المؤمنين السلطان مراد خان الرابع

وبويع السلطان مراد خان الرابع أخو (السلطان عثمان بن أحمد)
قال في خلاصة الأثر : وكان عمره إحدى عشرة سنة وسبعة أشهر
وجاء تاريخ ولايته (مراد خان العادل (١٠٣٢)) ومع صغر سنه
كان له عقل ثاقب ، ورأي سديد ، وكانت تظهر عليه أمارات
الشجاعة ، وقوة القلب ، وكان من اعظم أبطال ذلك الزمان ، بل كان أعلى
السلطين مقداراً ، وأوسطهم همة واقداراً ، فاشترقت خلافته في سماء
الملك شهابها ، واتصلت بأسباب العز أسبابها ، وخضعت لعظمته رؤساء
الأكابر ، وذلت بجرمته وقهره ، تصلب في قمع المفسدين ، سديد الرأي في
أمره .

[رجع] واستمر (شريف باشا) والياً على طرابلس الى سنة
(١٠٣٥) خمس وثلاثين وألف ، وفيها ثار به الجند وحاصروه بقصر
الحكومة فامتنع عليهم ثم احتالوا عليه وقبضوا عليه .

ولاية رمضان طاي

وولي رمضان طاي ، وكان خفيف القيادة عاجز الرأي ، واستخلص

لشورته حرمة بدوية اسمها (مريم بنت فواز الشبلية) ونالت من إقباله الحظ الأوفر ، فاستخفت به الأعراب وتهاوت به الجنود ، وتكدر صفو الراحة وصارت ضواحي الايالة مأوى اللصوص وقطاع الطريق وعادوا الى حالهم من مصارفة الاستبداد ؛ واستمرت هذه الاحوال الى سنة (١٠٤٢) اثنتين وأربعين وألف .

ولاية محمد باشا الصاقرلي

وفيهما نزل (رمضان طاي) عن ولايته لصهره محمد باشا الساكزلي من مسلمة الروم وكان من خبره : انه كان في مبتكر أمره من أمراء الجنود البحرية بشعر الجزائر الغربية ، وقدم في أسطوله الى طرابلس زمن ولاية شريف باشا ، فوسعه برأ وتكرمة ، وقلده قيادة العساكر البحرية ، ثم نال لديه حظاً في الظهور وصاهره وصرف اليه وجوه اعتباره ، ثم لما رأى رمضان طاي من نفسه عدم الاقتدار على رتق فتق الايالة ورفع وهيبها ، وكان صهره (محمد باشا) هذا ذا شهامة وكفاية ، نزل له عن ولايتها ، وأتاه التقليد من أمير المؤمنين (السلطان مراد خان الرابع) ونهض بأعباء الايالة ، وبعث العمال وبسط في الناس العدل ودانت له القاصية .

ولما استقرت قدمه وصفا له الجو ، طرح على كل شجرة من الزيتون والتخيل بيضة ، ثم عوضها بعشرين « بارة » ووضع على البضائع والأرزاق المتنوعة الداخلية الى الشعر والخارجة منه « رسم الجمرك » ونظم جنداً خيالة .

وكان يومئذ (عثمان بك الساكزي) مولى (شريف باشا) الوالى
الأسبقى عاملاً على « ساحل آل حامد » فاستقدمه من عمله وولاه
قيادة الجنود ، وكان أمره ما يأتى ذكره :

ذكر بلد (ساحل آل حامد)

والولى سيدي مفتاح

قال الاستاذ ابو سالم (عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي) في
رحلته : هى بلدة كبيرة ؛ ذات نخيل كثير ، ومزارع ، وسواني ،
وزيتون .

وبها قبر الوالى الصالح ذي الكرامات الكثيرة ، والمآثر الشهيرة ،
سيدي (مفتاح المعروف بأبي حشانه) ، وهو على تل مرتفع بساحل
البحر في مكان يعلموه البهاء ، ويتفجر منه السنام ، تسكن النفوس اذا
حلت به . وتطعن القلوب اذا نزلت بقربه . وختمت عند قبره سلكة
كنت ابتدأها قبل ذلك ، وزرته بنية صالحة ، واخلاص قوي ، وطلبت
من الله عند قبره مسائل . رأيت اثر الاجابة في بعضها بالقرب ، واني
أرجو الله فيما بقي منها .

وهذا السيد ممن تواترت عنه كرامات كثيرة ، وجُربت اجابة
الدعاء عند قبره ، فلا ينبغي لمن مر بذلك البلد أن يهمل زيارته ...

والذي نبهنا لزيارته ، وأعلمنا بمكانه شيخنا سيدي (محمد بن
مسهل) وحضنا على زيارته .

وقد قيل ان قبره كان مخفياً وأظهره سيدي (عبد السلام الأسمر) ، وكان قد أظهر قبوراً كثيرة للأولياء بذلك الساحل . وأظهرت فرسه أيضاً آخرين ، وذلك أنه اذا ركب فرسه ربما تمر بكان فتبحث برجلها في الارض فيقول لهم الشيخ : « أحفروا فان هنا قبرولي ! » فيجدونه فظهرت بذلك مراراً كثيرة . وفقراء الساحل الى الآن يعرفونها ويقولون : هذا من الذين أظهرهم فرس الشيخ .

ولا بدع في ذلك ، فان الكرامة في ذلك لرأكب الفرس لا للفرس ، فقد بركت ناقصة النبي (صلى الله عليه وسلم) في مكان مسجده ، وعندما دخل الحرم « يوم الحديبية » . واذا كانت بركة النسبة « للأنبياء عليهم الصلاة والسلام » و (للأولياء رضوان الله عليهم) يظهر أثرها في العجاوات فما بالك بالآدمي الذي هو أشرف المخلوقات ؟..

والله تبارك وتعالى يجعلنا من المحبين لأهل ولايته ، ويحشرنا مع حبيبهم وفريقهم دنيا واخرى ، آمين .

[رجع] وفي سنة (١٠٤٣) ثلاث وأربعين وألف نافقت أهالي (تاورغا)^(١) وتولى كبرها رجل منهم اسمه جبر (بن موسى) ، ولما

(١) (تاورغا) قرية وخيمة على مسافة ست ساعات من بلد « مسراته » يتخللها نهر غزير ، مائه عذب قرات تفرع عنه ترع وسواق في البلد يسقون منه نخيلهم^(٢) وبساتينهم . وأرضها سبخة فينقلب بها طعم الماء للملوحة فاذا ركد في مستنقعاتها غرر ونشأ من تعفنها ورتوخم الهواء حمم محرقة ، غير ان اهل هذه البلد انحرف طبعهم فلا يثر فيهم الا قليلا . وهذه القرية صعبة المسالك لا يكاد يهتدي الى منازلها الا الحبير .

اتصل (بمحمد باشا) خبر نفاقهم سرح اليهم (عثمان بك) في العساكر ،
فارتحل اليهم وانشب معهم الحرب وتنازل الفرسان واصفرت الألوان .
ولما حمي الوطيس زاعت العساكر وهلك جماعة منهم في الجولة ،
فترجل (عثمان بك) عن فرسه وصاح في الجند فكروا عليهم
واستلحموهم وهزموهم ، واتبعت الخيل آثار المهزمين واستوعبهم قتلاً
وأسراً ؛ وتبوأ الجند (تاورغا) واستباحوها وأسروا أهل المنتزي
وولده وأصابوا أموالهم . ولما استتبت الراحة انقلب الجند مظفرين .

وفي أواخر هذه السنة قدم (أحمد بن عبد الهادي) من الديار
المصرية في نحو عشرين راياً وانتزى على « الجبل الأخضر » و « أوجله »
فاتفضوا له وعثوا في تلك الضواحي . فسرح لهم (محمد باشا) عثمان
بك في العساكر ، ولما شارف ذلك الصقع بعث جواسيسه لاستكشاف
قوتهم فاتضح له أن امرهم صعب المزولة بما لديه من الجنود ، وإن لهم
من القوة والاستعداد ما لم يخطر ببال فطم جناحيه وأيقظ رأيه
وخيم على أوجله وجانحهم للسلم حتى اطمانت نفوسهم ومكنوه
الدخول الى القرية ، ولما تبوأها يحنوده تقبض على عبد الهادي وقتله
وسجن عامة أصحابه . وانقادت الأهالي وتعهد الهناء وانقلب عثمان
بك مؤيداً .

وفي سنة (١٠٤٤) أربع وأربعين وألف قدم وفد من أهالي (وادي
الآجال) ^(١) على محمد باشا شاكين مما نالهم من جور الطاهر بن

(١) وهو راد من أعمال فزان جسم متسع غصب كثير الفواكه وفيه ما
لا يحصى من انواع النخيل وشجر العديا ، وبه مراتع للابل قل ان توجد ؛ طوله =

المنتصر المنتزي على فزان .

فأصرخهم وأرسل معهم جيشاً لدفع المنتزي واغذوا اليه السير ، ولما شارقوا مرزقاً وسمع بهم الطاهر فر بأهله ولحق بأرض السودان وتبوأ الجند (مرزقاً) من غير ممانع . ورفع ما نالهم من عدوهم من الظلم وجعل عليهم (احمد بن هويدي الحرماي) عاملاً وترك طائفة من الجند لحراسة البلد وضبط خراجها وقفل ببقيتهم مؤيداً .

واستمر احمد بن هويدي في عمله الى سنة (١٠٤٦) ست وأربعين والف .

= نحو الثانية عشر ميلا وماؤه عذب فرات يكتنفه من جهة الغرب رمال ومن الجنوب والشرق جبال شواقي .

يعمره من جهة الجنوب امم من البربر معروفون بالحرمان ومن الشمال طائفة من العرب يسمون الحجاج .

وبالرملة التي غريبه على بعد نحو الثانية عشر ميلا (بحيرة فرعون) وهي بحيرة لا قرار لها ، عوطة بالرمل ومنذ عرفت والرمل ينال فيها ولم يظهر له فيها اثر .

وماؤها حار معدني سهل للصقراء وطعمه ملح اجاج ورائحته تشبه رائحة البحر ، واهل هاتيك النواحي يتشفون به من جميع الامراض شربا واستحماما .

ويكن حولها قوم من اهل الوادي يسمون « الدودة » لاصطيادهم من تلك البحيرة ديدانا حرا طولا يأكلونها وبازائها تغيل واحساء ماء عذب لا نظير له .

وعلى ستة اميال منها (بحيرة مندره) وماؤها مثل ماء بحيرة فرعون في الطعم والرائحة والقرب منها (بحيرة اللطرون) لاستخراجه منها .

وفيها قدم محمد بن جهم ابن أخ الظاهر في جموعه ضواري الفتنة وقصدوا فزاناً فزحف اليه العامل بما لديه من العساكر والتقوا بـ (حميرة)^(١) واحتربوا عامة يومهم فاقتل مصاف العامل وهلك الكثير من جنده ولحق في فله بمرزق واعتصم بها فقبهم (محمد بن جهم) وحاصر بها الى أن نفدت أقواتهم وأجهدهم الحصار فاستنجد العامل (محمد باشا) فأجده .

ولما سمع (محمد بن جهم) بقدم المدد أفرج عن البلاد وفك حصارها وذهب متقبلاً في قاصيتها وتفرقت أتباعه وشردت رواحلهم . ثم بعث محمد بن جهم الى (محمد باشا) بواسطة الشيخ (علي الخضير) الفقيه السبهي يستعطفه ويطلب أن يكون في أمانه ويدخل في طاعته وأن يجعله عاملاً كسائر عياله فأمنه وأحسن اليه واستعمله على فزان .

خلافة السلطان ابراهيم خان

وفي سنة (١٠٤٩) تسع وأربعين وألف ارتحل (السلطان مراد خان) الى جوار الرحمن ، عامله الله تعالى بالكرامة والرضوان ، واسكنه فسيح الجنان . ولم يخلف ولداً ، وبقي من اخوته (السلطان ابراهيم) فبويع له بالخلافة بعد وفاة أخيه . وكان رحمه الله تعالى ملكاً عظيماً ، حسن النظر ، سمح الكف ، زمانه أنصر الأزمان ،

(١) بكسر الحاء المهملة والتشديد موزع بين قريتي زويله وتراغث .

وعصره أحسن العصور ، وأطاعته جميع الممالك ، وسكنت بيمن دولته
الفتن ، واعتدل به الزمن .

ذكر ولي الله سيدي محمد الصيد

وفي سنة (١٠٥٠) خمسين والـ الف توفي ولي الله بلا نزاع ، بين
هذه البقاع ، سيدي محمد الصيد رحمه الله تعالى ورضي عنه . ودفن
بالقرية المسماة بالهشير ، وبينها وبين مدينة طرابلس ستة أميال . والصيد
في لغة هذا القطر هو الاسد ، ويسمى بذلك لكثرة ردعه للظلام وقهره
الجبابرة حتى كان لا يجترئ ، أحد على معارضته فيه أمر به ولا يتعرض لمن
انتسب إليه . وظهرت له كرامات خارقات ، وقد أخذ الطريق عن
سيدي عيسى بن محمد التلمساني المشهور بأبي معزى وهو أخذ عن الولي
الكبير والعلم الشهير سيدي أبي عمر المراكشي رضي الله عنهم ونفع

• ٣٢ •

خلافة امير المؤمنين السلطان محمد خان الرابع

وفي سنة (١٠٥٨) ثمان وخمسين والـ الف صار فراغ السلطان
(ابراهيم خان ابن السلطان أحمد خان) لتسع سنين من خلافته
وبويع بالخلافة (محمد خان الرابع) وكان رحمه الله ملكاً عظيم
القدرة ، جميل الذكر ، تفرع من دوحة سناء ، أصلها ثابت وفرعها في
السياء .

[رجع] واستمر محمد باشا والياً الى أن مات ليلة الجمعة الموافق
لثاني من ذي القعدة سنة (١٠٥٩) تسع وخمسين والـف ودفن
في تربة رمضان طاي التي على الجادة المارة للبحر من شرقي المدينة
ووقف عليها أوقافاً .

ولاية عثمان باشا الساقزي طرابلس

وولي عثمان باشا الساقزي مولى شريف باشا المتقدم ذكره وأظهر
العدل والانصاف بين الاهالي ، ورفع جميع الضرائب التي أسسها سلفه
ومنع القضاة من اخذ ربع السدس الذي كانوا يستوفونه من التركات ،
وأسس مسجداً ومدرسة لتعليم العلوم وأوقف عليها أوقافاً جمة . وكفل
ولد سيده (شريف باشا) ورقاة مراقي السيادة .

ثم في سنة (١٠٦٠) ستين والـف أناه التقليد من امير المؤمنين
(السلطان محمد خان الرابع) وأمر بتجديد القلاع واتخاذ الأساطيل
ومحاربة الأعداء . فتوجهت همته لعمل الأساطيل وانتهى عدد أساطيله
في خلال مدة قليلة الى (أربعة وعشرين) اسطولا . وبلغت في
الاستحادة والاتقان والاستعداد ما لم تبلغه أساطيل من قبله . فغلب بها
على البحر الرومي من جميع جوانبه ، وعظمت صولتهم وقويت ريحهم
في بسائط هذا البحر وامتدت شوكتهم .

ولما تمكن من الولاية أساء السيرة وكلف الأهالي فوق طاقتهم من
انواع الضرائب ، وفرض البضائع وأموال الغنائم عليهم بأرفع الأثمان على

وجه الغضب والاكراه في الشراء والبيع ، فيضطرون لتلك البضاعة التي فرضت عليهم بالغلاء الى بيعها بأبخس الاثمان وتعود الخسارة ما بين الصفتين على رؤوس أموالهم . وعم بذلك أصناف التجار المقيمين بالمدينة والواردين من الآفاق في البضائع السائرة . فكسدت الأسواق وبطل معاش الرعايا وضعفت الارباح في المتجر ، وخف ساكن القطر وخلت دياره واختل حاله وتتابع في غيه وانهمك في اساءته حتى تفاقم الخطب ونزل بالناس من الدرك ما لا يعهد له مثيل . قال : رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (ما عدل وال اتجر في رعيته) . وقال : (صلى الله عليه وسلم) (من أخون الخيانة تجارة الوالي في رعيته) وقالت الحكماء : (كيمياء الملوك العمارة ، ولا تحسن بهم التجارة) . هذا ولم يزل عثمان باشا متقادياً على هذه الأحوال وجمع الأموال واحتباسها في خزائنه وقطع ما كان يصل الى الجند من الأرزاق ، فثقل هذا الامر عليهم وزاغت منهم الأبصار وبلغت القلوب الحناجر .

ثم ان ولد شريف باشا منته نفسه الثورة على عثمان باشا ولم يعلم بأن :

الناس أعوان من وافته دولته وهم عليه اذا خائته أعوان

وصادف ذلك ملائاً من الرعية للولاية هذا الأمير لكثرة ظلمه هو وأعوانه ، فمالت نفس كثير منهم الى مقاتلة (عثمان باشا) . وكان (شيخ قبيلة بني نوير من المحاميد) ذا شهامة وبأس شديد قد أظلم الجو بينه وبين الوالي . فاتفقت كلمته وكلمة (ولد شريف باشا) ومن دان بدينهم من الرعية كأهل تاجوراء وطائفة قليلة من العساكر ؛ فلما كاد

امرهم ان يتم أوحى بذلك الى (عثمان باشا) بعض بطانتهم من أراد بذلك اتخاذ يد عنده ، فأوجس الوالي في نفسه خيفة منه - وكان من لا يقع له بالشئ - فاحتمل في القبض عليهم خفية وأظهر التجاهل والغفلة عن امرهم ، وبادر بالخروج الى ناحية تاجوراء حيثما حل ربطهم وحلهم ، وأوعز الى بطانته بعد تحصين البلد بالقبض على (ولد شريف باشا) ومن ساعده اثر خروجه ، وأظهر للرعية عدم المبالاة بذلك وقال : « قد علمت أنكم براء مما نسب اليكم !! » يخذلهم بذلك لثلاثين ثورة واحدة ، واستعان على تسكين روعهم بالشيخ (عبد الحفيظ ابن الشيخ محمد الصيد) . فلما رأت الرعية استكانته لجانب الأشياخ اطمأنوا ، ولم يزل كذلك الى أن فرغ من أمر ابن شريف باشا وأتباعه فكرر على الرعية بقتل ذوي الرأي واغرام اتباعهم بما جعلهم عبرة لغيرهم ، وخلا الجو ، وكان من خبره ما يأتي ذكره :

غريبة !!

قال الاستاذ ابو سالم عبد الله العياشي رحمه الله تعالى في رحلته : اخبرنا شيخنا سيدي محمد بن مساهل الطرابلسي سنة (١٠٦٤) أربع وستين وألف انهم سمعوا في سنة (١٠٦٢) اثنتين وستين وألف صوتاً هائلاً في ناحية البحر كصوت المدافع الكبار من قرب الضحى الى الليل ! قال : وظنناه سفناً لبعض المسلمين تلاقى مع بعض سفن التصارى . وكما سمعناه ذلك الصوت سمعه أهل الساحل الى مسراته ، وسمعه حتى أهل فزان والاسكندرية ، وسمعه من الناحية الغربية أهل

« جربة » و « سوسة » و « تونس » ، وكل يظن أنه قريب منه . وبعد شهر أو شهرين قدمت مراكب تجارية وأخبروا أن ذلك الصوت لأمر هائل . وذلك أن جزيرة ' ' من جزر البحر الرومي خرجت في بعض نواحيها حجارة تطلع من البحر حتى إذا ارتفعت على الماء وعلت في الهواء تصدعت فيخرج منها نار ويسمع لها ذلك الصوت ، فإذا خرجت النار وقعت الحجارة على الماء خفيفة كهشة الخفافسة ، ودام ذلك الى الليل وارتفع من ذلك في الجو دخان كثير فيه رائحة الكبريت ، وأعجب من ذلك أنهم قالوا انه أصبح في هذه البلدة كل ما عندهم من الفضة احمر بلون النحاس ' ' .

الشيخ أحمد بن عيسى اليربوعي

كان علماً من أعلام الزمان ، وعيناً من أعيان البيان ، بآهر

(١) قال في (لغات تاريخية وجغرافية) أن « وولقان - نيران معدنية - سانتورين » الكائن تحت البحر قذف جزيرة صغيرة بالقرب من جزيرة سانتورين التي هي جملة « جزائر سيقلاذ » التابعة لحكومة اليونان وسُميت (قاياني) . قلعل أن تلك الاصرات منه .

(٢) قال متصفحہ : قد بين الأثيري الأبهري في الهداية أسباب هذه الامور من جبة الطبيعة . اما من جهة الشرع فقي الحديث (ان البحر طبق جهنم) وفيه (ان الله أذن لجهنم بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف) فمثل هذه الامور من آثار تنفسها ولا حاجة الى حذقة اهل الطبيعة ، وهي كفر ، ان كانت استظهاراً على الشرع . والله سبحانه وتعالى ما فرط في كتابه العزيز من شيء يحتاجه الناس في امور معاشهم ومعادهم من احكام وقصص واخبار عن اسرار صنعه في العالم ، فهو الذي بيده الهداية والارشاد نعم المولى ونعم النصير هـ ١ .

الفصاحة ، طاهر الجُناب والساحة ، أثنى عليه (الاستاذ العياشي) في « رحلته » بقوله : « وكان الشيخ أحمد بن عيسى من أمثال هذا البلد علماً وورعاً ، وزكاه أخلاق ، وطيب أعراق ، وكان أبوه سيدي عيسى هو قاضي المدينة منذ أزمان كثيرة ، فلما توفي أبوه تولى هذا القضاء ، وحمدت سيرته فيه وتحلى بجلية العدل . ثم استعفى ، ثم أعيد ثانية . وعظم صيته ، وانتشر الثناء عليه ، وكثر مآدحوه ، الى ان توفي رحمه الله في سنة (١٠٧١) احدى وسبعين وألف وكثر توجع الناس عليه . وأعقب الذكر الجميل فيهم . فلما سمعنا خبر موته تفجعنا لفقد رحمة الله عليه تترى ، ورضوانه دنيا وأخرى » . انتهى .

الشيخ محمد بن أحمد بن مساهل

الفقيه الصوفي الفاضل . ولد رحمه الله تعالى بطرابلس ونشأ بها وقرأ العلوم على غير واحد من أفاضل عصره ، وروى بها وأسمع ولم تكن له رحلة . وكان رحمه الله تعالى من الطلبة المخلصين ومن كبار الحفاظ الثقات المحدثين ، زاهداً ورعاً ومن عباد الله الصالحين . قال الاستاذ أبو سالم العياشي في رحلته : وهذا الشيخ رضي الله عنه من أحسن ما رأينا سمّاً ودلاً ، وأصدقهم قولاً وفعلًا ، له مشاركة في العلوم ، وحسن اطلاع على فروع المذهب ، طالت ولايته الفتوى نحو أربعين سنة ، وحمدت سيرته فيها . وله مع ذلك ميل قوي لطريق القوم ، وقد اخذ الطريق على ولي الله بلا نزاع ، بين أهل تلك

البقاع ، سيدي (محمد الصيد) . وقلت فيه رضي عنه :

أسيدنا مفتي الوري ابن ماهل

ومنهل فضل فاق كل المناهل

عليك سلام الله ممن غدت لكم

عليه أيادٍ في الفصول الاوائل

بنورك يستهدي اذا الارض أظلمت

على أهلها بالجهل أهل السواحل

فكم قد انلت العرف سائله وكم

مننت بلا سؤل وجدت بنائل اه

وتوفي رحمه الله تعالى في غرة رمضان سنة (١٠٧٧) سبع

وسبعين والـف .

[رجع] وفي أواخر سنة (١٠٨٢) اثنتين وثمانين وألف خرجت

أساطيل عثمان باشا للغزو ففتمت أربع سفائن تجارية وبها أموال

كثيرة ، فاحتبس سائر اموال هذه الغنيمة في خزائنه وقطع ما كان

يصل منها لجنود الاساطيل ولم يعطهم سوى ريال لكل نفر منهم ،

فثقل هذا الامر عليهم واستثار دفين ضغنهم وثاروا به وحاصروه في

القلعة . وذلك في غرة محرم سنة (١٠٨٣) ثلاث وثمانين وألف .

فأطلق عليهم المدافع وقابلوه من « برج التراب » واستمر الحرب ثمانية

ايام ، لما رأى انه غير مغن عنه سم نفسه في اليوم التاسع ومات .

ولاية عثمان طاي الشوهلي

وولوا الرئيس عثمان طاي الشوهلي ، وجعل كاهيته (علي قبودان)
وكان عثمان هذا خيراً ، تقياً ، فاضلاً ، معظماً لحرمات الله .

وكان يومئذ (ابراهيم مصري اوغلو) غائباً ، ولما جاء تنكر من
ولاية الرئيس عثمان ، وأظهر انحرافه عليه ، واجتمع بأعيان من ديوان
اليكيجرية منهم (كور محمد) وفاوضهم في شأنه ثم عقدوا ديواناً
واتفقوا فيه على عزله .

وبينا الرئيس عثمان طاي في غفلة من العيش اذ وثب عليه (كور
محمد) في جمهور من ضواري الفتنة في العاشر من شهر شعبان هذه
السنة وفتكوا به ، وقبضوا على كاهيته (علي قبودان) وأركبوه في
سفينة كانت بالمرسى على جناح السفر أعدت لاستبدال الجنود الذين كانوا
يومئذ بדרنه (١١) ، ثم بدا لهم قتله فقتلوه بالجزيرة التي يرسى الشجر .

ولاية بالي جاوش

ورلي بالي جاوش وجعل كاهيته (مصطفى البهلوان) ، وبعث

(١١) معرب عن (درنيس) اسمها القديم . وهي بلدة من (برقه) شرقي
طرابلس وفرضتها في الجنوب الشرقي من بنيغازي وبعدها عنها مائتان واربعون ميلا .
وأبنيتها صغيرة منتظمة يتخللها عيون جاروية في غاية المذوبة ممتدة الهواء
محصنة القاعة ، جيدة المرمى الا ان اراضيها ضيقة .

العمال . وكان مقداما جريئاً على البطش ذا جفاء وغلظة ، متبعاً
لأهل البغي والفساد حتى أبادهم ، فدانت له القاصية ونفذ امره في
العساكر .

وكان الاستاذ الكبير الشيخ (عبد الحفيظ بن الشيخ محمد الصيد)
كثير التوجه اليه في الشفاعة فثقل عليه واتهمه واراد البطش به ،
ولما شعر الشيخ بذلك منه سافر ولحق بحجرة .

محاصرة مراد بك ابن حمودة باشا طرابلس

وفي هذه السنة نهض مراد بك ابن (حمودة باشا) والي تونس
يوثق الى الجريد لاستشراف عملها ، وبلغه في الطريق ان (عثمان
طاي) والي طرابلس ثار عليه جنده وحاصره بالقلعة الى ان مات
بها واوصى بأولاده الى مراد بك ، فخرج من الجريد الى طرابلس
يستكشف الخبر . ولما بلغ بالي جاوش خبره خرج بمحلة لقتاله ولقيه
بموضع يقال له محسن^(١) .

وتزاحفوا واشتد القتال بين الفريقين وحمي الوطيس ، فاقتل

(١) وهذا الموضع يعرف الآن بوادي الهيرة -- بهاء بعدها مشاة تحية بعدها
راه آخر الحروف -- وقد هجا هذا الموضع بعضهم بقوله :

الا لاسقى الرحمن (محسن) قطرة ولا زال مقبر الجوانب (محسن)
وخيب (قطيماً) من الغيث كله ولا ابتل فيه للركائب فرس

مصاف (بالي جاوش) وهلك الكثير من عسكره ولحق في فله بطرابلس واعتصم بها ؛ وأتبعه (مراد بك) وحاصر البلد فخرج اليه العلماء والأعيان يطلبون منه الكف عنهم ورفع الحصار فاجاب رغبتهم ورجع .

العارف بالله تعالى الشيخ محمد بن الامام

وفي هذه السنة توفي الأستاذ الفاضل ، الذاكر العامل صاحب العلوم الدنية ، والمعارف القدسية ، القدوة الهمام ، (أبو عبد الله الشيخ محمد بن أحمد بن الامام) ، وكان رحمه الله تعالى من أعيان العلماء ، ومشاهير الفضلاء ، جمع بين العلم والعمل ، والورع والزهد ، والانقطاع لعبادة الله تعالى ، والتخلي عن الناس والتمسك بطريق السلف الصالح ، كثير التلاوة والخشوع ، وشرح خليلاً شرحاً حافلاً . رحمه الله وتفعنا بأسرار علومه . اهـ



(رجع) ولما استقر قدم بالي جاوش في الولاية نقض الصلح الذي كان عقده (عثمان طاي) مع (الانكليز) وجهاز خمسة أساطيل حربية فيهم من كبار الجند (مصطفى الكبير الاستنكوي) و (ابراهيم مصري أوغلو) و (عمر قاره طاغلي) و (أحمد درغتلي) وبعثهم للغزو .

ثم أدركته المنية قبل عودة تلك الأساطيل وذلك ليلة الثلاثاء

الموافق ثنتين وعشرين من صفر سنة (١٠٨٦) ست وثمانين وألف
ثلاث سنين وستة أشهر واثنى عشر يوماً من ولايته .

ولاية مصطفى البهلوان جلبي

وقام والياً بعده مصطفى البهلوان جلبي بانتخاب الجند ، وجعل
لكاهيته (سليمان التوقاتي) وأقر أرباب المراتب والعمال على أعمالهم
ولم تطل مدته وكان طوع الجناح ، لين العريكة .

ثم اتفق ان الأساطيل التي كان بعثها بالي جاوش للغزو غنمت
أسطولا حربياً وانقلبوا به ، ولما وصلت مرسى مسراته (١) المعروف
بقصر أحمد تقاذف الخبر لأمراء الاساطيل بنوت (بالي جاوش)
وولاية (مصطفى البهلوان جلبي) ، فتأثروا من ذلك ولم يرتضوا
بولايته ، وأطبقوا على القتل به ، ثم قدموا مرسى طرابلس ونزلت
الجنود واجتمعت أولئك الامراء بأعيان العاكر وعقدوا ديواناً وأطبقوا
على عزله .

(١) بلدة كبيرة كائنة شرقي طرابلس على بعد « ١٧٠ » مائة وسبعين ميلا
منها معتدلة الهواء طيبة التربة خصبة القاعة . ذات نخيل كثير وزيتون ومزارع
رسواني بها أنواع الفواكه ، وتفتحها كبير الحجم رقيق القشر شديد الحرارة مكسي
الرائحة ، وخوخها في غاية الجودة وبطيخها الاخضر المعروف هنالك بالقوشى لا نظير
له . وبها معدن الزبيق والكبريت . ولها ثلاث فرضات عند مدخل « خليج سدره »
المعروف بحون الكبريت وهي مرسى « أبي شعبة » أو « قصر أحمد » و « الجزيرة »
و « العوينية » وعلى جميعها ترده السفن .

وبينا هو في غرة العيش اذ وثبت عليه الجنود وقبضوه ونفوه الى
(جزيرة جربة) في سابع ربيع الاول من هذه السنة خمسة عشر
يوماً من ولايته .

ولاية ابراهيم طائي مصري أوغلي

واجمع الجند على ولاية ابراهيم طائي مصري لي أو غلي وجعل
(عبد الفاتح الروميلي) كاهيته وبعث العمال .

وكان حازماً معظماً لحرمان الله مؤثراً للعدل والانصاف لين العريكة
شديداً على اهل الجور والفسق والتعدي من عماله وعسكره ، وأمنت
الطرق في أيامه ودانت له القاصية . وعمر القلاع وبنى البرج الكائن
شرقي الثغر المعروف الآن (ببرج الشعاب) ووجه أنظاره الى مشايه
من الجنود وكبراء ديوانهم عش الفتنة ، ومنعهم من التجاهر بالفسق
وما ألفوه من الخصال الذميمة فانقلبهم هذا الامر .

ثم جهز ستة أساطيل حربية وبعثهم للغزو ، فغنموا ثلاث سفن
انكليزية وقدموا بهم ثغر الاسكندرية ، وباعوا ما كان بها من الغنائم
وأضرموا الغدر بالوالي ، وأن يولوا مكانه (مصطفى الكبير
الاستنكوبلي) فطير (أوزون حسين جارش الروميلي) النجب للوالي
بما تعاقدوا عليه ، وكان عموم الساكر يومئذ مضطربة عليه فوقع
ايقاعهم به وأجمع على التقويض .

وكان ولده قائد المرسى فأظهر للناس انه قد صدر من ولده ما

يوجب عقابه وتقريبه ، وخذع بذلك عن قصده وأركبه سفينة الرئيس (عمر الميتمشو الميراثي) الذي كان على أهبة السفر للاسكندرية وأصعبه جميع امواله وذخائره شبه العوين . ولما قضى وطرد وأقلعت السفينة خرج لذلك البرج وقد أشرف على التأم موريا بمشارفة بنائه وأمر كاهيته « عبد الفتاح » أن يركب أسطولا ويلحقه هناك بجرأ ففعل . ولما حل بالبرج وورفد عليه الاسطول لحق بولده وركب معه وأخبره من كان به من الجند بما بلغه عن امراء الاساطيل بالاسكندرية وذلك في العشرين من محرم سنة (١٠٨٧) سبع وثمانين وألف . ثم انقلب الاسطول وأخبر أهل البلد بذلك فتكدر عيشهم .

ولاية ابراهيم طاي جلبي الانبلي

وأجمع الجند على ولاية ابراهيم طاي جلبي الانبلي وقدموه لولايتها في ذلك اليوم وجعل كاهيته (أحمد الاندرونلي) وأقر العمال على أعمالهم . وكان خيراً تقياً حسن الخلق لين العريكة . ثم في يوم الخميس الموافق خمسة وعشرين من محرم من هذه السنة قدمت تلك الاساطيل من الاسكندرية ونزلت المساكن بخارج الثغر بموضع يعرف « بعين الفضة » ودخلت الأمراء البلد وعقدوا ديواناً وأطبّقوا على رفت ابراهيم جلبي عن ولايته ، ثم رفتوه وأبقوه في منصبه العسكري لكبر سنه خمسة أيام من ولايته .

الاستاذ محمد أبو راوي

الفقيه الصالح العالم المتفنن ، مرشد الطريقة العروسية ، ومعدن

الأسرار القدسية ، العارف بالله تعالى (أبو عبد الله محمد أبو راوي)
به عرف ابن محمد الدوفاني ابن عمران بن الغوث الأكبر ، صاحب
القدر العظيم ، والصدر السليم ، سيدي عبد السلام الأسمر الفيتوري
ابن سليم .

كان رحمه الله تعالى فاضلاً زاهداً ورعاً خيراً نزيه النفس حسن
الخلق ومن أجله الفقهاء ، أخذ عن مشايخ عصره وأعلام مصره . وكان
له باع في علم الخواص وأسرار الحروف والأوقاف ، وألف كتاباً في
السير في (وفق الخمس الحالي الوسط) .

وتوفي في التاسع من ذي الحجة سنة (١٠٨٨) ثمان وثمانين
وألف . وصرح به بزوايته الكائنة بساحل آل حامد معروف
يقصد للزيارة .

ولاية مصطفى الكبير الاستنكويلي

وقدموا لولايتها مصطفى الكبير الاستنكويلي فقبلها بعد امتناع ،
وبعث العمال وأبدى الحزم . وكان ذا شجاعة وغلظة في أحكامه وشدة
على من يخالفه مع عقل يميز به موضع الشدة واللين من سياسته وكماله ،
وكان مقداماً متبعاً لأهل الشر والفساد حتى أبادهم فانقشع الجو
وأضاء الأفق وفر أهل التهم من بوادره . وقد تقى من الجند في يوم
واحد نحو ثلاثمائة نفر وعظمت هيبة ودانت له القاصية . واستمر والياً
الى أن مات مريضاً بالطاعون الجارف في غرة صفر سنة (١٠٨٨)
ثمان وثمانين وألف لسنة وخمسة أيام من ولايته .

ولاية عثمان طاي وكيل الخرج

وقام بالأمر بعده عثمان طاي وكان كيل خرج الجنود ، وله من حسن الخلق ولين العريكة ما استحال به قلوب الجند واعيانهم ، فاتفقوا على تقديمه وكان كبير السن . وأقر العمال وارباب المناصب على مناصبهم وأعمالهم وابدئ الحزم واقاض العطاء ولم يحدث في زمن ولايته ما يكدر صفو الأمن لدرايته ولما مهد له سلفه . واستمر واليا الى ان مات في سلخ ربيع الاول سنة (١٠٨٩) تسع وثمانين والف لسنة وشهر من ولايته .

ولاية آق محمد الحداد الاناطولي

وولي (آق محمد الحداد الاناطولي) وأظهر السيرة الحسنة ، والرفق بالرعية ، وأقر ارباب المراتب على أعمالهم وجعل (حسين آبازره) قائد جيشه و (أوزون احمد) كاهيته و (محمودا) خازن داره .

ومحمود هذا من مسلمة (البلنسيان) وهو الذي أسس الجامع الذي بداخل الثغر المعروف به . وأسس مصلى العيد الذي بإزائه وأوقف عليها أوقافا جيدة .

ولما استحكم امر هذا الوالي تغير حاله واطهر من الجفاء والغلظة

ما لم يظن به ، فأطلق يده في ظلم الرعايا وسلب أموالهم بما أمكنه ،
وعثت في أيامه الجنود والأعراب ، وأتوا يحجور بقي في القلوب أثره ،
وفي السماع خبره .

ثم اتفق جماعة من الأمراء منهم (خليل بك الأرناؤطي) وكهنته
(اوزون احمد بك) و (محمد الدباغ) و (علي قبودان المنيكشلي)
و (محمود خازن دار) وتعاهدوا على القتلك بالوالي . ولما كاد امرهم
ان يتم وشى بهم اليه بعض بطانتهم ممن أراد بذلك اتخاذ يد عنده ،
فأوجس منهم في نفسه خيفة ثم عاجله بالقتل .

ثم ان الوالي الأسبق (مصطفى جلي البهلوان) نهض من متفاه بحربة
فيمن معه من الاتباع ، وخاض القفر وحقق (بنواحي الجبل الغربي)
فالتفت به (أعراب انحاميد) وأعلموا بالعصيان ، واضطرب أمر البلاد
واختل نظامها وكثر الثوار وتخطف الناس من السابلة .

ونافقت أهل (غريان) وقطعوا أسباب الطاعة ، وكان قائدهم
يومئذ (مراد الارناؤطي) فاتهمه الوالي وأوعز الى أمير جنده ان
يبطش به فعاجله مراد ودلف اليه في لمة من اتباعه ، وصادف ذلك
مللاً من الجنود فبالت نفوسهم مع مراد . وبينما الوالي في سلوة من
العيش اذ وثبوا عليه وفتكوا به .

ولاية حسين ابازة

وقدموا لولايتها حسين ابازة الذي كانت بيده قيادة الجيوش ، وكان

حين هذا عاجز الرأي واهي العزيمة فأقر ارباب الوظائف في مناصبهم
والعمال على اعمالهم واستخلص (مراد بك الأرناؤطي) وصرف اليه
وجوه اقباله ، وقلده قيادة الجيش . وكان جموحاً للرياسة طامحاً
للاستبداد ، وكان من امره ما يأتي ذكره :

الشيخ محمد بن سعيد الهبيري

وفي سنة (١٠٩٣) ثلاث وتسعين وألف توفي العارف بالله تعالى
الناسك العابد الورع الزاهد ابو عبد الله الشيخ محمد بن سعيد بن عبد
الحق الهبيري المستغاثي .

ولد رحمه الله بمستغانم - قرية من عمل جزائر الغرب - وبها نشأ
واخذ عن افاضلها وتفنن في العلوم من الاصول والقروع .

ثم ارتحل الى طرابلس واستوطنها واخذ عن الاستاذ الكبير والعلم
الشهير ، العارف بالله تعالى الشيخ سيدي (احمد النفاقي) واهتم
بهديه ، واستنار بنوره ، حتى تمكن من طريق القوم ورسخ قدمه
فيها وصار من كبار العارفين بالله تعالى ، ومن اجلاء الشيوخ
واكابر العلماء العاملين ، له باع طويل في تفسير القرآن العظيم والاحاديث
النبوية ، والأسرار النورانية ، مدلل له القول ، ممد له الصواب مسخر
له الخطاب .

اخبر الشيخ احمد بن عبد الدائم الأنصاري قال : حدثني الشيخ
(محمد بن سعيد) عن سبب قدومه لطرابلس واستقراره بها قال :

كنت متعلقاً بالبحث عن صاحب الوقت فحمت اماكن بالمنغرب اسأل عنه فقبل لي انه بناحية المشرق فأتيت تونس وزرت أولياءها فقال لي رجل اعتقدت صلاحه : انه بطرابلس . فارتحلت اليها وقدمت جبل غريان فوجدت لدى ضريح من كبار اوليائها رجلاً صالحاً فقال لي : يا ولدي ان صاحب الوقت بغار تاجوراء . ووصف لي البلد والمزول ، فخرجت من غريان صباحاً ووصلت تاجوراء قبل العصر ، وكنت ألبس قلنسوة اعطانيها رجل اعتقدت صلاحه وقال لي : ان فيها السر . فبينما انا بأزقة البلد واذا برجل عليه قلنسوة حمراء جديدة اختطف قلنسوتي والبني قلنسوته ، فعز بي ذلك وقال لي : وهذه فيها السر ! . فألت الرجل ، فقبل لي هو سيدي احمد ابو قطاية — المتقدم ذكره — ثم اتيت الدار التي قصدها فخرج لي الشيخ محمد بن الشيخ القطب سيدي علي النفاقي (فتطارحت بين يديه وتكلمت له بمرادي ، فقال لي : لم ار شيئاً سوى ما ترى من ارض ونخل ، ولكن اذهب الى ابن اخي سيدي (احمد) فانه تكلم بما تكلم به ، وهو الآن بالظهرة التي قرب المدينة يعلم القرآن العظيم ، لعل الله يفتح لك الباب على يديه ، فأتيته بالموضع فلما رأيته وجدته هو الذي رأيته في مشامي ، فسلمت عليه فلم يكثرث بي وغضب وتلفظ واستطال علي بالعنب وقال : من ذلك علي ؟ فما ازددت الا تعلقاً به . ثم قال : اما علمت ان اهل البلد يسموني احمد الكذاب ! فقلت : يا سيدي ان كنت كاذباً فأكذب معك ، والحالة التي انت عليها اكون عليها ! فحينئذ فرح ووجد لي السلام . وكان له صاحبان وهما سيدي (احمد بن شمس الدين) وسيدي (علي الاسير) وكان يبشرهما بقدمي فصرت ثالثهما

واخذت عليه ، واهتديت بهديه ، رحمهم الله تعالى وامننا بأسرارهم .
انتهى .

[رجع] وفي هذه السنة اعني (٩٣) ثلاث وتسعين امتنع
(التجيب بن محمد بن جهم) عامل قزان من اداء الخراج وزعم انه
اداه وعاد الى حاله من مصارفة الاستبداد فنهض اليه (مراد بك)
الأرناؤوطي في العساكر مورياً لشارفة « برقة » ، ولما انتهى الى
(الجديد)^(١) اظهر لأمراء الجنود قصده ، ثم ارتحل بهم الى نواحي
« قزان » وفي اليوم الثالث وصلوا ودان .

ذكر بلد ودان

وهي على (٢٤٠) مائتين وأربعين ميلاً من « مدينة سرت »
لجهة الجنوب وبعدها عن طرابلس (٥٣٤) أربعة وثلاثون وخمسة
ميل لجهة الجنوب الشرقي . فمنا (٨٩) تسعة وثمانون ميلاً الى
« ترهونة » ؛ ومنها الى « أورفلة » (٩١) واحد وتسعون ميلاً ؛
ومنها الى « قصر ميمون » (١٩) تسعة عشر ميلاً ؛ ومنه الى صنم
من حجارة مبني على ربوة وبقرية قرية خربة تهر يقال لها « كرزه »
(٧٢) اثنان وسبعون ميلاً .

(١) « الجديد » قصر بسرت من الاثار العتيقة بمواطن الحسون يذخرون
به ما لم يمكنهم الظعن به حين انتجاعهم .

وبسفح الجبل الذي بقرب القرية قبور وآثار عتيقة وأعمدة من الحجر المنحوت عليها نقوش وتصاوير الانسان والحيوان وهياكل متنوعة الأشكال والحيئات .

ومن كرزد الى « بونجم » (٩٠) تسعون ميلاً ، ومنه الى « هون » (١٦٦) ستة وستون ومائة ميل ، ومن هون الى « ودان » (١٦) ستة عشر ميلاً .

وينسب اليها (ابو الحسن بن أبي إسحاق الوداني) صاحب الديوان بصقلية له ادب وشعر ذكره (ابن القطاع) وانشد له :

من يشتري مني النهار بليلة لا فرق بين نجومها وصحاري
دارت على فلك السماء ونحن قد درنا على فلك من الآداب
دان الصباح !! ولا أتى ؟ وكأنا شيب أطل على سواد شباب

قال البكري : « ودان » لها قلعة حصينة . وللمدينة دروب وهي مدينتان فيهما قبيلتان من العرب « سهميون » و « حضرميون » وتسمى مدينة السهيين (دلباك) ومدينة الحضرميين (بوصى) وجامعهما واحد بين الموضعين وبين القبيلتين تنازع وتنافس يؤدي بهم ذلك مراراً الى الحرب والقتال .

وعندهم فقهاء وقراء ، واكثر معيشتهم من التمر ولهم زرع يسير يسقونه بالنضح وبينها وبين مدينة « تاجرقت » ثلاثة أيام . انتهى .

[رجع] ثم لحق مراد بك لقرية (دليم) ^{١١} فزحف اليه العامل في جموعه وتواقعوا فهلك النجيب واحتل مصافه واستأمن اخوته (مراد بك) فأمنهم .

ثم قدم مرزق وتبوأها وضبط خزانتها ولم يغير على التجار والرعية لامتلاء يده بما وجدده وبخزانة العامل ، ولما تهدد الهناء استعمل عليها (محمد الناصر) وانقلب مؤبداً .

ولما قفل حدثته نفسه برفت الوالي فأمر جنوده الثغر بالقبض عليه فقبضوه ونقي الى جربة في منتصف جمادى الآخرة سنة (١٠٩٤) أربع وتسعين وألف .

ولاية عبد الله الروم ايليلي

وولي عبد الله الروم ايليلي مسن أمراء جنود الجزائر وكان منتشر الرأي فتغلب عليه (مراد بك الأرنؤودي) ولم يكن له الا الاسم فاستضعف الجند أمره وأنفوا من استبداد مراد بك .

وفي يوم الاثنين الموافق لخامس رجب هجموا عليه وقبضوه ونفوه لسنة وثمانية عشر يوماً من ولايته .

(١) قرية بعدها عن مرزق نحو ست ساعات .

ولاية عبد الله الازميرلي

وقدموا لولايتها الحاج عبد الله الازميرلي وكان على نسج سلفه من العجز فاستبد عليه (مراد بك) ايضاً .

ولما رأت حكومة (اسبانيا) ما حل بطرابلس من الارتباك وضعف الحامية طمعت في الاستيلاء عليها وبعثت بأسطولها . وجاء في أواخر جمادى الآخرة من هذه السنة وحاصر البلد ورموها بالدافع ولم تكن في قلاعها يومئذ قوة كافية لدفاعهم فدهش الساكن واستولى الرعب .

فعقد الوالي مجلساً من الأعيان والأمراء منهم « عبد الله الرجبي » و « عمر فشلوم » وفلأوصهم فيما ألم بهم فاتفقوا على مدافعة هذه الأساطيل بغرامة حربية .

ثم أمرهم الوالي بمشورة مراد بك فأجاب « بأن المدينة اذا كانت حاضرة البحر ، ولم يكن بساحتها عمران القبائل .. ولا موضعها متوعر من الجبل .. كانت في غرة الليالي .. وسهل طروقها في الاساطيل البحرية على عدوها . وتحريقه لها لما يأمن من عدم وجود الصريح لها ... والرأي السديد ... أن تتركوا هذه البلدة للعدو ؛ وأختط لكم بلداً (بالهاني) - موضع يبعد عن الثغر بنحو ساعة - أحسن منها سهلة المرافق ، حصينة المعقل ، ويصعب منالها على العدو ، ويتضاعف امتناعها وحصنها بموضعها الطبيعي !!... » فتلطف أولئك الأعيان في

الرد عليه ، وصرفوا له وجوه المداينة وجعلوا ذلك ذريعة لبغيتهم حتى تسهل لوفاقهم على عقد الصلح ، والعقد على ما وقع عليه اتفاق الطرفين من الشروط . وأقلعت الأساطيل وانقشع الجو .

ثم توجه (مراد بك) لاستشراف عمل (ترهونه) وخيم على عين هناك تسمى (وزغه) ^(١) فبلغه ما أغضبه على (حسين قبودان الفلاحي) فأوعز إلى الوالي في طلبه للفتك به فتقبض عليه في الخامس عشر من ربيع الآخر سنة (١٠٩٧) سبع وتسعين وألف ، وسبق إلى مراد في طائفة من أتباعه . ولما بلغوا به (مقبرة سيدي حمودة) صادفوا جماعة من الجند فاستصرخهم حسين قبودان فخلصوه منهم ونقموا على الوالي سوء السير . وفي الرابع والعشرين من هذا الشهر وثبوا عليه وحبسوه وقتلوا عامة خواصه وأتباعه لستين وتسعة أشهر وعشرة أيام من ولايته .

ولاية ابراهيم طاي التارزي

والي ابراهيم طاي التارزي ، وكان شجاعاً حازماً مرهوب الخد . وبعث العمال وجعل قائد جيشه (محمد صقال دليسي) و (حسين الفلاحي) كاهيته ونفذت أوامره في الجهات .

ثم أجمع على الفتك بمراد بك وصرف إليه وجوه عزائه فجهز

(١) وهي عذبة الماء بعدما عن الثغر نحو اثني عشرة ساعة .

العساكر وبعثهم لقتاله مع قائد جيشه محمد بك ، وانضم اليهم (عربان المحاميد) والتقوا بمراد بك في جموعه بعرقوب تاجوراء . واحتربوا حروباً هائلة هلك فيها مراد واستلجموا أتباعه وذهب جمعهم شعاعاً ، ثم انقلبت العساكر أعزة ظاهرين .

واستمر ابراهيم طاي والياً الى أواخر شهر ذي الحجة سنة (١٠٩٨) ثمان وتسعين وألف . وبينما هو في غفلة من العيش اذ ثارت الجنود ووثب عليه أولئك الشعالب وفتكوا به لعشرة أشهر من ولايته .

ولاية محمد باشا شائب العين

وولي (محمد باشا الامام شائب العين القاره طاغلي) وأتاه التقليد من خليفة العصر (السلطان محمد خان الرابع) فتمكن به ونفذت أوامره وبسط في الناس العدل . وكان خيراً تقياً نزيه النفس واسع الصدر حسن اللقاء ذا رأي وحزم وروية . وله مشاركة علمية ، مؤثراً للاتصاف ، متجافاً عن العنف شديداً على العمال ، رادعاً لعدوانهم . ووجه أنظاره لتحصين القلاع والأساطيل الحربية . وأسس الجامع الجسم الكائن بداخل الثغر والسوق الذي باتصاله المعروف بسوق الترك ، وكان من خبره ما يأتي ذكره :

خلافة السلطان سليمان خان الثاني

وفي سنة (١٠٩٩) تسع وتسعين وألف صار فراغ (السلطان محمد

الرابع) وكانت مدة خلافته أربعين سنة وخمسة أشهر ، وبويع بالخلافة أخوه (السلطان سليمان خان الثاني ابن السلطان ابراهيم خان) ، وكان رحمه الله تعالى ملكاً عظيماً جليلاً ترنو اليه الأبصار وتقتد نحوه الأعناق بما أولى من صنع الجميل وحار من كرم الحلال ، وكانت أوصافه كلها دررا ، وأيامه غررا .

[رجع] ثم ان حسين القلايحي كاهية محمد باشا جرى في شأو رياسته طلقاً ، واحتوت عليه شدة الجهالة وحدثته نفسه بالاستبداد واستمال اليه من امراء الجند (مصطفى صيريك) و (ابراهيم صيغه جقلي) وأتوا بما أوغر صدر (محمد باشا) عليهم فأسرهما في نفسه ولم يغير من حاله .

ثم في العشرين من محرم سنة (١١٠١) احدى ومائة والـف جهز خمسة أساطيل حربية وبعثهم فيهباً للغزو فغنموا أسطولاً حريباً وانقلبوا به . ولما وصلوا الى الثغر عاجلهم محمد باشا وأوعز الى الجنود بالفتك بهم ، فقبضوا عليهم وقتلوهم بالجزيرة التي بالمرسى وجعلهم عبدة ظاهرة . ثم اتفق جماعة من الجنود على الفتك بمحمد باشا فامتعض لذلك خليل بك القاره طاغلي وعاجلهم بالقتل . وانتهى خبره للوالي فسر بما فعله وصرف اليه وجوه اقباله ، وقلده قيادة بعض العساكر ثم صاهره . وكان خليل بك هذا ثبت الجنان . وسافر عدة أسفار ناجحة أشاب فيها غنائم وافرة ، واستمر محمد باشا والياً الى ان كان من أمره ما يأتي ذكره .

الشيخ محمد بن مقليل

الامام العلامة . الحجة الفهامة . الفقيه الصوفي . صاحب العلوم
الدنية . والمعارف القدسية .

ولد رحمه الله تعالى بطرابلس سنة (١٠٥٤) أربع وخمسين وألف
ونشأ بها وقرأ العلوم على مشايخ عصره . وخدم الاستاذ (احمد
المكثي) وتلمذ له ونال علماً وافراً ، واشتهر بالفضل ، والذكاء ،
وجودة الطبع ، وحسن الشعر ، والفصاحة ، في النظم والنثر . وكان
احد الائمة المبرزين المتبحرين في العربية والفقه في مذهب (الامام مالك)
رضي الله عنه .

وتولى الإفتاء وحسنت سيرته ولم تكن له رحلة . ومن نظمه
يخاطب الاستاذ محمداً الامام المتقدم ذكره لما وفد على طرابلس :

لقسمد لاح في آفق الذكاء ذكاء به انجاب عن وجه العويس غطاء
وما هو الا الأوحـد الجـهـنـد الذي عليه بخـصار الفـحول لواء
امام همام قد علا منبر العلى فأفـحم من تـديانـه البـلـغاء
رئيس له سلطان كل رياسة اذا ما تراءى قهـقـر البـلـغاء
هو البارـع البـحـر العـباب مـحمد امام له بابن الامام جـلاء
اليه مـقالـيد البراعة سـلمت فـحق لها فـخر به وعـلاء

لطائفه جلت فكلم من أفاضل أمثال أعيان لها خطباء
ومنها شمس كالغزالة مسيل عليها حجاب الغز وهي ضياء
وتؤنس في دار الدجا ووصلها ووصل الملاح الغايات سواء
إذا لمحت تضفي بلدغة لحظها ومن شهدها للذائقين ثقاء
فهذا خطاب كاشف السر كاسها لتقصيره والعجز فيه وفاء
فلا زلت حبراً للفوائد لافظاً نفائس منها تنفق الأدباء
وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الأحد الموافق لتسع من جمادى الأولى
سنة (١١٠٠) هـ والى .

الشيخ أحمد

الفقيه العلامة العارف بالله تعالى الشيخ أحمد بن محمد المكني ولد
رحمه الله تعالى بطرابلس سنة (١٠٤٣) اثنتين وأربعين وألف ونشأ
بها وحضر مجالس العلم والعرفان وصحب المشايخ ومشاهير الفضلاء من
أهل زمانه . وجمع علم الشريعة والحقيقة وصهر في علوم الفقه حتى
صار فقيه عصره ، وأشار إليه في عصره ، وتولى الإفتاء بنفس الثغر
وكان لا تأخذه في الله لومة لائم . ثم تخلى عن الإفتاء وقنع وتورع
وأعرض عن الشهوات فأصبح زاهداً عابداً متقشفاً . وجرت منه
دعوات مجابة وظهرت له كرامات خارقة للعادة ومن مؤلفاته « شكر
المنة في نصر السنة » .

قال الأستاذ أبو سالم العياني رحمه الله : وممن لقيته بطرابلس
فقيها الشيخ الذي ، الفقيه اللوذعي ، خير خلف عن خير سلف ،
سيدي أحمد المكني . بيته بيت علم من لدن أسلافه الكرام ، وأبوه
سيدي محمد المكني كان أعلم أهل ذلك الساحل ، تولى الفتوى ببلده
مراراً واشتغل بالتدريس وله مشاركة حسنة في فنون كثيرة . توفي
قريباً من سنة (١٠٥٦) ست وخمسين وألف ولم يخلف إلا ولده
هذا . واشتغل بالقراءة على شيخنا سيدي (محمد بن مساهل) وعلى
غيره . وكان له ذكاء عقل وزيادة نبل ، فمهر في فنون عديدة وفاق
أقرانه ، فلما عدل شيخنا (ابن مساهل) عن الفتوى حسبها تقدم
تولايها هو فجمدت سيرته فيها وظهرت نجابته وسدد في فتواه . وولي
أيضاً تدريس الجامع الكبير والخطبة والإمامة ؛ لقيته بداره واستعرت
منه (المطول لسعد الدين) فأعاره لي ؛ وكانت له خزانة ليس مثلها
لأحد من أهل بلدة ، ثم استعرت منه بعد ذلك (العضد على مختصر
ابن الحاجب) وكان ذلك قرب رططنا فأعاره لي وكتبت له مع
الرسول بيتين وهما :

فمنوا به قبل الرحيل لنا كما تفضلتم من قبله بالمطول
فانكم أهل لكل فضيلة كما انكم أهل لكل تفضل

خلافة السلطان أحمد خان الثاني

وفي رمضان سنة (١١٠٢) اثنتين ومائة وألف ارتحل « السلطان

سليمان » الى دار الجنان ، وجوار الرحمن ، عامله الله تعالى بالكرامة والرضوان ، لثلاث سنين وتسعة أشهر من خلافته ، وبويع بعده أخوه « السلطان أحمد خان ابن السلطان ابراهيم خان » وطلع في افسق الخلافة بدرأً تَمّاً ، وصدع بأنواع الفخار فجلا ظلاماً وظلماً ، وكان مطمحاً للهمم ، ومرمىً لآمال الأمم .

[رجع] وفي هذه السنة نقض (محمد باشا) الصلح الذي ابرمه سلفه (الحاج عبد الله الازميري) مع حكومة (اسبانيا) فبعث خمسة عشر اسطولاً حربياً للمقاتلة ووصلوا الشغر في التاسع والعشرين من رمضان هذه السنة ، وركبت المسامر وأهل البلاد القلاع وتواقعوا بالمدافع ، وكشفت الحرب عن ساقها وحمي الوطيس وهبت الريح المبشرة فخفقت لها رايات محمد باشا وظفروا عليهم ، وانقلب اصحاب اولئك الاساطيل مهضي الجناح مفلولي الحد عفواً باليأس ، وانقشع الجو وأضاء الأفق .

ثم اتفق ان هذه الدولة اسرت (خليل بك صهر الوالي) وغنمت أسطوله فاتخذت ذلك وسيلة لطلبها من عقد الصلح ، وبعث مندوبها لذلك ، فتسهل محمد باشا وانبرم الصلح على تأييد العهد الأول وأن يكون فداء كل مسلم بنصراني ، ومن زاد عنده أسير ففداؤه مائة وخمسون ريالاً .

وفي سنة (١١٠٥) خمس ومائة وألف طمح (محمد بك) والي تونس وحدثته نفسه على جباية اهالي تونس وأعمالها المواطنين

بطرابلس ، وأشرب لفرض الخراج عليهم والزامهم بالمغارم ، فشق ذلك على محمد باشا ، ثم وافاه كتاب من (شعبان خوجه) والي جزائر الغرب يومئذ وظهر له ان محمد بك يريد الاستيلاء على طرابلس والجزائر . واستأله لحربه ، فاستشار هذا الامر دفين حقه وجهر له اسطولا مشحونا بالعساكر ونزلوا (ببونة) وانضموا لعساكر الجزائر ، وقصدوا محمد بك فنهض لدفاعهم واحتربوا فكانت الهزيمة عليه . واول من انهزم من جنده (فرحات بن القائد حسن) وكان على العرب . واستولى (شعبان خوجه) على محال (محمد بك) يجمع ما فيها ، ونجا بنفسه الى تونس وشرع في تحصين القلاع والحاضرة ، وجمع الجند للمدافعة واستعد لذلك ، فأتى (شعبان خوجه) في العساكر ونزل (الحربية) في ذي الحجة من هذه السنة .

وفي يوم نزولهم خرج (محمد بك) لقتالهم ووقعت ملحمة فقتل فيها من الفريقين عدة كثير ثم لاذوا بالحصار ورموا البلد بالمدافع ودخلت (قلعة غار الملح) في طاعته فاستولى على ما فيها من السفن والعدة . ودام حصار تونس ثلاثة أشهر واشتد الحناق على (محمد بك) وتحذل عنه بعض قواده . ورأى انه أحيط به فاتخذ الليل مركبا ونجا بنفسه ليلة السبت الموافق للرابع والعشرين من ربيع الأول سنة (١١٠٦) ست ومائة وألف وخلص الى (القيروان) فغلق أهلها الباب دونه ، فخرج الى الصحراء ، وأصحّر معه من تبعه وأقام بها . وبعد فراره خرج اهل البلد الى شعبان خوجه فطلبوا منه الأمان فأمنهم ، ومن الغد ارتحل الى بلده وبعث عسكره وعسكر طرابلس في البحر في مراكب تونس وولى (محمد بن شكر) .

خلافة السلطان مصطفى خان الثاني

وفي هذه السنة ارتحل (السلطان أحمد خان الثاني) الى دار البقا
روح الله روحه ، ونور ضريحه ، ومدة ملكه ثلاث سنين وثمانية أشهر
وبويع بالخلافة بعده (السلطان مصطفى خان الثاني ابن السلطان محمد
خان الرابع ابن ابراهيم) وكان محباً للعلوم ، والمعارف ، متديناً ،
عادلاً ، وعلى جانب عظيم من الرقة ، والخلق ، وكانت أيامه مواسم ،
وثغوره بمواسم ، ولياليه كلها دررا ، وللزمان حججولاً وغرراً .



[رجع] وفي هذه السنة أعني سنة (١١٠٦) ست ومائة وألف
خالف (الناصر) عامل قزان وجاهر بالعدوان ، فسرح اليه محمد
باشا (يوسف بك) في العساكر فارتحل لقصده وقدم مرزق فبرز اليه
العامل في جموعه وتوافقوا فاختل مصاف العامل وتخاذل أنصاره ولأذ
بطلب الأمان فأمنه ، ووضع أوزار الحرب وتبوأ البلد بعسكره
واستباحها ، ثم استعمل عليها (محمد المكئي) وسبق الناصر الى
طرابلس واعتقل بها ، ولما تمهد الأمن انقلب الجنود أعزة ظاهرين
واستمر محمد المكئي في عمله خمسة أشهر .

ثم في محرم سنة (١١٠٧) سبع ومائة وألف ثار أهل البلد به
وتقبضوا عليه ومثلوا بقتله واستقدموا (غلام ابن جهيم) من مكانه

بالسودان وولوه أمرهم . وكتبوا لمحمد باشا بالطاعة والانحياش
والالتزام بالمخارم والخراج ، فبعث اليهم (علي المكني) في العساكر .
ولما شارف مرزق استقبله تمام في لمة من أتباعه وممكنه من دخول
مرزق فدخلها من غير ممانع .

ثم انتزى (محمد بن جهيم) على جهات « وادي الحرمان » وردد
الغزو والغارات على تلك البسائط قارتحل اليه (علي المكني) في
طائفة من الجنود ، وخيم بأزاء القلعة التي بالوادي . فزحف اليه محمد بن جهيم
في جموعه ودارت بينهم حروب كانت العاقبة فيها والظهور لمحمد بن
جهيم ونجا علي المكني في فله الى مرزق واعتصم بها . وتبعه محمد بن
جهيم واقترح عليه البلد عنوة وتقبض عليه واعتقله « بالقصر الأحمر »
الذي بسبته . ثم تساقط الخبر الى (محمد باشا) فاضطرم ، ثم أحضر
الناصر عامل فزان الأول من محبيه وتجاوز عن ذنبه ومهد عذره
وأسنى له العضيّة وبالنح في اكرامه وأباده في قوة كافيّة الى بلده في
الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة (١١٠٨) ثمان ومائة وألف .
وفيهما ثار (منصور بن خليفة) بنواحي سرت والتف به من كان
بتلك الضواحي من جفافة الأعراب وأجلاقيهم وصغت أذانيهم لنفاق
فتنته وشنوا الغارات وأظهروا النفاق . فجهز محمد باشا اليهم العساكر
مع (يوسف بك) ، وانتهوا اليهم في أواخر رجب من هذه السنة
وأحترقوا بظاهر « أم الجن » - موضع بين تاورغا والهيثة -
ودارت بينهم حروب شديدة اختل فيها مصاف الجنود وهلك الكثير
منهم . وأخلص يوسف في فله لطرابلس ، وفارق « منصور بن خليفة »
مكان ثورة وخلق في جموعة بأرض « برقة » . فأوعز محمد باشا لمحمد

ابن محمود عامله يومئذ على الجبل الأخضر بالقبض على منصور ، فخرج لقصده بما كان لديه من الجنود وأهل الغابة و « أولاد برعوص » و « أولاد علي » وتزاحقوا ببرقة واحتربوا حروبا هائلة هلك فيها الكثير من أتباع (منصور) واثخنوا فيهم وشردت رواحلهم . ونجا منصور الى ضواحي سرت مفلول الجناح ؛ ثم جمع أوباشا من العرب من يلمس الرزق بسلاحه ، وغادوا عيشتهم وطلوعهم بسوم الخسف والنهب وتخطف الناس من السابلة ، وأنكر ذلك من فعلهم أولاد الجنود المعروفون (بالقول أوغليه) المقيمون بنواحي « مسراته » و (أولاد عبد الرحمن الجبالي) و (أولاد زيان) و (أولاد سلطان التاورغين) و (بني معدان) ، واجتمعوا على (عبد الله بن عبد النبي الصنهاجي) سنة (١١٠٩) تسع ومائة والف وارتحل بهم لقتاله . ونشبت الحروب بين الفريقين فانتهزمت جموع (منصور بن خليفة) وتماولتهم أيدي الهلاك بكل مهلك قطعاً بالرماح وهباً بالسيوف ، وشدخاً بالعصي ، والحجارة ، حتى استلحقوا وأجلت المعركة عن (منصور بن خليفة) صريعاً وانقطع أثره .

وفي سنة (١١١١) إحدى عشرة ومائة والف جاهر (عبد الله ابن عبد النبي الصنهاجي) بالعصيان والشقاوة وكشف فيها قناعه وجمع أوباشاً من الأعراب وجفاتهم وكل ناعق ، وانتزى على أعمال طرابلس الشرقية وكبس على قرى « يزليين » و « تاورغا » واقتحمهم بالفارة وأفسد السابلة وأنسف الزروع وقادى في غوايته وقصد « مسراته » وبالعاملها يومئذ في مدافعتة بحيث لم يجد فرصة ينتهزها ولا غفلة يفتنمها . ولما اتصل بمحمد باشا الخبر صرف الى ردعه وجوه عزائه

وسرح اليه (خليل بك) في العساكر والتقى به في جموعه بوادي أحسان^(١) وذاقهم نكال الحرب وحصرهم في محاجرهم ومضايقيهم وأخذ يمتنفسهم وسامهم سوء العذاب واستباح ذمارهم وافترقت جموعهم . ونجا عبد الله الى الصحراء مبهض الجناح عفوا باليأس ؛ ورفع (خليل بك) عن الرعية ما نالهم من عدوانهم . ولما عهد الهناء انقلب منجحاً مظفراً .

وفي سنة (١١١٢) اثنتي عشرة ومائة والـف خرج (خليل بك) في العساكر لتمييد الاعمال الغربية . ولما قدم بهم (شكشوك)^(٢) اختلف عليه الجند وانقلبوا الى طرابلس ووثبوا على محمد باشا في الحادي عشر من شهر ذي القعدة من هذه السنة وتقبضوا عليه وأضموه على أن يخرج عن طرابلس فصار الى دار الخلافة لأربع عشرة سنة واحد عشر يوماً من ولايته .

ولاية عثمان الدرغتي

وولوا عثمان الدارغتي أحد أصناف باعة القهوة بسوق الترك ولحق

(١) وهو عرث لاهل تارغا على نحو خمسين ميلا منها لجهة الشمال الغربي .

(٢) قرية صغيرة بسبع (جبل نفوسه) بها قوم من الحميد وهي قليلة الشجر والتخيل .

خليل بك بتونس واستقر بها عند واليها يومئذ . مراد بك بن محمد
ابن مراد) في خير جوار وكرامة وجراية ثم انتقل منها الى دار
الخلافة العلية وخلق بصهره محمد باشا .

وكان عثمان هذا فظاً ذا جفاء وغلظة عاجزاً عن القيام بأعباء
الولاية وكان من امره ما يأتي ذكره :

السيد سعيد الشريف

الشيخ العارف ، مستجمع العلوم والمعارف ، فريد عصره وأوانه .
تولد بمدينة طرابلس الغرب وكان والده نقيب الأنصار بها ، وحفظ
بها القرآن العظيم وتفقه ، ثم قدم الى مدينة تونس وأخذ عن مشايخ
أجلة منهم الشيخ العلامة (محمد القناد) وعن الشيخ قدوة العلماء سيدي
(عبد القادر الجبالي) وعن الشيخ سيدي (محمد فتاة) وعن الشيخ
(جعفر قرياصه) وعن الشيخ (علي الاندلسي) وغيرهم من علماء الوقت .
وانتهت اليه الرياضة واليد الصولى في المعقول والمنقول ، وبلغ المرتبة
العلوية في النحو واللغة والمنطق والمعاني والبيان وعلم الحديث
ومصطلحه . وأخذ عنه أجلاء العصر واستفادوا منه كثيراً . وهو شيخ
مشايخ عصره في العلم والبركة والدين ، محقق مدقق ، صرف مدة
عمره في التدريس ، أفاد وأجاد ورحلت اليه الناس من أقاصي البلاد
وأخذوا عنه . وكان يقسم الليل ثلاثاً : ثلثاً للمطالعة . وثلثاً للنوم . وثلثاً
للقيام والعبادة . وكان صاحب كشف وإشارات لا يخاف الحكام ، وكان

ذا هيبة ووقار ، ويقراً كتب المعقول عن تحقيق . وله باع طويل في قراءة مختصر الشيخ خليل . وكان إذا حضر مجلساً واجتمعت فيه العلماء لا يؤخذ الا بقوله . وكان متيناً في الديانة تخرج عليه خلف . درس بجامعة الزيتونة درسين ، فكان يدرس في الصباح ألفية المصطلح وقطب الدين الشيرازي على الشمسية في المنطق ومختصر الفتاواني على التلخيص قراءة تحقيق في جميعها . ويجلس بعد الظهر به أيضاً لإقراء مختصر الشيخ خليل الى قرب العصر قراءة تحقيق أيضاً ، وكان له قدم في الطريقة ربما كاشف ؛ توفي رحمه الله سنة (١١١٢) .

العارف بالله الشيخ أحمد البهلول

وفي ليلة السبت الموافق للثاني من رجب سنة (١١١٣) ثلاث عشرة ومائة والف توفي العارف بالله تعالى : طود العلم النيف ، وعضد الدين الخنيف ، ومالك أزيمة التأليف ، عالم الصلحاء وصالح العلماء ، شهير الكرامات ، كبير المقامات ، الأستاذ أحمد الملقب بالبهلول (ابن حسين بن احمد بن محمد بن علي بن احمد بن قائد بن احمد بن سيد الناس) .

ولد رحمه الله تعالى بطرابلس ونشأ بها على الاستقامة والصلاح والاهتداء ، وارتحل في طلب العلم الى مصر ولقي بها الشيخ (أحمد البشيشي الكبير) و (الشيخ محمد الخرشبي) و (الشيخ عبد الباقي الزرقاني) و (الشيخ الثرنبلالي) وعدة أفاضل . وروى الحديث

وتتفقه بهم في كل العلوم . وناظر وأخذ يحظ وافر وعاد الى طرابلس .

وكان رحمه الله غزير المادة ، باهراً في الرواية ، والدراية ، كلفاً بالمعاني البديعة ، والألفاظ الصقيلة ، وله القصائد المشهورة بالبلاغة . منها (تحميسه العياضية ، في مدح خير البرية) فاق فيه الأصل ؛ وله الرسائل المشهورة الفصاحة ، والآداب السنية (كالقائمة الثورية) واختصر (العزيرة) نظماً رايقاً سالماً من الحشو . وله منظومة في العقائد سماها (درة العقائد) وهي سبعون بيتاً لم ير مثلها في سلاسة النظم وعذوبة اللفظ تهب ريح المعرفة من أرواحها ، وتسقط لؤلؤ اليقين على بامم أزهارها ، وله منظومة في مذهب « الامام الأعظم أبي حنيفة » رضي الله تعالى عنه سماها (المعينة) . وكان رحمه الله علامة عصره في كل العلوم ففي اي علم تكلم اعجز فحولته وأفحم بلغائه وقد مدحه الأفاضل بغرر القصائد فيما مدح به :

يا فاضلاً فضله بين الورى ظهرا

وعاقلاً وهو بالبهلول قد شهرا

ويا فقيهاً له في الفقه مرتبة

أبدى بها سر ما أخفى من اختصرا

وعالماً بتقارير « الشفاء » شفى

أمراض قلب الذي في درسه حضرا

وصح لما روى عنه مشافهة

(صحيح متن البخاري) وارتوى دررا

لقد حباك إله العرش جل بما
 حباك بما به قد صرت مشتهرا
 يا ابن الحسين جزاك الله مكرمة
 أبديت في كل علم للورى عبدا
 (عزية الشاذلي) كانت منثرة
 نظمتها فعلت قدرا على النظرا
 وفي العقائد أبديت لمشتغل
 بعلمها (درة) قد فاقت الدررا
 كفاك في مذهب النعمان نظمكم
 (معينة) سرها في السالكين سرى
 وكم مسائل قد كانت مشتتة
 جمعتها فغدت كالدر حين يرى
 يا أيها العلم الفرد الذي افتخرت
 به طرابلس لما أن بها اشتهرا
 دامت عليك من المولى نعمائه
 ولا برحت بسر الله مستورا
 ودمتمو قبلة للقاصدين ولا
 زالت فضائلكم في العالمين ترى
 يجاه « أحمد » خير العالمين ومن
 على البراق الى السبع الطباق سرى

عليه والآل والأصحاب قاطبة
تحية عُرِفها قد أخجل الزهرا

* * *

رحمه الله تعالى ونفعنا بأسرار علومه .

* * *

[رجع] ولم يزل عثمان هذا والياً الى غرة ربيع الأول من هذه
السنة فثار عليه جنود اليكيجرية ووثبوا عليه وقبضوه لثلاثة أشهر
وعشرين يوماً من ولايته .

ولاية الحاج مصطفى الكليبوليلي

وقدموا لولايتها الحاج مصطفى الكليبوليلي وجعل كاهيته (مصطفى
شوكلار) وأقر أرباب الوظائف والعمال في مناصبهم وأعمالهم . وكان
سيء الخلق شديد الوطأة فبسط في الناس يد الجور وسامهم الحسف
واضطربت في أيامه المسكوكات واشتد على الناس عسفه .

وفي أوائل رجب من هذه السنة انتقضت أهالي غريان وأعلنوا
بالنفاق فجهز الجنود وعقد عليهم (لسعيد بن المنتصر الزموري) فقدمها
وأثنى فيهم حتى استقاموا على الطاعة .

ثم ان (خليل بك) المتقدم ذكره عمر أسطولاً وقدم نواحي طرابلس ونزل على (الزعفران)^(١) .

ووفد هنالك على (عبد الله بن حمودة الجبالي ابو طرطور) لزمة حلف قديم كان بينها فاهتز لقدمه واحتفل للقائه وانتفض له واحتشد العرب وصادف ذلك ملاكاً من الرعية من سوء ادارة هذا الوالي فانقاد اليه من كان بتلك الضواحي من القبل فاستفحل أمره وكبر شأنه وأصفق المأ على ولايته .

ثم اجمع (خليل بك) الرحلة الى طرابلس فنهب اليها في جمهور أتباعه ، وانتهى الى الوالي خبره فعسكر بخارج الثغر وأزاح العلل واستخلف كاهيته (مصطفى شوكلار) على البلد وارتحل للقائه ؛ ولما انتهى الى (وادي السماره) لحق خليل بك بطرابلس من جهة الساحل وخيم عليها فمكنه منها وكيل الوالي لما بينهما من المودة القديمة .

ولاية خليل باشا

وتبوأ خليل باشا المدينة في ربيع الآخر سنة (١١١٤) أربع عشرة ومائة وألف من غير ممانع ونزل بقصر الحكومة واستولى على البلد .

(١) وهو موضع بضواحي مسرانة على بعد (١٩٢) ميلاً منها لجهة الجنوب الشرقي . وهو أحياء في ساحل البحر مأوا طيب . عليها كثبان من الرمل الأحمر يظهر من بعيد . ومن وراء الكثبان من ناحية البر (قصور سرت) المتقدم ذكرها . وقد اشتهر في تلك النواحي أن الابل اذا خرجت بأذنابها الديدان من اسع الذباب لها ؟.. اوردوها ماء . فاذا شربته تاقط ما بها من الدود .

ثم ان جند سلفه (الحاج مصطفى الكليويلي) انتقضوا عليه وقبضوه ومكنوه من خليل باشا فبعثه الى « تاورغا » وأوعز الى عاملها يومئذ (محمد بن علاق) بقتله فقتله وصفا الجو لخليل باشا وأتاه فرمان العالي الشان من أمير المؤمنين (السلطان مصطفى خان الثاني) بتقليد الولاية لعهدته فتمكن به وتقررت ولايته .

وكان عزيز النفس ثاقب الفكر عالي الهمة شجاعاً مرهوب الحد فبعث العمال وأمن السرب وبسط في الناس العدل ودنت القاصمة .

وصرف الى مشاقيه من أهل غريان وجوه عزائه وأما في العساكر وأذاقهم نكال الحرب وسامهم سوء العذاب وجاس خلال ديارهم وأثخن فيهم حتى احتازوا على الطاعة وراجعوا الحق وأخلصوا في الانحياس ورجعوا الى ما ألفوه من الغرامة وقوانين الخراج . ولما تمهدت العافية انقلب منجحا مظفرا .

وأنشأ ضريحانة للمسكوكات واتخذ الألبسة الرسمية المطرزة بالفضة في الأعياد وأصلح شأن دار صناعة الأساطيل الحربية واكتسب شهرة في الحروب البحرية وأنشأ الجامع الكبير الذي بالمنشية وأقام بالأمر أحسن قيام الى أن كان من خبره ما يأتي ذكره !

خلافة السلطان أحمد خان الثالث

وفي سنة (١١١٥) خمس عشرة ومائة وألف صار فراغ « السلطان مصطفى خان الثاني » لثاني سنين وأربعة أشهر من خلافته وأفضت

الخليفة لأخيه (السلطان أحمد خان الثالث ابن السلطان محمد الرابع)
وكان رحمه الله تعالى ملكا هاما ، وأسداً ضرغاماً ، وللدهر جمالا ،
وللإسلام مثالا ، وللمستجير مجيرا ، وللمظلوم وليا ونصيرا .



[رجع] وفي هذه السنة استقدم خليل باشا صهره (محمد باشا)
فقدم وبقي بطرابلس الى ان مات رحمه الله ودفن بالقرب المخصوصة
به التي بلصق جامع .

وفيها وجه (مراد باي) والي تونس رسلا الى الجزائر يهدية
لصاحبها ، فردها عليه وأظهر له العداوة ، فاستشاط غضبا وعزم على
غزوهم ؛ وجمع خيله ورجله وكتب الى (خليل باشا) يطلب منه
المعاوضة وخرج بمحلة يجر خمسة وعشرين مدفعا وشارف « قسنطينة »
فزحف اليه عاملها (علي خوجه) في جموعه ، وأوقع بها وأثنى
فيهم وأسرف في القتل . ولما وصل « قسنطينة » امتنعت عليه فأمن أهلها
فلم يثقوا بأمانه . ثم ملك القلعة التي بظاهرها عنوة وقتل جميع من
بها وأرسل مدافعها الى تونس ثم استأصلها بالهدم .

ووافاه خليل باشا والي طرابلس في جموعه وهو على قسنطينة
فأكرمه واعتضد به في حصارها خمسة أشهر ، فأتاه صاحب الجزائر
بمحلة . ولما التقى الجمعان كانت الهزيمة على مراد بك وخليل باشا ومن
معها بمحل يعرف بجوامع العلماء وذلك في السابع عشر من ربيع الثاني
من هذه السنة ، وقتل الكثير من عسكرهما ونجا (مراد بك)

الى الكاف مفلولاً ومنه الى تونس . ثم كافاً خليل باشا والي طرابلس بأن أباح له « القيروان » وأطلق يده فيها وفي أهلها فتوجه لها بعسكره فدخلها ونهبها وسبى النسوة والذرياري وانقلب الى طرابلس .

محاصرة ابراهيم بك الشريف طرابلس

وفي سنة (١١١٦) ست عشرة ومائة وألف خرج والي تونس يومئذ (ابراهيم بك الشريف) في العساكر لقتال طرابلس ، وسببه ان واليها خليل باشا المتقدم ذكره كان بينه وبين (مراد بك) والي تونس السابق مودة محكمة وآسفه ما وقع بمراد بك من فتك ابراهيم الشريف هذا ، فغضب لذلك ونصب العداوة له . واتفق ان جاءت هدية من بعض البايات بمصر لابراهيم الشريف فانتزعها « خليل باشا » من يد حاملها غضباً ، كما اتفق أن الريح ألجأت سفينة تونسية الى مرسى طرابلس فأخذ منها خليل باشا ما اراد ليثير غضب (ابراهيم الشريف) ليكون هو المبتدي بالحرب .

فاشتد غيظه وعقد ديواناً بأعيان الجند وأعلمهم بعزمه على غزو طرابلس وقتال خليل باشا ، فوافقوه ، وصاحب الجزائر في خلال ذلك يغري كلا منهما على الآخر ويعدده النصر .

فخرج (ابراهيم الشريف) بمحلة في جهادى الثانية من هذه السنة ، ولما شارف طرابلس خرج اليه واليها (خليل باشا) والتقى الجمعان في شعبان ، وكان الغلب لابراهيم الشريف ، وانهمز خليل باشا وقتل

الكثير من جنده وانتبهت محلته ، وأخذت مدافعه ونجا بنفسه الى طرابلس ودخلها متنكراً . فارتحل وراءه (ابراهيم الشريف) وحاصرها وضيق على أهلها ، فأرسلوا اليه يطلبون الصلح على مال جعلوه له ، وكان ذلك بواسطة كاهيته (حسن بن علي) فامتنع واغلظ . فحذره كاهيته غائلة من دعي الى الصلح ولم يجب وقال له : (ان صاحبك الذي أغضبك فر بين يديك هارباً وقتلت جنده وأعوانه !! وأخذت محلته بما فيها : فأى ذنب لأهل البلد ؟ ..) فصمم على قساوته فدافع الله عنهم بوقوع الطاعون في عسكره ومات به عدد كثير من الجند وكان سبباً في فرار من معه من الأعراب ، فارتحل عنها أواسط رمضان سنة (١١١٦) ست وعشرة ومائة والفرج ورجع الى تونس .

وفي سنة (٢١) احدى وعشرين عاد (عبد الله بن عبد النبي الصنهاجي) الى حاله من قطع أسباب الطاعة والعيث وتخطف الناس من السابلة ونهب قافلة فزان ، وكان بها خراج العمل ، فتجهز (خليل باشا) وارتحل لتأديبه في أواسط شعبان من هذه السنة ، ولم يترك في البلد جيشاً ولا ممانعاً لعدم عدو يحفظها منه ، فانتزى (ابراهيم الاركلي) والتقت به أخلاط من أوباش الناس ورعاعهم ، وخيم على طرابلس يحاصرها ، ولم يكن في حساب خليل باشا أنه يحدث نفسه بذلك ، وضيق على البلد .

ولاية ابراهيم الاركلي

واقتمحها في اليوم الخامس من حصارها واستولى عليها . ولما اتصل

الخبير (بخليل باشا) التاب وتخير في امره ثم جاء فيمن معه الى « طرة المنشية » فساق عليه ابراهيم الجنود وتواقعوا سبعة ايام . ودارت بينهم حروب هائلة كانت العاقبة فيها والظهور لعساكر (ابراهيم) على (خليل باشا) وجنوده ، ولحق في فله (لعبد الله الجبالي أبو طرطور) واتبعه (قاره محمد الاناطولي) قائد جيش ابراهيم في العساكر ، والتقوا « بالشعرير » موضع معروف ، وحاربهم واثخن فيهم وتفرقت جموع (خليل باشا) وشردت رواحلهم والقتل والنهب يأخذ منهم مأخذة . ونجا خليل باشا (لأرض سرت) عفواً بالياس .

وأتبعه (قاره محمد) ، ولما وصل « عين تاورغا » لقي هنالك (عبد الله بن عبد النبي الصنهاجي) في جموعه ، فحاربه وهلك عبد الله ابن عبد النبي في الجولة وتفرقت جموعه . ثم انقلب (قاره محمد) لطرابلس ولحق خليل باشا بمصر وقدم منها لدار السعادة العلية .

واستقر ابراهيم بالولاية وقتك بشيعة خليل باشا وبطانته وأبادهم نفياً وقتلاً . وبعث العمال ودانت له القاصية ثم عزل (قاره محمد) عن قيادة الجيش ونفاه للمغرب .

ثم قدم من منفاه الى « غريان » فانتقضوا له واعصوبوا عليه ثم أجمع على محاصرة طرابلس ونهض في جموعه وقدم « تاجوراء » أواخر رجب سنة (١١٢٢) اثنتين وعشرين ومائة والـف . فحشد الوالي الجنود ، وعقد (لمحمد بك الجن) عليهم . ونهض لقتالهم ولما التقى الجمعان اختل مصاف (قاره محمد) واستبيح معسكره وانتهت فساطيطه ونجا الى الجبل مفلول الجناح وقفل (محمد بك الجن) مظفراً .

ثم في خمسة عشر رمضان من هذه السنة ثار (محمد بك الجن)
بالعاكر على الوالي وحاصروه بقصر الحكومة خمسة عشر يوماً ثم
ظفروا به وقبضوه ليلة العيد ونفوه الى الاسكندرية لسنة وشهر
ونصف من ولايته .

ولاية اسماعيل خوجه

وقدموا لولايتها (اسماعيل خوجه) - وكان اماماً يجمع
الخروبة - فتغلب عليه (محمد بك الجن) واستبد عليه بالامر والنهي
فاستضعف الجند امره اوأنفوا من استبداد محمد بك الجن عليه فدخلوا
عليه على حين غفلة وقبضوه في سلخ ذي القعدة من هذه السنة لشهرين
من ولايته .

ولاية الحاج مصطفى طاي

وولي الحاج مصطفى طاي وأثناء الأمر عفواً صفواً لم يجد اليه بدأ
ولا تجسم فيه مشقة . وكان خفيف القياد فاتر المهمة فأضاع الخزم
وأغفل الأمور وكثر الثوار والبغي في زمانه وتخطف الناس من
السابلة .

وانتزى (قره محمد) المار ذكره وأجلب على قرية تاجوراء في

سلخ ذي الحجة من هذه السنة ، فبرز اليه أهلها واحتربوا فكانت
الهزيمة على قاره محمد وخلص الى غريان مفلولا .

ثم نقم الجند على الوالي سوء السيرة وثاروا به أواخر جهادي الأولى
سنة (١١٢٣) ثلاث وعشرين ومائة وألف . وتقبضوا عليه وقتلوه
خمس أشهر وستة وعشرين يوماً من ولايته .

ولاية محمد أبي أميس

وقدموا لولايتها محمد أبو أميس كاتب الديوان وكان طائش الحلم ،
لئيم الظاهر ، لسانه سلم موادع ، وقلبه حرب منازع ، فأظهر من حسن
الخلق ولين العريكة ما استال به قلوب الجند وأعيانهم فاتفقوا على
تقديمه للولاية

ولما نال قصده أسرع الى النكوص على عقبيه وأقبل على التعدي
وأظهر من الجفاء والغلظة ما لم يظن منه .

ثم بعث (أحمد بك قره مانلي) أحد اعيان الجند الى غريان
بكتابه ، وأوعز فيه للعامل بقتله . فشر أحمد بك بذلك والتجأ الى
أعيان الديوان ف عقدوا ديواناً واتفقوا فيه على عزله وولاية
(أحمد بك قره مانلي) .

وفي يوم الثلاثاء الموافق لحادي عشر من شهر جهادي الآخرة من
هذه السنة وثبوا عليه وقبضوه خمسة عشر يوماً من ولايته .

ولاية أحمد بك قره مانلي

وولي أحمد بك قره مانلي في صحوة يوم الخميس الثالث عشر من جمادى الآخرة سنة (١١٢٣) ثلاث وعشرين ومائة وألف ، وبعث العمال واتخذ جمعية علمية لحسم النوازل والمحاكبات الشرعية وكان مؤثراً للعدل والانصاف لين العريكة .

ثم في الحادي والعشرين من هذا الشهر قدم (خليل باشا) الوالي الأسبق في أسطول من دار الخلافة والياً بفرمان عالي الشان ومعه ثمانمائة مقاتل فمنع من الدخول الى البلد فتوجه الى زواره ونزل بعسكره فيها . وأتته جموع من الأعراب ووفد عليه (الشيخ أحمد بن نويز) في جمع من المحاميد . ولما اتصل خبره بأحمد بك سرح العساكر لقتاله وتزاحف الفريقان « بزواغة » واحتربوا حروباً هائلة قتل فيها خليل باشا واختل مصافه ولحق فل عسكره بالأسطول واعتصموا به ثم اقلع بهم الى الاستانة .

وفي يوم الاحد السادس والعشرين من جمادى الآخرة سنة (٢٤) أربع وعشرين ، قدم (محمد باشا) - المشهور بجانم خواجه - للفحص عن قتل (خليل باشا) والوقوف على حقيقة الامر فاستقبله (احمد بك) بمزيد الاعتناء وبالع في تعظيمه واکرامه كما يجب ، وتشبث (محمد باشا) بالتحقيقات فلم يتيسر له الوقوف على حقيقة

الحال لأن أحمد بك اعتنى في الدس عليه ومنع الناس عن الاجتماع به ، ثم قفل ولم يتحصل على خبر صحيح .

واستمر أحمد بك بالولاية وأتاه فرمان من أمير المؤمنين (السلطان أحمد خان الثالث) بتقليد الولاية مع توجيه رتبة بكهربكي ، فاستقر به أمره وتقررت ولايته ونفذت أوامره وأمن السرب ودانت له القاصية .

ثم في أواسط شعبان سنة (٢٥) خمس وعشرين عادت أهالي تاجوراء الى حالهم من الاستبداد وقطع اسباب الطاعة ، وانضم اليهم البعض من عشائر « ترهونة » و « اولاد حميد بن جارية » فبعث اليهم العساكر وحاربهم وأئخذوا فيهم حتى استقاموا على الطاعة .

وفي أواخر هذه السنة خالفت أهالي « مسلاتة » ونبذوا الطاعة واعصوبوا على رجل يدعى (ابن حسين) والتف بهم (محمد بن منصور الترهوني) - الملقب بسوق الذيب - وكل مفسد من أجلاف العرب وجفاتهم ، فخرج (أحمد باشا) لقصدهم في العساكر وحاربهم وأئخذ فيهم وشقتهم ، وافترقت العساكر في كل وجه ، وجيء بهم أسرى من كل ناحية ، وتوغلوا في تلك الجبال وأذاقوهم الويل والنكال حتى انقادوا ولاذوا بطلب الأمان ، فأمنهم ورجعوا لما ألفوه من الطاعة وقوانين الخراج . ولما عهد الهناء انقلب (أحمد باشا) بما لديه من العساكر أعزة ظاهرين .

وفي سنة (٢٧) سبع وعشرين نافق (علي بن عبد الله الصنهاجي)

والتف به كل مفسد من سكنة « الجبل الغربي » و « أودية الكمكوم »
 وثار بهاتيك الضواحي وشنوا الغارات واغتصبوا أموال الرعايا ونهبوا
 مواشيهم وانتسفوا زروعهم ، ثم فارق مكان ثورته وارتحل بأتباعه
 ذئاب الغارة الى نواحي « الجبل الأخضر » فلقبي وفداً من العساكر
 ومعهم خراج « قرية أوجله » ، فوثب عليهم واغتصب الخراج وخيل
 الجند . ثم انقلب ونزل يجموعه بالزغفران من أرض سرت .

ولما اتصل خبره (بأحمد باشا) حشد الجند لقتاله وخرج لقصدهم
 في اوائل ربيع الأول من هذه السنة ؛ والتقى الجمعان وتواقعوا . ولما
 حمي الوطيس اختل مصاف (علي الصنهاجي) وهلك الكثير من أتباعه
 وأتبع الخيل آثار الشهزمين ، واستوعبهم قتلاً وأسرأ ؛ وأجلت
 المعركة عن (علي الصنهاجي) وأتباعه مضجعين في مرافدهم كأنما
 أقعدوا للرداء ، فوطأهم سنايك الخيل وغشيم قنار الركاب ،
 وذهب ذلك الجمع شعاعاً واستولي على أموالهم ونعمهم وكافة حيواناتهم
 ووجد الخراج بختامه .

وفي سنة (٣٢) اثنتين وثلاثين عقد أحمد باشا لأخيه (الحاج
 شعبان بك) على عمل « برقة » و « بنغازي »^{١١} وبعثه في كتيبة من

(١) بنغازي - او - بني غازي « واسمها القديم (بنه ريس) او
 (هيريس) ؛ وهي مدينة من برقة كائنة شرقي طرابلس وعلى الساحل الشرقي من
 خليج « سدراته » المعروف « بجون الكبرى » وتسميه الاقرنج « سيده ناثيق » .
 بعدها عن طرابلس نحو مائة وخسين ميلاً . وهي في مكان سهل وارضا رملية
 قاحلة وفرضتها يحثوب المدينة على بعد نصف ميل منها تدعى « بجوليانة » تحيط بها
 صخور من جهة قبلتها ، والمدخل اليها من بين تلك الصخور .

جند اليكيجريه يقودهم ابراهيم (التريايكي) و (علي الأدغم) لتمهيد تلك النواحي وتثقيف أطرافها وتطويع من كان مخالفاً من العربان وجبايتهم . فارتحل بهم الى ذلك السم .

وكان ابراهيم هذا جموحاً للرياسة فخالف (الحاج شعبان بك) ونقم عليه سوء السيرة ، وحدثه نفسه بالاستبداد ومد عنقه للولاية وصغت آذان (علي الأدغم) وسائر الجنود لناعق فتنته ، وأطبّقوا على رفت (أحمد باشا) واعتزموا لذلك من بلد « درنه » ، وكلموا مروا بقبيلة دعوها لموافقتهم فأجابت طوعاً او كرهاً . وقدموا « مسراته » وأخذوا ما كان بمستودعات الحكومة المحلية التي بقصر أحمد من البارود والرصاص ، ثم قدموا منها لقرية تاجوراء . فجهز (أحمد باشا) العساكر وبعثهم لقتالهم وتزاحفوا بظاهر تاجوراء واحتربوا حروباً هائلة كانت العاقبة فيها والظهور لعسكر (أحمد باشا) وافترقت جموع (ابراهيم التريايكي) وشردت رواحلهم ولحق (علي الادغم) بمصر ونجا (ابراهيم التريايكي) الى الصحراء مفلول الجناح . وانقلب الجند مظفرين وبقي ابراهيم التريايكي يتقلب في البراري الى ان هلك .

وفي سنة (٣٣) ثلاث وثلاثين ثار البعض من « بني علوان » وكان القائم بأمرهم رجل اسمه (احمد الرئيس) ووثبوا على الحاج شعبان بك وقتلوه وشتوا الغارة ، فبعث اليهم (أحمد باشا) العساكر ووقعوا بهم وشتتهم ولحق (احمد الرئيس) في فله لتواحي « جبل نفوسه » وبقي هناك يتقلب مع اعراب المحاميد .

وفي سنة (٣٥) خمس وثلاثين قدم في جموع من المحاميد وأوباش العرب وجفاتها لأرض سرت وعثوا فيها وطلعوا على أهلها بسوم الحسف وتحطف الناس من السابلة . ولما اتصل خبرهم بأحمد باشا سرح اليهم (إبراهيم بك) في العساكر وأذاقهم نكال الحرب وسامهم سوء العذاب وتقبض على (أحمد الرئيس) وسيق الى الوالي فقتله . ورفع عن السكنة ما ناله من عدوانهم . ولما شهد الهناء انقلب العساكر أعزة ظاهرين .

الشيخ ابو الحسن علي بن عبد الصادق

وفي يوم الاثنين الموافق للثاني والعشرين من ربيع الأول سنة (١١٣٨) ثمان وثلاثين ومائة وألف توفي العارف بالله تعالى العلامة ، الفقيه المالكي الفهامة ، ذو التصانيف العديدة ، والفوائد الجزيلة ، (أبو الحسن علي بن عبد الصادق) بن (أحمد) بن (عبد الصادق) ابن (محمد) بن (عبد الله) العيادي . نسبة للعيائدة - قبيلة من بني سليم - . ولد رحمه الله « بساحل طرابلس الشرقي » ونشأ به وحضر مجالس العلم والعرفان وصحب مشايخ عصره وتفقه في العلوم من الأصول والفروع ، وأخذ عن العارفين من أهل زمانه ، ونال أسرار المعارف وخاض بحار الأحوال ، وكان أجلاء الشيوخ وأكابر العلماء العارفين ، لا يشق غباره ولا تجهل آثاره وصنف كتباً كثيرة مفيدة منها « شرح الصغرى » للشيخ السنوسي و « منظومة الشيخ عبد الواحد ابن عاشر » . واختصر « رسالة الاستاذ ابن أبي زيد » و « شرحه » وله

« منظومة في عيوب النفس » و « شرحها شرحين صغيراً وكبيراً » . وله « تأليف في أسباب الغناء » - أي في علم الثروة - و « شرح منظومة الشيخ عبد الغني بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم » « فيا يجب عيناً وفيما يجب على الكفاية » ، وألف « كتاباً في البدع » سجد « تحفة الاخوان في الرد على فقراء الزمان » ، وشرح « منظومة أبي عبد الله الشيخ محمد الصالح الأوجلي في التوحيد » ، ونظم « أصول الطريقة المنسوبة للعارف بالله الشيخ زروق » سجد « هداية المريد الى الطريق المبتغى الحميد » وشرحه رحمه الله تعالى وأمدنا بأسراره .

الشيخ عبد السلام بن عثمان

وفي خامس شوال سنة (١١٣٩) تسع وثلاثين ومائة والـف توفي الناسك العابد ، الورع الزاهد ، العارف بالله تعالى الشيخ عبد السلام بن عثمان . ولد رحمه الله بقريّة « تاجوراء » ونشأ بها وقرأ العلوم على مشايخ عصره وتفقّه بالشيخ (محمد بن مقيّل) وبرع في علم الشريعة وعلوم التصوف . وكان رحمه الله تعالى خيراً ، مرشداً ، هادياً ، داعياً للحق ، ملازماً للطاعة ، حسن الخلق لطيف الطباع ، كريماً ، مأوياً للقريب ، جامعاً للأخلاق الحميدة ، ومن خيار عباد الله الصالحين المتمسكين بالسنة . وله تأليف مفيدة ، منها « تذييل المعيار » و « فتح العلم » تعرض فيه لما في بلد طرابلس من الصالحين ؛ وله « كتابة على المختصر » رحمه الله تعالى . انتهى .

خلافة السلطان الغازي محمود خان الاول

وفي سنة (١١٤٣) ثلاث وأربعين ومائة وألف . كان فراغ السلطان الغازي (احمد خان الثالث) لسبع وعشرين سنة وأحد عشر شهراً من خلافته ، وجلس السلطان الغازي « محمود » خان الأول ، ابن السلطان « مصطفى » ابن السلطان « محمد » (في تاسع عشر ربيع الأول من هذه السنة . فكان حسنة الأيام ، حسام الإسلام ، مشجى لأهل العناد ، مانعاً للبلاد ، رافع علم الجهاد ، باسط الأمان ، قابض كف العدوان ، وكان من أعظم سلاطين آل عثمان عقلاً وهمة وتديباً ، ومن أغرب الاتفاق أن خرج تاريخ جلوسه قوله تعالى (فاعتبروا يا أولي الأبصار) .

الشيخ محمد بن العربي

وفي هذه السنة توفي الفاضل الأديب ، والشهم النجيب الأريب ، الشيخ (محمد بن العربي) بن (محمد) بن (حموده) بن (الصغير) الهاشمي . ولد رحمه الله بطرابلس وبها نشأ وأخذ عن أفاضل عصره . وكان كلفاً بالقراءة ، ثاقب الذهن ، أصيل الحفظ ، جيد الفهم ، عذب الفكاهة ، حلو المجالسة ، وله معرفة جيدة بالأدب ، وخبرة تامة بالشعر والخطب ، ارتحل الى مصر ولقي بها الأفاضل ، وسمع وتفقه في

العلوم من الأصول والفروع ، وشارك في كثير من الفنون . ثم عاد الى
طرابلس وأسمع فاشتهر فضله ، وذاع أرجه ، وقشا خبره ؛ رحمه الله تعالى ،
ومن نظمه يمدح أحمد باشا !!

لك الخير عرج بي على ظل الربع
محط المنى مغنى الكمي المقنع
وكن خالعا نعليك بين دماية
مقدسة تبلغ منك وترفع
هناك المنى والعز حيث تقطعت
تأتمه والمجد منك بسمع
به صادحات الورق تسجع في الضحى
تنادي هذيلاً بين أرواح أجرع
يحاكيتني اذ شط عني وليهم
وقد خلّفوا جمر الغضا بين أضلعي
وبت بليل نابغي كأنتي
ضمنة شرك فرخها وسط بلقع
وأحزان يعقوب تسربلت درعها
وحيك فراشي من سلالة أدمع
وزهر رياض مائس بين جدول
به الماء منساب الى كل ممرع

يحاكي جنى ورد ندي بوجنة
فباء بفضح في صدور ومشرع
فماذا عليهم لو أباحوا اجتناءه
لقلة صبّ مدمن السهد مصرع
وعيناه قد أعماهنا كثرة البكا
فديمثها تهمني على كل مريع
تحاكي نوالاً لاح عن كف « أحمد »
يقسمه ما بين كهل ومرضع
على الغيث شبه من نداه كأنما
يمر يداً فوق الحجاب المرفع
ألا فاعجبوا من أربع وملاعب
سحائب سيب منه ليس بقلع
فلم لا يكون الورد موطىء أرجل
تجاورها من كل شهم سُميدع
أديب ، أريب ، فاضل ، متعفف
نجيب ، حسيب ، عالي القدر ، أروع
أقول لأصحابي عليكم بأحمد
أفاد فيجاد بالحياء المنوع
فكم اضحك المحزون (من نقش اسمه)
وأبكي جرياً بالكاك مولع

أتيت وجيش الهم جر خميه
 فقهر جنباً من حمام مروع
 اليك أبا الامداد حنت مطيتي
 وآمالها سفن وجسمي بموضع
 لها منك حاجات وفيك فطينة
 سكوني بها أولى لكم من توجعي
 متى تعلم الايام والدهر مدتي
 لكم تروعي عني وترثي وتخضع



[رجع] ويتتبع هذه المظفرات اكتسب (أحمد باشا) نفوذاً
 زائداً على أسلافه ودانت له القاصية من جميع أنحاء وأسس (الجامع)
 المعروف به الكائن بقرب « باب المنشية » موضع المسجد الذي بناه
 حضرة سيدنا (عمرو بن العاص) رضي الله عنه حين الفتح . وبنى
 (المدرسة) التي باتصاله وأوقف عليها أوقافاً كثيرة ، وبنى البرج
 المعروف (ببرج المندريك) الكائن في الجهة الغربية من ميناء طرابلس
 على الجزيرات الصغار الممتدة من الساحل الى البحر على طول مئات
 أذرع . واستمر والياً الى أن توفي في السادس عشر من شوال سنة
 (٥٨) ثمان وخمسين .

ولاية محمد باشا

وولي ابنه محمد باشا بفرمان عالي الشأن ، ولم تظهر في خلال مدته

مناقشة داخلية بما مهد له والده . وجدده الأساطيل . وكانت أمراء
الأساطيل أصحاب شجاعة وقدام ، وكانوا يهجمون براكبهم على الأعداء
بسواحل « البحر الأبيض » فيقتلون ويسبون ، فاكتسب بذلك شهرة
وكان من خبره ما يأتي ذكره :

الشيخ سالم بن قنونوا

وفي هذه السنة توفي الاستاذ العلامة ، والخبير الفهامة ، سالم بن
قنونوا . ولد بقرية « يزليتن » ونشأ بها وتفقّه بأفاضل عصره . وكان
رحمه الله من أعيان العلماء ، ومشاهير الفضلاء ، حافظاً ، فريماً ، متقناً
للنحو واللغة ، عارفاً بالحديث وطرقه ، وأسماء رجاله . قال في
التذكار : انه رحل الى مصر ولقي بها الأفاضل وأخذ عنهم ونال علماً
وافراً ثم عاد لبلده وأسس مدرسة بأزاء منزله ، وكان يجلس فيها
ويقريء ، وانتفع به خلق كثير رحمه الله تعالى .



[رجع] وفي سنة (٦٤) أربع وستين تهوّر محمد بارتكاب أمر
لا تؤمن سوابقه وروادفه وهو عقد معاهدة مع دولة الانكليز بلا
استيذان من الباب العالي .

خلافة السلطان عثمان خان الثالث

وفي سنة (١١٦٧) سبع وستين ومائة والف ارتحل (السلطان

« محمود » خان الاول) الى جوار الرحمن ، وشرقه الله بالكرم والرضوان ، لأربع وعشرين سنة من خلافته . وبويع بالخلافة اخوه (السلطان « عثمان » خان الثالث) ابن السلطان « مصطفى » وطلع في أفق الخلافة الكبرى قمراً باهراً ، وبدراً زاهراً .

العارف بالله تعالى الشيخ محمد الماعزي

وفي هذه السنة توفي شيخ السالكين ، وقدوة المحققين ، الأستاذ أبو عبد الله محمد بن مصطفى القول اوغلي الملقب باناعزي امام العارفين . ولد رحمه الله تعالى بطرابلس وبها نشأ وأخذ عن أمائل عصره ، وفحول مصره ، وتفق في العلوم من الاصول والفروع وصار احد الأئمة في القراءات وعلوم القرآن الكريم ومن كبار المحدثين ، والحفاظ الثقات المخلصين . وكان رحمه الله شديد الزهد كثير العبادة ، له كرامات خارقة ومن خيار عباد الله الصالحين . قال في التذكار : انه رحل الى الحرمين ولقي بمكة الاستاذين (بهاء الدين الهندي) و (ابا الحسن السندي) وأخذ عنها وتال علماً وافرأ ثم عاد الى طرابلس ؛ وكان يجلس بزاويته التي بالمنشية لبث العلوم ، وانتفع به خلق كثير رحمه الله ونفعنا بأسراره انتهى . [رجع]

ولاية علي باشا قره مانلي

وفيها أعني سنة سبع وستين توفي (محمد باشا قره مانلي) وولي

ابنه علي باشا ، فسار على قدم أبيه وأقام بضبطها أحسن قيام وكان من خبره ما يأتي ذكره :

خلافة السلطان مصطفى خان الثالث

وفي سنة (١٢٧١) إحدى وسبعين ومائة والف توفي (السلطان « عثمان » خان الثالث) رَوَّحَ الله روحه ، وزاد في الجنة فتوحه ، لنحو أربع سنين من خلافته وبويع بالخلافة بعده (السلطان مصطفى خان الثالث ، ابن أحمد الثالث ، ابن محمد الرابع ، ابن إبراهيم) وظهر في سماء الخلافة بدر هدى ، لمن راح وغدا ، وأخذ في تنظيم ملكه وتقوية ما وهن منه .

[رجع] وفي سنة (٧٧) سبع وسبعين عقد علي باشا معاهدة مع (جمهورية البلنسيان) ثم في سنة (٧٩) تسع وسبعين غنمت عسكر اليكيجورية سفينتين من سفن تجار الجمهورية فطلب قنصلها استردادها من علي باشا ولم يتيسر له لاصرار العساكر وضعف نفوذه فيهم فاتفق أن أحد ضباط طرابلس البحرية قدم بأسطوله الى أحد مراسي البلنسيان غازیاً فبرز اليه أسطولها وتواقعوا فقتل الضابط وبعض الطائفة وأسر الأسطول ، فلما سمعت العساكر لاذوا بالانقياد وانعقد الصلح بين الحكومتين وجرت معاهدة ثانية .

الاستاذ أبو عبد الله محمد النعاس

وفي هذه السنة توفي الأستاذ العلامة ، والحجة الفهامة ، طيب
الأنفاس . أبو عبد الله الشيخ محمد بن عبد الحفيظ النعاس . ولد رحمه
الله بقرية تاجوراء ونشأ بها على الاستقامة والصلاح والاهتداء . وطلب
العلم وحضر مجالس العلم والعرفان وتلمذ للأستاذ (أبي عبد الله
محمد بن يحيى) كما قرأ على (الشيخ عبد السلام بن عثمان) وجماعة من
أفاضل عصره . وقد برع في العلوم الشرعية ونال حظاً وافراً من
علوم التصوف والأسرار الإلهية ، وكان من كبار الفقهاء المحدثين ،
ومن الحفاظ الثقات الأتقياء ، وعباد الله الورعين الصالحين ،
وكان يجلس بالمدرسة التاجورية ، لبث العلوم الشرعية ، وانتفع به خلق
كثير . انتهى .

خلافة السلطان الغازي عبد الحميد خان الأول

وفي سنة (١١٨٧) سبع وثمانين ومائة وألف توفي (السلطان
« مصطفى » خان الثالث) لست عشرة سنة من خلافته . وبويع
بالخلافة بعده أخوه السلطان الغازي (عبد الحميد) خان الأول (ابن
السلطان أحمد خان ثالث) ابن السلطان (محمد الرابع) ابن
(إبراهيم) وطلع في أفق الخلافة بدرأً تماً ، وضدع بأنواع الفخار

فجلا ظلماً وظلماً ، وكان أخوه السلطان (مصطفى) خان الثالث قد ترك له نهاية الحرب الجسيمة مع الروسية فأمره باتخاذ الجيوش وتكثيرها فنال بالجد والحق مناه ، وجدد سناه .

خلافة السلطان الغازي سليم خان الثالث

وفي سنة (١٢٠٣) ثلاث ومائتين والـف ارتحل (السلطان عبد الحميد خان الأول) لجوار الرحمن ، أدخله الله تعالى الى الجنان ، وشرفه بالكرامة والرضوان ، لست عشرة سنة من خلافته . وبويع بالخلافة السلطان الغازي (سليم خان الثالث) ابن « مصطفى » الثالث ابن « أحمد » الرابع ابن « ابراهيم » . وظهر شمساً في سماء الخلافة فقسم المجد بشيمته ، وجذب العلى بهيمته . وبعد جلوسه وجه همته الى اصلاح العساكر وتقوية العمارة البحرية ، وأمر يجمع الجيوش المجتمعة قبل ذلك ، فاجتمع في وقت قريب نحو مائة وخمسين ألف مقاتل وكان اجتماعهم في مدينة « صوفية » .



[رجع] وفي أواخر ولاية (علي باشا) ساءت حالته وانحلت عرى الايالة وأهمل التنسيقات العسكرية والتنظييات السائرة ، ونقل عليه اعطاء مرتبات العساكر وعجز عن القيام ببهام الأمور ، فتتابع فرار العساكر ، وخلا الجو للأندال حتى صار النهب والغصب بالسبل والأسواق علنا من غير مبالاة ، وكثر الهرج والمرج فانتدب بعض

الأعيان والأمراء للمفاوضة فيما ألم بهم من الاضمحلال وسوء الحال . فأجمعوا على عرض ما نزل بهم على أعتاب الخلافة واستعداد المراحل بالالتفات اليهم ، فلما سمع بذلك (يوسف بك) اسفر أولاد علي باشا توقع عزل والده وقدم والٍ آخر من دار الخلافة فصمم على اتخاذ الوسائل الموصلة « بزعمه » لأخذ زمام الولاية بيده . وكان وقتئذ (الشيخ خليفة بن عون المحمودي) شيخ قبيلة (بني نوير) صاحب نفوذ ، فكتب إليه بمحضر والده عن القيام بأعباء الولاية لطعنه في السن ، وأنه يخشى على البلاد من بعض الأيادي الأجنبية ، واستمده على ولايته فاجابه بالموافقة وأنه مستعد لمظهرته عند سنوح الفرصة . فتقوى طمع يوسف بك وهجم ذات يوم على أخيه (حسن بك) وكان جالسا مع والدته ، فلما شعرت به أخذت في ممانعته وصرخت ، فوثب عليها وقطع يديها وقتل أخاه حسنا .

وفي ثالث عشر ذي القعدة سنة (١٢٠٧) سبع ومائتين والف قدم الشيخ (خليفة بن عون) الى طرابلس في جموعه من عربان الضواحي وانضم اليهم أهالي « المنشية » و « الساحل » ، وأجمعوا على تولية (يوسف بك) ، وحاصروا البلد . فأنحجر (علي باشا) في المدينة ثمانية وثلاثين يوماً والحرب قائمة على ساقيها ، وخرج الكثير من أهلها فراراً من الفتن وعواقبها .

ولما تحقق (علي باشا برغل) الجزيري ضعف الایالة وما ألم بها واختلاف أمراءها وثب عليها ، وكان ذا رتبة بالجزائر ، وخرج منها بذخائره وأمواله في البحر فأتى دار الخلافة العليا فوجد أخاه كاهية لقبودان باشا ، فتوسل به وأخبر الدولة بحال طرابلس من خروج

أهلها واختلاف ولايتها والفن المفضية الى سفك الدماء ، وطلب أن يكتب له عهد بولايتها ويتوجه لاستنقاذها ولا يكلف الدولة مالا ولا عسكرياً ، فحصل الفضل بولايته عليها .

ولاية علي باشا برغل الجزيري

ولما حصل على عهد الولاية جمع عسكرياً من المطوعة أكثرهم أرناؤوط ، واكثرى تسعة مراكب فحملهم وجهزهم بما يلزم من الأقوات والسلاح ، وقصد بهم مدينة طرابلس ، وكان وصوله اليها في احدى وعشرين ذي الحجة من هذه السنة على حين غفلة ، وأخبر الناس وهم في خناق الحصار ان بيده فرماناً سلطانياً بولايته عليها والمدد العثماني وراءه ... فحصلت دهشة وحيرة الفريقين ، فرفع الحصار وفتحت أبواب البلاد ودخل يوسف بك ورؤساء جموعه وعقد مجلساً عمومياً من العلماء والأعيان بدائرة الحكومة للمفاوضة .

ثم اتفق رأي العموم بتمكين البلاد لعلي باشا برغل لأن عدم قبوله عين الخروج من طاعة أمير المؤمنين ونقض لبيعته ، وذلك شقاق وشقاوة في الدارين والعياذ بالله تعالى ، مع أن دفع هذه الأساطيل ليس بسهل ، وعلى فرض محوهم وازالتهم ، فلا يؤمن بأس السلطنة السنية .

ثم أفرجوا له ورأوه من الفرج بعد الشدة فتمكن (علي باشا برغل) من المدينة وقلاعها وأنزل آلاته وذخائره ، وخرج (علي باشا قره مانلي) فاراً بنفسه الى تونس مؤملاً من واليها يومئذ (حمودة

باشا (المعونة ، لأن بينه وبين والي الجزائر أخ علي باشا برغل المشار إليه عداوة ، فلربما تحدث أمور تكون سبباً لنيل مراده بسهولة ، كما قيل « مصائب قوم عند قوم فوائد » . ولحق به ابنه (علي بك) و (يوسف بك) بتونس .

وكان (حمودة باشا) لما بلغه وصول (علي باشا قره مانلي) أركب أعياناً من رجال الحكومة لاستقباله . ولما وصل عظم مقدمه وأكرم نزله وأسكنه « العبدلية الكبرى » بالمرسى ، وأجرى له ما يناسب مقامه وبالغ في اكرامه وأكرم ابنه وأتباعهم بما ينبغي لمعزير قوم ...

وقد كان الوزير (مصطفى خوجه باشا) أشار على الباي لما ظهر دخان الفتنة بين آل قره مانلي ان يرسل جنداً لإطفائها قبل تطاير شررها الى أطراف المملكة التونسية فلم يفعل ، لأن همه اذ ذاك الجزائر .

ولما استولى (علي باشا برغل) على طرابلس ودانت له القاصية وجبى البلاد وصفا له جوها من أولاد قره مانلي ، تحدث مع رجاله في الاستيلاء على مملكة تونس ووزع أعمالها بينهم . ومنهم (قره محمد التركي) وعده بولاية « جربه » فقال له : « ان هذه الجزيرة ذات خصب وثروة عظيمة ، وكانت من أعمال طرابلس واغتصبها والي تونس من سوء ادارة أسلافه ، فالبدار للفرصة !.. هذه الجزيرة قريبة منا وعسكرنا حاضر مستعد للقتال » .

فوجهه بألف مقاتل من الجند في سبعة مراكز بلا استئذان من

الباب العالي ، فوصلها خامس ربيع الأول سنة (٢٠٩) تسع ومائتين ، فأرست تلك السفن بها قريباً من « برج اغيرس » من « مرسى الرملة » . ونزلوا للبر ليلاً فتلقاهم من واطأهم من أهلها ومنهم (خطيفة العامل) ، وكانت ليلة مظلمة ، وهجموا على الجزيرة صباحاً ففر عاملها (حميدة ابن قاسم بن عياد) بعد أن وضع حرمه في زاوية الشيخ أبي زيد ، وأتوا منزل القائد فنهبوا سائر ما فيه وقتل بعض خدامه ، ثم نادى (قره محمد) في الناس بالأمان وفتح مكتوباً زعم أنه من مقر الخلافة والله أعلم بما فيه ...

ثم أن العامل (حميدة بن عياد) خرج من البرج الى الساحل في حيرة فأتاح له القدر سفينة من سفنه خرجت للغزو فلجأ اليها في زورق وأتى « صفاقس » ، فتلقاه عاملها (محمود بن بكار الخلوي) وطير الخبر الى الباي فأتاه به الوزير (مصطفى خوجه) وقال له : « كيف ترى اضاعة الحزم ؟ ان « جربة » اخذها (علي باشا برغل) وعامله (قاره محمد) فيها الآن وعاملك نجا بنفسه لصفاقس » .

فجمع أرباب شورته بمسجد بيت الباشا وأخبرهم الخبر ، ولم يقع اتفاق على رأي . ومن الغد جمعهم بالمسجد صباحاً فقال له الوزير (يوسف صاحب الطابع) « ان اضعنا الحزم في اول الأمر ، فلا نضيعه الآن !.. وقد كان توقعنا في اتحاد (علي باشا قره مانلي) لما أتى تونس انما هو الأدب مع السلطة العلية ، على ان ما يدعيه (علي باشا برغل) من فرمان غير محقق عندنا لاننا لم نره ولا سمعنا بخبره من يوثق به ؛ ويحتمل انه نائر !! ولما تعدى واستولى على قطعة من

بلادنا ... وجب علينا المبادرة بإرسال محلة لطرابلس وإرسال عسكري
في البحر لافتكاك تجربة من يد قاره محمد !! »

واتفق الرأي على ذلك واستشار الباي في هذا الامر أبا عبد الله
(محمد بريم الأول) فأشار عليه بأن « هذا أمر سياسي !. أنفع الأشياء
فيه استعانتك بأهل الرأي ورؤوس الجنود والأكابر ، اما العلماء ؟؟ .
فإنك لا تجد عندهم فائدة لك ، ولا تأمل منهم فتوى ... تعتمد عليها في
الحرب بين المسلمين . وبيعة السلطان منعقدة بعنقك وأعناقنا !! . واذ
توافق العلماء في الفتوى وشاع ذلك ... ربما يكون ذلك سبباً في
الوهن ... » وكان استشاره في ذلك مشاقفة بحضرة الوزير يوسف
صاحب الطابع فاستحسن رأيه ، ولما خرج قال للوزير : إنه نصحي .

ولما عزم بعد الاستشارة أمر بإحضار المحلة وتعمير المراكب وعزم
على السفر بنفسه فعارضه (يوسف صاحب الطابع) بأن « الجيش
معرض للنصر وصدده ... فإذا انهزم الجيش وأنت أميره انهزمت
المملكة ، بخلاف أمير من امرائك وانت في قاعدة مملكتك !.. »
فقال : من يقوم مقامى والحالة هذه ؟ فقال له : هذا الأعرج القادم !
وكان الوزير (مصطفى خوج) قادماً متوكياً على عصا لنقرس كان
به . ولما وصل اليها قال له الباي « يا أباي !! ان يوسف أشار علي
بسفرك في المحلة لطرابلس على ما بك من مرض » فقال له : إني
حاضر لكل ما تريد ولو أكون على محفة ، والموت بالأجل وان
حضر !! فلا اشرف من الموت عندي في خدمتك .

ثم جمع رجال مملكته واستشارهم في سفره بنفسه فأجابوه على

لسان واحد « بأن خروجك من الوطن لا سبيل إليه !!! » فقال لهم « من يكفي هذا المهم ؟ » فقالوا له : « الوزير (مصطفى خوجه) وان عاقبه المرض فكلية المحال » فقال لهم الوزير « وان ما بي من المرض المعاصر لا يمنعني !! . » نوقس الاتفاق على سفره وان يخرج مطلق التصرف وهو من الحزم في الحرب ، لأن توقفه على المشورة ربما تقوت به الفرصة .

وفي الثاني والعشرين من ربيع الاول سنة (٢٠٩) تسع ومائتين خرجت (محلة زواوه) ومعها بعض (عروش) وأميرها ابو الحسن (علي اللوح) باش حاذبه مقدمة حملة الوزير وفيها (يوسف بك) ابن علي باشا قره مانلي .

ثم خرجت محلة الوزير مصطفى خوجه يوم الاحد الثامن من ربيع الثاني من السنة بصناجق الباي ، والنوبة ، وشاوش السلام ، وبها عسكر الترك ، والمدافع ، والمخازنية وسائر المزارقية والفرسان ، من عروش الأعراض !! بعد ان زاد الباي في مرتب الجند !.. وأفاض العطاء في الناس . وعين عشرة آلاف بعير لحمل الاقوات ، والعلقة ، والآلات ، غادية رايحة بين تونس وطرابلس دون ما بعثه من الذخائر في البحر لصفاقس وقابس . وسار الوزير بالحملة ومعه (احمد بك) ابن علي باشا قره مانلي وأراح الجند في المنازل الطيبة بحيث لم يسمهم ضجر ولا ملل .

فوصل طرابلس يوم الجمعة الخامس والعشرين من جمادى الثانية . ولم تزل اعيان القبائل من طرابلس يتعرضون بهداياهم لأبناء قره مانلي ،

وكلما أتى وفد منهم أكرمه الوزير وكساه وشكره على حسن الوفاء
الاقبيلة تسمى « الجراجرة » طلب يوسف بك من الوزير الاغارة
عليهم لعنادهم وتأخرهم عن الطاعة ؛ فجرد عليهم الوزير أربعة آلاف
فارس أمر عليهم الكاهية (احمد بالضياف) فهزمهم وأتبع أثرهم وخضد
شوكتهم وقتل الكاهية في حرمهم .

ولما وصلت الحملة الى طرابلس كما تقدم ، وانتظر الوزير قدوم
أهل المنشية لظنه انهم من حزب يوسف بك قرره مانلي فلم يقدم
احد ، عبا لهم جيشا من جند الترك المخازنية و (أوجاق الكاف)
وقبيلة (المثاليث) وأصحبهم المدافع . فهجموا عليها وصابروا القتال ،
فأخذوها يوم الاحد السابع والعشرين من جادى الثانية ، وغلکوا
حصونها وأتراسها ونهبوها .

ووجه بقية العسكر في اليوم لقتال المدينة فدافع أهلها بما في
قلاعها من المدافع ، ومات كثير من عسكر تونس . وفي يوم الاثنين
عبي الجند لقتالها ايضا فوجد أبوابها مغلقة وأهلها على الأسوار
مستأمنين ، وأخبروا بفرار (علي باشا برغل) وقد بلغ الوزير في
الليل خبر هروبه في البحر ، وأبوا من فتح الأبواب الا اذا أتاهم
الوزير بنفسه وكلموه . فاتاهم فطلبوا منه الامان فأمنهم ، وطلبوا منه
منع العساكر من دخول المدينة للنهب ، فأجابهم لذلك ، ووعدهم
بالجميل ووفى ولان لهم في الخطاب .

ففتحوا الأبواب ودخل الوزير بالأخوين ، احمد ويوسف ونزل
بقصر الامارة فأتاه النذير بأن علي باشا برغل وضع فتيلاً طويلاً

قرب خزانة البارود ، ولم تزل النار سارية فيه . فأمر بإزالته في الحين
وشكر الله على لطفه بعباده .

ولاية أحمد بك قره مانلي

ثم أحضر العلماء وأعيان الجند ووجوه البلاد وولى أحمد بك قره
مانلي والياً على طرابلس ، ثم أحضر أخاه يوسف بك وعقد له على
العربان والخروج بالمحال ، وأعلنت المدافع بالسرور ورجع الوزير
محلته ، وصار العسكر التونسي حارساً للبلاد وأهلها لا يدخل أحد الا
لصلاة أو قضاء وطر بغير سلاح . وطير بجبر النصر الى الباي فوصله
يوم الأربعاء سابع رجب سنة (١٢٠٩) تسع ومائتين وألف . وأما
(علي باشا برغل) فانه نجا لأرض الحجاز ومات بها .

ولما رأى أهل طرابلس انكفاف أيدي العسكر التونسي عن النهب
أهدوا لهم مائة ألف محبوب تحمل بها أغنيائهم . ولما وصلت للوزير
وزعها في العسكر وأعطاهم أربعين ألف محبوب من عنده .

ولما تمهد الوطن الأولاد قره مانلي واستقام أهله على جادة الطاعة
وانسدل ستر العافية والأمان ، لوى الوزير مصطفى خوجه عنان الأوبة
الى تونس ، وشيعه يوم رحيله أحمد ويوسف بك المومى اليها وأعيان
طرابلس .

وكان وصوله الى تونس يوم الخميس الحادي والعشرين شعبان من
السنة المذكورة في موكب حافل ويوم مشهود ، وتلقته الأعيان ورجال

المملكة ، وقابله الباي في المحكمة ، ولما قبل يده وقف في موقف وزارته وأقبلت وفود التهنية عليه .

وبعد ذلك طلب (علي باشا قره مانلي) الرجوع الى وطنه وأولاده فجهزه وهاداه ، وأركبه البحر في مركب حربي ببقية بنيه وآله ، وأركب الأعيان لمشايعته ، فوصل لطرابلس آمنا مسرورا . هذا ما كان من خبر طرابلس .

وأما خبر جربة فلما تم تجهيز الأسطول التونسي خرج من حلق الواد بأربعين مركباً ما بين حربية وحمولة للعسكر والآلات وأميره (الحاج علي الجزيري) في أربعة آلاف مقاتل انتخبهم الباي من أبطال الجنود . وكان سفرهم في الرابع عشر من ربيع الثاني من هذه السنة ، ووصل جربة في الخامس والعشرين من الشهر . واتفق أن وصل لجربة مركبتان أحدهما للحجاج والآخر بالسلع لتونس ، ولا علم لهما بأن جربة في تصرف (قاره محمد) عامل (علي باشا برغل) فجعل عليها عسة لأخذ ما فيها فخلصها الأسطول التونسي وأرسلها لصفاقس قبل ابتداء الحرب . ونزل (الحاج علي) بعسكره الى البر ، وبنى الأتراس للمدافع والبونة ، وتترس (قاره محمد) أيضاً ونشبت الحرب بينهما نهاراً واحداً زال زواله بزوال عسكر قاره محمد . فانهزم وفر هارباً الى الساحل القبلي فوجد في مرساه مراكب مشحونة بالمدد من الميرة والعدة بعث بها (علي باشا برغل) من طرابلس ، فركبها فاراً بنفسه الى طرابلس .

واستولى (الحاج علي الجزيري) على « جربة » تاسع جمادى

الأولى من هذه السنة وأرسل بخبر النصر الى (الباي) وبعث له اربعائة جندي طرابلسي من عسكر طرابلس أخذهم أسرى ، فقابلهم الباي بجزيل الانعام وأثبتهم في ديوان جنده وترقى بعضهم الى منصب الطاي وغيره من المناصب .

ولما استقر (الحاج علي) بحرية وعلم مواطاة بعض أهلها لقاره محمد ، أمر العساكر بنهب سوقها وزواياها حتى « زاوية سيدي ابراهيم الجمي » رضي الله عنه ، وشدد على أهلها . وبعد أيام أتى العامل (حميدة بن عياد) ومعه جموعه من فرسان الاعراض وعلى مقدمته مولاة (احمد كورجي) فوجد البلاد بيد (الحاج علي الجزيري) فصرح من معه وبقي بحرية والتصرف للحاج علي .

ولما وفد أهل جربة على الباي عاتبهم عن تسليم بلادهم فاعتذروا بأن الأمر كان فجأة ومنازلهم متفرقة وشكوه جور العامل فعفا عنهم كما هو الواجب بعد القدرة وغض الطرف وتجاهل سياسة مع علمه بأعيان من أعان (قرد محمد) وعزل العامل وولى عوضه (مصطفى بن حسن الكبير) ، وعسف العمال إنذار بخروج الأعمال .

ولما استقر أولاد قره مانلي بولاية طرابلس وانتزعت جربة من يد المنتزي عليها وكثرت الأراجيف بالأخبار عن الدولة العلية جمع الباي وزرائه وأعيان البلاد وقال لهم : « أمير المؤمنين » (السلطان سليم خان) أنكر عدم الارسال من تونس لتهنئته بالخلافة على العادة ، مع محاربتنا لعلي باشا برغل واخراجه من طرابلس ، والظن أن فعله لا يصدر الا عن الاذن من الدولة ، ولربما ترى الدولة ، فعلنا هذا عصيانا

وخروجاً من الطاعة ، ولا طاقة لنا بعواقب ذلك ، إذ لا حامي لنا
غير الدولة العثمانية ، صانها رب البرية ، فالرأي أن نبعث من يهنيء
ويعتذر « ، فوافقوه .

ثم تكلموا فيمن يستكفى به في هذا الأمر المهم فقال له الوزير
(مصطفى خوجه) هذا هو المستكفى به ولا نجد غيره وأشار الى
(يوسف صاحب الطابع) وواقفه كل من حضر . فقال صاحب
الطابع : لا أرى نفسي أهلاً لذلك ، وحيث ارتضيتُموني ، فأرجو الله
أن أكون كما ظننتم ، ولكن أطلب أن توسعوا في الهدية ليكون عظم
المقدار معيناً على الاعتذار . فأجيب لذلك وشرع الباي في احضار
الهدية وتوسع فيها بما اقتضته مذاهب الحضارة من الأسلحة المذهبة
والتحف المرصعة بأنواع اليواقيت والجواهر .

وسافر (يوسف صاحب الطابع) في ذي القعدة من السنة
المذكورة وقدم (دار الخلافة) وتلقته الدولة بصنوف احسانها وجزيل
اكرامها على عاديها ، وقبلت الهدية ووقعت موقعاً حسناً ورأى حاملها
في خزائن الدولة ما بهر عقله وأخجله عن استعظام هديته ؛ وأنزلته
الدولة العلية بدار حسنة في جهة قريبة من (سراي بروني) وقبودان
باشا يومئذ (حسين باشا) . ولما فتح باب الخطاب ، قال له قبودان
باشا المشار اليه : « ألم تعلموا أن أولاد قره مانلي أثارت أغراضهم نيران
الفتن بايالة طرابلس ؟ .. وأهلكوا الحرث والنسل ! .. حتى فر الكثير
من أهلها ؟ .. ولينكم إذ أخرجتم (علي باشا برغل) جعلتم فيها
أمير جيشكم حتى لا تكونوا أزلتم فساداً بفساد ؟؟ ... » وطول
الملام في هذا الصدد ؛ فقال له صاحب الطابع ، « ملامكم مسموع

ومقبول!! ونطلب من المرحم والفضل العقو والصفح والرضا... »
ثم بين أعذاراً طويلة أعرضنا عن شرحها ، والتمس منه عرض الفاظ
للحضرة العلية السلطانية . وكان قبودان باشا اذ ذلك هو الذي يتولى
مباشرة رسل الاوجاق .

وبعد أيام قال له « بينت أعذارك على أمير المؤمنين وهو يقول
لك : عفا الله عما سلف!!.. و (حموده باشا) لم يكن عندنا بموضع
تهمة » ، فعند ذلك طلب من الدولة القرماني السلطاني وشعار الولاية
لأحمد بك قره مانلي وأخيه يوسف ، فوقعنا الاجابة من غير توقف .

ولما حضر ذلك ، توجه به رسول الدولة ، الى طرابلس وعند
وصوله تلقته الأمراء والأعيان ، وجميع عوكتها مشهوداً بالعلماء وكبراء
المساكر ووجوه البلاد وغيرهم . وقرأ عليهم (القرماني العلي الثاني)
وأطلقت مدافع السرور وصار إجراء مراسم التبريك .

ثم في أواسط شعبان سنة (٢١٠) عشر ومائتين خرج أحمد بك
لناحية تاجوراء للخلاعة وزيارة الأولياء فيها على الرسم المعتاد فانتفضت
عليه الأهالي بإغراء أخيه يوسف ، ففر الى مسراة ومنها الى مالطة
لسنة وشهرين من ولايته .

ولاية يوسف باشا قره مانلي

واتفقوا على ولاية يوسف بك وقدّموا بذلك استرحاماً لدار
الخلافة بواسطة حموده باشا والي تونس .

وفي سنة (٢١١) إحدى عشرة ومائتين ورد (فرمان عالي الشأن) بتقليده الولاية فاحتفل بقراءته وأطلقت مدافع السرور ووقدت وفود التهنائي .

ثم تثبت بوضع الاستحكامات ، وغزا الاعداء بالأساطيل الموجودة غزوات عديدة ، وأنشأ أبراجاً جديدة في بعض المواقع من سور طرابلس وفي عدة نقاط خارج البلد ، وبنى حائط السور الممتد من قرب الحكومة من جهة البحر الى دائرة الكمرك وثلاثة عشر أسطولاً حربية بأموال الغنائم .

الشيخ الكاتب مصطفى المصري

وفي سنة (١٢١٣) ثلاث عشرة ومائتين وألف توفي اللوزعي الأريب ، ذو الذكاء العجيب ، والأدب الظاهر ، والحفظ الباهر ، والفتنة النقادة ، والقرينة المنقادة ، الشيخ (الكاتب مصطفى) بن (قاسم) المصري .

ولد رحمه الله تعالى بطرابلس وبها نشأ وقرأ العلوم على أساتيد عصره ، وأعلام مصره ، منهم (الشيخ محمد بن عبد الرحمن الكانوي البرناوي) و (الأستاذ محمد بن سالم الفطيسي) والعلامة (عبد السلام ابن محمد بن ناصر) ونال علماً وافرأ .

ثم استخلصه (علي باشا قره مانلي) لخدمته واتخذة مستشاراً وكبير الكتاب ونال لديه حظاً تاماً في الظهور وحسنت سيرته . وله

تأليف منها « كتاب المسائل المهمة » والفوائد الجمة ، فيما يطلبه المرء لما أهمه « وأسس (المسجد) الكائن بداخل الشجر بقرب سورہ الشرقى و (الكتاب) و (المدرسة) المتصلين به و (خزانة كتب قيمة) وأوقف على ذلك أوقافاً جمة رحمه تعالى .



[رجع] وفي هذه السنة كلف (يوسف باشا) دولة الاسويج بدفع مائة ألف فرنك عطية وثمانية آلاف فرنك سنوية فرفض قنصلها هذا الاقتراح فارسل يوسف باشا الأساطيل لمهاجمتها ، وبث السرايا على سواحلها والقبض على مراكب رعاياها التجارية فغنموا (سبعة سفائن تجارية) فالتجأ السويج الى نابليون بونابارت (وهو وقتئذ بمصر .

وفي سنة (٢١٣) ثلاث عشرة ومائتين وألف انعقد الصلح بواسطة مندوب (بونه بارت) على أن تدفع السويج ثمانين ألف فرنك غرامة ، وثمانية آلاف فرنك سنوية . وترك تلك السفائن الى الحكومة المحلية وتعاد أسارى الاسويج (١) .

(١) قال متصفحه : (السويج) أمة من أمم النصرانية . يقال لهم بلسات العرب (السويد) بالدال المهملة .

وعليه قولي :

بالمزح قال الندامي ارطن لنا ؟ .. بالسويدي
فقلت : واطول شوقى الى مدام دريدي

والريد في لغتهم القديمة الملك . و (الدال) المضمومة علامة الاضافة عندم . والكلام فيه تورية شائقة 1؟ انتهى .

ثم طلب قنصل الأمريكان من يوسف باشا المعاهدة معه مثل معاهدة السويدج لأن أساطيل طرابلس الحربية كانوا يقبضون على مراكبهم التجارية ويربطون عليهم البحر ويفتكون بهم . فكلفه بإعطاء مبلغ جسيم ، فطلب القنصل تخفيفه بواسطة حسن باشا والي الجزائر ، فرفض يوسف باشا مداخلته وأصر على طلبه وحمل حرصه على الخوف واستأنف غزوهم والفتك بهم فأئذن وغنم .

ثم في سنة (١٢١٧) سبع عشرة ومائتين وألف قدمت عدة أساطيل أمريكانية لمرسى طرابلس وحاصروا البلد ورموها بالمدافع وتواقعوا وامتد ضرام الطعن والضرب نحو عشرين يوماً ثم تسقط أسطول منهم وأخذ غنيمة وقفل بقية الأساطيل الى مالطة .

وفي سنة (١٨) ثلثي عشرة انتقضت أهالي غريان فصرح اليهم يوسف باشا جيشاً تحت قيادة (الحاج أحمد آغا الخازندار) فأئذن فيهم وقتل رأس الفساد (الشيخ عبد الوافي) وسامهم سوء النكال حتى استقاموا على الطاعة ، فنجى اموالهم وأغرهم بمبالغ جسيمة .

ثم ان الامريكانيين لاذوا ببث الدسائس ، وأظهروا لأحمد بك قره مانلي والي طرابلس السابق بأنهم قادمون لتجديده ، فأخذوه من جزيرة مالطة الى اسطولهم وقدموا به بلد « درنه » فاهتزت السكنة لقدمهم واحتفلوا للقائه وانقاد اليه من كان بتلك الضواحي من القبائل وقدموا اليه الهدايا . فقوي أمل احمد بك في الاستيلاء على طرابلس وأعلن بولايته ، فاستحوذ على يوسف باشا الخوف وارسل ابنة محمد بك في قليل من العساكر الى بنغازي بتعليقات مخصوصة ، واتخذ الوسائل

لإقناع الأمريكانين ومصالحتهم .

ثم في سنة (٢٠) عشرين انعقد الصلح معهم بواسطة والي الجزائر (حسن باشا) و (وارنقطنون) قنصل الانكليز وحررت المعاهدة .

ثم ان الأمريكانين أغفلوا (احمد بك) واخذوه الى اسطولهم وبلغوه الى الديار المصرية وفق تعهدهم .

ثم ان محمد بك قره مانلي توجه من بنغازي وقدم درنه فوفدت عليه عموم الأهالي وأتوه بالطاعة وانسدلت الأمانة .

وفي سنة (٢٢١) احدى وعشرين ومائتين تجاسر (الشيخ احمد سيف النصر) بما يوجب اخلال العهد وتكدير صفو الراحة ، وتعرض لسفن بعض تجار أجانب كانت بسواحل سرت فأرسل اليه يوسف باشا ابنه (محمد بك) في العساكر فزحف اليه (الشيخ أحمد) في جموعه من العربان ، وتحاربوا محاربة شديدة هلك فيها الشيخ أحمد سيف النصر والكثير من قومه ، وتشتت جموعه وقبض على ابنه (عبد الجليل) وكان اذ ذاك لم يبلغ الرشد وانقاد لمحمد بك من كان بتلك الضواحي من العربان وتمهدت العاقبة .

وفي هذه السنة انتقضت أهالي غدامس وامتنعوا من اعطاء الجباية وكان من امرهم ما يأتي ذكره :

خلافة السلطان مصطفى خان الرابع

وفي احدى وعشرين ربيع الاول سنة (١٣٢٢) اثنتين وعشرين

ومائتين وألف صار فراغ السلطان الغازي (سليم خان الثالث) بن (السلطان مصطفى خان الثالث) لتأني عشرة سنة وثمانية أشهر من خلافته . وبويع بالخلافة السلطان (مصطفى خان الرابع ابن السلطان الغازي عبد الحميد خان الأول) وورث الخلافة كابراً عن كابر ، وتزينت باسمه صدور المنابر .

ثم في الرابع من جهادى الأولى سنة (١٢٢٣) ثلاث وعشرين ومائتين وألف صار فراغه لسنة وشهرين من خلافته ، وفي ليلة القدر من هذه السنة ارتحل الى دار البقاء شهيداً ، روح الله روحه ، ونور ضريحه .

خلافة السلطان الغازي محمود خان الثاني

وجلس السلطان الغازي (محمود خان الثاني ابن السلطان « عبد الحميد » خان الأول) على سرير الخلافة السنية . وكان من أعظم الخلفاء وأقوامهم اقداًماً ، واجتهاداً ، وأكثرهم توكلأً على الله واعتماداً ، وهو الذي فك نظام « اليكيجرية » ، وأسس العساكر النظامية ، ومهد المسالك ، وأمن السالك ، وبسط الأمان ، وقبض أكف العدوان ، وحصلت الأمنية .

الخبر عن ابتداء اختراع العساكر اليكيجيرية

كانت اكثر العساكر على عهد السلطان (عثمان خان) طاب ثراه : من فرسان « التركمان » ولم يكن لهم معرفة بالضبط والربط العسكري ولا انتظام في حال القتال فأشار (خليل باشا) على أمير المؤمنين (السلطان أورخان) في سنة (٧٦٣) ثلاث وستين وسبعائة بتأسيس (أوجاق اليكيجيرية) بأن يأخذ خمس الأسارى من الغنائم ويرتبهم عسكرياً على هذا الأسلوب .

فاستصوب (السلطان أورخان) رأيه وكان يومئذ الجهاد في بلاد الروم متتابعاً ! فكانت تسبى الأسرى وتأتيه كالسيل الهامي ، والبحر الطامي ، فاجتمع منهم بالآستان طائفة كثيرة فأمر بتعليمهم على الرمي بالبنادق .

ثم ميزهم وأرسلهم الى خدمة الشيخ العارف بالله تعالى (الحاج بكتاش) ليعلمهم بعلامة ويسميههم باسم ويدعو لهم بالخير والظفر .

فلما اجتمعوا عند الشيخ قطع كم قبائه وكان من لبد فألبسه رأس رئيسهم ودعا لهم بالبركة وسامهم (يكيجيري) ومعناه العسكر الجديد . ثم صار تمام انتظامه على يد ابنه (السلطان مراد خان) واستمر اوجاق اليكيجيرية الى زمن (السلطان محمود خان) طاب ثراه حتى أزالهم سنة (١٢٤١) إحدى وأربعين ومائتين والـف وأحدث النظام الموجود الآن . [رجع] .

وفي سنة (٢٢٥) خمس وعشرين ومائتين أرسل يوسف باشا ابنه (علي بك) في العساكر الى « غدامس » فقدمها وحاصرها ثلاثة أيام ، ثم أتاه علماء البلد والأعيان بالطاعة والانقياد واستوفى ما تراكم لديهم من الجباية وأغرهم عشرين ألف مثقال من الذهب العين وعشرين ألف محبوب ، وولى عليهم عاملاً ورجع .

ثم في سنة (١٢٢٧) سبع وعشرين ومائتين وألف تردد قنصل السويد في إعطاء السنوية ففسخ يوسف باشا المعاهدة معه وجاهر بالحرب ، فندم القنصل ولاذ بطلب السلم فاقترح عليه يوسف أن يدفع ستمائة ألف فرنك وان لا يؤخر السنوية عن ازميتها المينة .

وفي اثناء هذه المخاضات عزل القنصل وبعث ليوسف باشا من هذه الحكومة هدايا ثينة وخمسة وسبعين ألف فرنك لبقاء الصلح وحصل الوفاق .

وفي هذه السنة تسامح (الشيخ محمد الشريف) عامل « لواء فزان » عن ارسال الخراج ولولع بالغناء وانهمك في اللذات ومعاشرة المضحكين والصفاعين ، واهمل الضبط والربط فغضب يوسف باشا لذلك ، ووجه له القائد (محمد المكني) في العساكر وقدم « مرزق » وعسكر بخارجها موريا باراحة العساكر والسفر الى بلد « برنو » وخدع بذلك عن قصده فقدم اليه (ابن أخ العامل) وأوضح اليه ما ألم بالاهالي من الضرر وسوء الحال من تصرف عمه ، فأغراه على قتله ووعدته بأن يولييه مكانه فاشترأب لذلك ووثب على عمه وقتله وأخبر القائد ، فدخل البلد بعسكره وتبوأها من غير ممانع

وحل قصر الحكومة وجميع العلماء والأعيان ، ثم أحضر بن أخ العامل واعترف لديهم بقتل عمه فثقموا عليه والتمسوا من القائد معاقبته وجعله مثلاً للسامع وعبرة للمتوسم فقتله . وتمكن المكني من اللواء وانقادوا اليه وأتاه الأمر عفواً صفواً ونال أربه بلا مشقة .

وفي سنة (٢٣١) إحدى وثلاثين ومائتين انتقضت بعض أعمال (برنو) على حاكمها يومئذ (الشيخ محمد الأمين الكاظمي) وعجز عن تأديبهم .

وكان الشيخ محمد الأمين هنا قد قدم طرابلس وقرأ العلوم فيها على أساتذ اعلام منهم (الشيخ محمد أبي طبل) و (الشيخ عبد الله بن غلبون) .

فاستصرخ يوسف باشا بواسطة مشايخه فشرح اليه القائد محمد المكني (في العساكر والمهمات الحربية وقدم بلد « برنو » ، وبعثه (الشيخ محمد الأمين) الى الشايرين وقتلهم قتلاً شديداً ودوخ بلادهم بسنابك خيله حتى استقاموا على الطاعة ، وانتظم للشيخ محمد الأمين الأمر ، ثم انقلب بعدد وافر من الرقاق والمتاع .

وفي هذه السنة اعتزلت قبائل نالوت « قبيلة بني نويز » . وذلك ان سكنة « جبل نفوسة » ومن بنواحيه من القبائل الجسيمة كانوا في حالة الفوضى والاستبداد والحكم فيه من غلب . وكان المتغلب عليهم من ابتداء ظهور القره مانلية الى هذا العهد رؤساء « قبيلة بني نويز » من (المحاميد) وكانت الرياسة فيها منحصرة يومئذ في الشيخ (أبي القاسم ابن الشيخ خليفة بن عون الحمودي) .

الاستاذ محمد بن عبد الكريم النائب

وفي سنة (١٢٣٢) ثنتين وثلاثين ومائتين والـف توفي الاستاذ الكامل ، والعلامة الفاضل ، الشيخ (محمد) بن (عبد الكريم) بن (أحمد) بن (عبد الرحمن) بن (أحمد) بن (عبد العزيز) بن (محمد) بن (أحمد) بن (محمد) بن (عبد الرحمن) بن (عيسى) بن (محمد) بن (عبد الله) بن (محمد) بن (محمد) بن (عيسى) الأوسي الانصاري الأندلسي الأصل ثم طرابلسيه وبها ولد .

وتلقى العلوم عن أعلام عصره ، وفحول مصره ، وكان فقيهاً تاجراً ، واسع العلم ، كثير الحفظ ، والرواية ، فريد عصره عقلاً وفهماً ، وفريد أوانه جلالة وعلماً ، مع ورع ، وحسن سمع ، ووقار ، وارتفاع همة ، وعذوبة ألفاظ ، وملاحة إيراد ، ومن القائلين بالحق والعاملين به .

تولى النيابة بنفس الشعر بعد والده وحسنت سيرته وقرنت بالعدل أحكامه .

ألف كتاباً سماه (الارشاد ، لمعرفة الأجداد) ضمنه ذكر أسلافه الكرام ، وتراجم آلـه العظام ، رضوان الله عليهم أجمعين .

وآله يعرفون قديماً ببني (العَسَّوس) وهو لقب منحوت من (عيسى الأوسي) الجد الأعلى الواقـد من (الأندلس) الى طرابلس في

أواخر المائة السابعة عند غلبة الاسبافبول . وحديثا يعرفون بآل
(النائب) لتسلسلهم خلفاً عن سلف في النيابة الشرعية وخدمة العلم
الشريف . ووالده :

العارف بالله عبد الكريم أحمد

قال في (الارشاد) : كان فقيهاً عَمَلًا ، قاضياً ، جليلاً ، عادلاً ،
رئيساً ، أُوحد العلماء ، شرف الفقهاء ، واسطة المدرسين ، محدثاً ،
لغويًا ، خطيباً ، متقناً ، أصولياً ، متكلماً ، صالحاً ، زاهداً ، ورعاً ،
قوَّاماً ، خاشعاً ، له نور ، وعليه قبول .

أخذ عن الاخوين الفقيه المحدث (أحمد) والعلامة (محمد)
ابني (السكلاني) والفقيه الأمام (علي) بن محمد بن صالح .

ولي النيابة مكان والده رحمهما الله وحسنت سيرته وكان لا تأخذه
في الله لومة لائم ، وله شعر رائق ، وأدب فائق ، منه قوله .

يا مشتكى حزني ! شرخ^(١) الشباب غدا
والشيب وافي فعلق^(٢) العمر ضاع سدى

(١) « الشرخ » اول الشباب .

(٢) بالكسر النقيض من كل شيء وجمعه اعلاق .

ناديت بالويل اذ بانث طلائعه (١)
 ووفده رام للقودين أن يفدا (٢)
 وقلت ما تبغي مني كفلت به
 لودت من قبل ذا من أجله لودا (٣)
 أجابني بلسان الحال ينشدي
 لا تبتئس يا فتى فالعيش عيش غدا
 يوم ترى فيه من خاف الإله على
 كلبان مك فلا يخشون فيه ردى
 وجوههم أسفرت (٤) بالبشر ضاحكة
 والمبلسون استجاشوا (٥) بالبا كمدا
 يا طول حسرتهم .. يا عظم حيرتهم ..
 لا يذكرون بها مالاً ولا ولدا
 يا مثكى حزني!! من خاف نار لظى
 فكيف لا يالف الأحزان والسهدا

(١) من يبعث من الجيش ليطلع على طلع العدو .

(٢) « القود » معظم شعر الراس مما يلي الأذن والمات .

(٣) من لا يميل الى عدل ولا ينقاد الى امر والشديد الذي لا يعطي طاعته .

(٤) أضاءت وأشرق .

(٥) اي طلبوا الجيش .

من خاف أدلج^(١) والموعود مرتقب
 والعبد لم يتخذ زاداً ولا عدداً
 مثقل الظهر قد ضاعت شببته
 سهلاً^(٢) بضيا التويف قد حدا
 أنا إلى الله أنا راجعون له
 من نفس سوء رأيت غي الهوى رشداً
 يا رب يا رب لطفاً منك يشملني
 نجاه من قد أتى للعالمين هدى
 عليه أزكى صلاة منك دائمة
 كذا سلام ذكي ما صدق وردا^(٣)
 والآل والصحب ما أنشئ حليف أسا
 يا مشككي حزني شرح الشباب غدا

وقد خسرنا تخميصاً جليلاً .

- (١) بالفتح السير من أول الليل .
- (٢) لا في عمل دنيا ولا في آخرة .
- (٣) «الصدى» العطش و «ردى» الاشراف على الماء دخله أو لم يدخله .

وكان قبل موته بنحو سنتين كثيراً ما يردد كلام الغوث سيدي
(أحمد بن عروس) رضي الله عنه حيث يقول :

ما غرما؟. غرما البين!. واهل العقول استراحوا
ما دافنت من سلاطين؟. وسيدان بالجبر طاحوا
ابن الذي قبلنا اين؟. لعبت عليهم وراحوا

ثم مرض نحو الشهرين وقوفي في غرة ذي الحجة الحرام عام
(١١٨٩) تسعة وثمانين ومائة وألف. ودفن بمقبرة آله جوار سيدي
المنير الصحابي رضي الله عنه . ووالده :

الأستاذ أحمد بن عبد الرحمن

قال في « الارشاد » كان من العلماء الأعلام ، الأجلة الفخام ،
فقيهاً ، محدثاً ، متقناً في جميع العلوم ، بارعاً في المنثور والمنظوم ، مع
نزاهة وعفة ، وعدوبة ألفاظ ورقة ، وطهارة صدر ، وحسن خلق ،
سريره كعلانيته .

أخذ العلوم عن افاضل من الأئمة منهم الاستاذ الكبير العارف بالله
تعالى الشيخ (محمد بن سعيد الهبيري) والأستاذ (احمد بن عمر)
(القيرواني) أصلاً (الطرابلسي) داراً ومنشأ .

وله تعليق على (البخاري الشريف) و (شرح لطيف على
الأجرومية) نحو الثانية كراريس .

ولي النيابة بعد والده وتوفي قرب الزوال يوم الجمعة السادس عشر
من محرم فاتح سنة (١١٥٥) خمس وخمسين ومائة والـف ودفن
بمقبرة آله . ووالده :

العارف بالله تعالى عبد الرحمن بن أحمد

قال في الارشاد : كان من اولياء الله الذين جمعوا العلم والعمل ،
زاهداً ، تاركاً للشبهات ، رقيق القلب ، شديد الحزن ، غزير الدمعة ،
مجاوب الدعوة ، حسن الأخلاق .

أخذ عن جماعة من العلماء منهم العارف بالله تعالى الاستاذ (أحمد
ابن محمد بن محمد البهلول) والفقيه المتقي (الشيخ محمد بن مساهل) وتولى
النيابة بعد والده وتوفي عند الزوال يوم الأحد مهـل محرم الحرام سنة
(١١٣٠) ثلاثين ومائة والـف .

ودفن بجوار آله . ووالده :

الاستاذ أحمد بن عبد العزيز

قال في (الارشاد) : كان صالحاً ، فقيهاً فاضلاً ، نحوياً لغوياً ،
عروضياً ، ورعاً زاهداً ، عارفاً بالحديث وطرقه ، ومعرفة رجاله ،
كثير المتابعة لما كان عليه (المصطفى صلى الله عليه وسلم) ، معتكفاً

بالمسجد الذي اسسه والده ، غالب أوقاته يعلم الناس العلم ، وكان جميل العشرة مع صحبه ، حسن اللقاء ، محباً للفقهاء والمساكين ، مؤثراً لهم ، حريصاً على إيصال النفع لعباد الله .

تولى النيابة الى ان توفي ليلة الاثنين سادس اشرف الربيعين سنة (١٠٢٣) ثلاث وعشرين والـف .

ووالده :

الأستاذ عبد العزيز بن محمد

قال في « الارشاد » : كان فقيهاً ، تاجراً ، له حظ جليل في العلم ، وباع متع في الادب ، وهو الذي اسس المسجد الكائن بداخل المدينة بقرب سورها الغربي وضريح الشيخ المزار (سيدي عمران) واستوطن آخر عمره عند الجلاء واستيلاء الاسبانيول على طرابلس سنة (٩١٦) ست عشرة وتسعمائة يجبل غريان واسس جامعاً بوادي النخل وكان يؤم الناس به ، ورفض الدنيا ، وتجرد لأعمال الآخرة ؛ وانقطع الى الله عز وجل ، مجتهداً في ذلك على أقوم طريقة ، الى ان توفي ودفن بازاء مسجده وقبره يزار .

وقفل ابنه الاستاذ (احمد) السالف الذكر الى طرابلس بعد الفتح .

وأصل هذا البيت من (الاندلس) من بلاد الثغر الشرقي انتقل

عند الجلاء وغلبة (الفونس) ملك اسبانيا عليه الى طرابلس أواخر
المائة السابعة .

وفيه في « الأندلس » الى (أبي عبد الله محمد بن عيسى بن « بقاء »
الأنصاري) .

قال العلامة (احمد المقرئ) في « نفح الطيب » عند تعريفه
ببعض من رحل من « الأندلس » الى البلاد الشرقية من نصه : « ومنهم
أبو عبد الله :

محمد بن عيسى بن بقاء الأنصاري

من الثغر الشرقي أخذ القراءات بالسبع . وأخذ عنه جماعة من
أهلها .

وكان شيخاً ، فاضلاً ، حافظاً للحكايات ، قليل التكلف
في اللباس .

ذكره (ابن عساكر) وقال : رأيته !! . وسمعتة ينشد قصيدة يوم
خروج الناس للمصلى للاستسقاء على المنبر أولها :

استغفر الله من ذنبي وان كبرا

واستقل له شكري وان كثرا

وكان يكنى وادي الحجارة ويقرأ بالمسجد الجامع . ولد في الثاني

والعشرين من شعبان سنة (٤٥٤) أربع وخمسين وأربعمئة ، وتوفي يوم الأربعاء عند صلاة العصر ، ودفن يوم الجمعة لصلاة الظهر الثامن من ذي الحجة سنة (٥٢٢) اثنتين وعشرين وخمسمئة ودفن في مقابر الصحابة بالقرب من قبر (الدرداء) رضي الله تعالى عنهم ، قال : وشهدت أنا غسله ، والصلاة عليه ، ودفنه .

وذكره (السلفي) رحمهم الله جميعاً وأمدنا بأسرار علومهم .
انتهى .

[رجع] ولما اشتدت وطأتهم وكثر عيئهم !.. اعتزلتهم « قبائل نالوت » وامتنعوا عن اعطاء الوضائع التي عليهم . وكانت هذه القبائل ذوي بسالة .

فالتمس الشيخ أبو القاسم بن خليفة سنة (٣٣) ثلاث وثلاثين من (يوسف باشا) المعاونة على ردعهم فصرح اليه « ابنه احمد بك » في المعسكر والذخائر والمهمات الحربية وقدموا « نالوت » وانضم اليهم الشيخ أبو القاسم وجموعه وحاصروا تلك القبائل وأوقعوا بهم ودارت بينهم حروب هائلة ، هلك فيها الكثير من الفريقين . ثم دخلوا « نالوت » عنوة وأخذوا أهلها تحت الطاعة والانقياد واستوفوا ما ما تراكم لديهم من الوضائع ، ومائتين وخمسين رأساً من الرقيق في مصاريف الجيش . وصفا الجو للشيخ أبي القاسم المحمودي وقفل أحمد الى طرابلس وأوضح ليوسف باشا تفاصيل تلك الوقائع وأهمية نقطة

الجبل وما اشتمل عليه من الأراضي الجسيمة المنبئة .

فصمم على الاستيلاء عليه واستقدم الشيخ أبى القاسم بن خليفة وأضر الفتك به كي يخلو له الجو بزعمه فيستولي على هذا الجبل من غير ممانع . فقدم في سنة (٣٣٩) ست وثلاثين واحتفل بقدومه وعظم شأنه وأسكنه بيتاً جسيماً وأسنى جراته وأنعم عليه بهدايا نفيسة وبعد قليل أمر بقتله فقتل غيلة بداره ليلاً .

وفي صبيحتها أظهر الاسف عليه وقبض على رجلين من فقراء الحبازين وقتلها بتهمة ظلماً دفعاً للشبهة وبقي الجبل متشوشاً وعلى حالة من الفوضى .

وفي هذه السنة عقد يوسف باشا معاهدة تجارية مع « حكومة طوسقانه » .

وفيهما صرحت « حكومة سردانية » بامتلاكها عن اعطاء السنوية . وبعد مناقشة وجدال حصل الوفاق على لغو السنوية وتعويضها بأربعة آلاف فرنك هدية يقدمها كل قنصل جديد عند قدومه ، ثم بدلت قنصلها مرتين في خلال أمد قليل وقدم كل قنصل بهديته . ثم ارسلت قنصلاً ثالثاً بلا هدية ، فغضب يوسف باشا وبث السرايا على سواحلها وربط البحر على مراكبها التجارية وغتم ثلاثة مراكب .

وفي الثامن من صفر سنة (٤٠) اربعين أرسلت ستة اساطيل حربية سردانية وحاصروا طرابلس وكتب أمير الاسطول ليوسف باشا باسترداد تلك السفن والتمس بقاء الصلح وحقق الدماء فرفض طلبه ،

وأول التامة . وركبت العساكر وأهل البلد القلاع وتواقموا بالمدافع ودارت رحى الحرب سبعة أيام . وفي ليلة الثامن ركبت عساكر سردانية الزوارق وأحرقوا أسطولين طرابلسية ونزلوا الى البر خارج السور من جهة باب البحر فخرجت لهم العساكر واحتربوا واشتد القتال وحشي الوطيس فركنت عساكر سردانية الى الفرار والاعتصام بأسطولهم .

ثم انبرم معهم الصلح بأن يعطوا سبعة آلاف فرنك ولا يؤخذ منهم فيما يمد سنوية ولا هدية وأقلع اسطولهم .

وفي سنة (٤٢) ثنتين واربعين نافقت بعض اعمال « برنو » واعلنوا بالشقاق وعادوا الى حالهم من الاستبداد وقطع اسباب الطاعة . ولما اندت على حاكمهم (الشيخ محمد الامين) وجوه الانتصاف بعث ليوسف باشا يستنجده لكشف بلواه ، ومدافعة اعداءه ، فجهز له يوسف باشا العساكر وعقد عليهم (لعبد الجليل ابن غيث بن سيف النصر) وارتحل بهم في اواخر هذه السنة وخاض القصر بمن معه ولحق « برنو » ، وسرحه الشيخ محمد الامين الى تلك الاعمال وضيّقوا عليهم وجاسوا خلال ديارهم وأذاقوهم نكال الحرب حتى استقاموا على الطاعة ورجعت تلك الاعمال لما ألقوه من الانقياد . ولما تمهد الهناء انقلب (عبد الجليل) مؤيداً بمبالغ وافرة من الرقيق والمتاع .

وفي هذه السنة أعني سنة (٤٢) اثنتين واربعين ارسل يوسف باشا ولده علي بك في قليل من العساكر على حال ضعف من العدد والمهات

الحرية للاستيلاء على الجبل الغربي . ولما شارب تلك الضواحي بعث علي بك جواسيسه لاستكشاف قوتهم فاتضح له أن أمرهم صعب المزاولة بما لديه من العساكر ، وأن لديهم من القوة والاستعداد ما لم يخطر له ببال ، فضم جناحه وخيم بالبيضة وطلب المدد .

وكانت هذه الإيالة يومئذ في حالة العجز والضعف ونقصان الجباية فقدم (يوسف باشا) على تهوره ثم لاذ بارتكاب أخف الضررين واستقدم جنده فرجع بخفي حنين .

وفي هذه السنة ثار (عبد الصمد بن سلطان) ببعض « قبائل ترهونة » وقدمهم (الحاج محمد بيت المال) في العساكر وأوقع بهم وأخذهم فيهم وشتت جمعهم وانسدلت الأمية .

وفيهما ورد من دار الخلافة العلية (فرمان عالي الشأن) بتوجيه رتبة بكربكي الرفيعة لعهد يوسف باشا وأطلقت مدافع السرور ووقدت عليه وفود التهاني .

ثم أن « حكومة النابوليتان » لما تحققت ضعف الحكومة المحلية وما ألم بها من الصعوبات والنقص في الأموال والأنفس والثمرات وما نالته حكومة سردانية من الامتياز اقتدت بها واقتفت بها على أثرها وأمرت قنصلها بطرابلس بأن يصرح بامتناعه عن إعطاء السنوية ، وبعثت بأسطولها لحصار طرابلس فوافى مرساها سنة (٢٤٥) خمس وأربعين ومائتين وحاصروها أربعة عشر يوما ثم باثروا الحرب وتواقعوا بالمدافع ثلاثة أيام ولم يحصل منهم ضرر في البلد .

وفي اليوم الرابع انعقد معهم الصلح بأن يؤدوا للحكومة المحلية
ثلاثة وثلاثين ألف فرنك ، وأن تكون السنوية باسم هدية بلا وقت
معين . ثم رحل النصارى بأسطولهم .

وفي هذه السنة وقع خلاف بين بعض قبائل ضواحي (سرت)
و (أورقله) واشتدت المنازعة بينهم حتى أدت الى المقاتلة فاضطرت
الحكومة لردعهم وكفهم عن بغيتهم ، فوجه اليهم يوسف باشا رلده
ابراهيم بك في خف من العساكر ، وقدم أورقله فحاربهم ثلاثة أيام
ثم جنحوا للسلم بواسطة مشايخ (أولاد أبي سيف) ولم يتحصل منهم
شيء في مقابلة مصارف المحلة لاستخفافهم بوطأة الحكومة وضعفها
واضعلال جميع قواها البرية والبحرية .

وذلك أن يوسف باشا لما انتقل من طور الشيبية الى طور الشيبة
استهان بأهل الإيالة واغتر بظاهر الطاعة المرضية من أهلها ، وحملهم
بمقتضى ما كان له من اطلاق التصرف من مصاريف شهواته وألوان
لذاته أكثر من طاقتهم ، حتى آل الأمر الى فاقتة وفاقمتهم ، فباع من
أسطولها الحربية وسك مدافعها النحاس فلوها وأرخى عنان التصرف
لأبنائه وأصهاره وقسم الإيالة بينهم . فأعطى الأكبر أولاده (علي بك)
« غريان » ومصطفى بك « مسراته » ، ولعثمان بك « الخمس » . ولعمر
بك « أورقله » ولابراهيم بك « يزليتن » ، ولملوكه مصطفى بك
« درنه » . فأرسلوا العمال من طرفهم وساءت سيرتهم وعظم ظلمهم
واتخذوا طرقاً للجباية وفق مصالحهم الذاتية ، واتسع الخرق على الراقع
الى غير ذلك مما نقم من أعماله وأذن بزواله .

(يحكى) : أن صهره ونصيحه (مصطفى بك قورجي) صاحب الجامع بطرابلس قال له يوماً « ان سيرتك قاضية الى الانحلال؟؟.. فنظر الى شيبته وقال له « يا مصطفى !. قد طاب زرعك؟ » أشار الى الفتك به فقال « والله أرى أن تقتلني وتستقيم !! » .

ولم يزل الحال يثقل بقدر الضعف حتى استحوذ على عموم الأهالي الافلاس ، فاستغرق يوسف باشا في الديون من تجار الاجانب بفائض فاحش ، وانهمك في الملذات ومعاشرة المضحكين والصفاعين وسماع اللحن ، واهمل الامر حتى حلت مواعيد الديون وطلبت أربابها حقوقهم بواسطة قناصلهم . وكان أشدهم طلباً قنصل الفرنسي فثقل طلبه على يوسف باشا وأغلظ في الجواب ، فغضب القنصل وسافر وكان من خبره ما يأتي ذكره :

وفي سنة (٤٦) ست وأربعين انتقض (عبد الجليل بن غيث بن سيف النصر) ولحق بنواحي « أورفله » والتف به من كان بتلك الضواحي من أجلاف العرب وكل ناعق ممن يلتمس الرزق بسلاحه ، وأظهروا العصيان .

وان (عبد الجليل بن غيث) هذا من سراة قومه (اولاد سليمان) وكانت مواطنهم بصواحي (سرت) وقد تقدم ذكر انتفاض ابيه (غيث) والفتك به والقبض على (عبد الجليل) هذا ففسأ في جو عناية يوسف باشا وتحت كنفه واصطناعه ، واختلط بابنائه على احسن الوجود من التربية . وكان جمرحاً للرياسة طامحاً للاستبداد

كما قيل :

إذا كان الطباع طباع سوء فلا أدب يفيد ولا أديب

فلما قفل من « برنو » كما تقدم جرى شأو رياسته طلقا فحدثته نفسه بالاستبداد وأجمع على الانتقاض ، وأعلن في هذه السنة بضواحي أورقلد التفاق ، وانضم اليه من كان بتلك القاصية من جفاة الأعراب ؛ وصغت آذانهم لناعق فتنة ، ونهض فيمن معه وقدم بلد « سوكنه » وتبوأها ثم انتزى على بلد « مرزق » وكان من خبره ما يأتي ذكره :

وفي هذه السنة أعني سنة ست وأربعين قدم لمرسى طرابلس (الأميرال رورامبل) في سبعة أساطيل حربية فرانسوية وحاصرها واقترح على الحكومة تكاليف شديدة وانتظر الجواب عنها ثمانية وأربعين ساعة . فعقد يوسف باشا مجلساً من الأمراء والأعيان ، واتفقوا على التثبت بتعديل تلك التكاليف لعجزهم عن الدافعة وفقد القوة وضعف الحامية . وأرسل لذلك (الحاج محمد بك المال) فحصل بواسطته الوفاق وأن يكون دفع نصف الدين في الحال والباقي بعد انتهاء أربعة أشهر .

فافترض يوسف باشا ذلك المبلغ من بعض الأجانب واعطى للأميرال وحررت المقولة على الواح وعلفت بالأسواق وفقى الاقتراح واقلع الاسطول .

وفيها : كتب يوسف باشا تهریکاً للعود امبراطور فرانسه (قليب الاول) وجعله وسيلة لحصول المعارفة معه وسعياً لتبديل هذا القنصل . ووجه به (الحاج محمد بيت المال) فقدم « باريز » وتوفق لعزل

القنصل وولى بدله غيره . وكان صاحب دراية فأظهر ليوسف باشا الخلوص والمودة ورغبة على وضع نظام الكمرك ، فأسه برأيه وزاده نفوذاً على سائر القناصل فثقل ذلك على (ورينقطن) قنصل حكومة الانكليز وأخذ في التضييق على يوسف باشا بطلب ديون تجار الانكليز .

وفي خلال هذه المدة تجاسر نفر من العساكر بتحقيق ابتته ، وآخرون بسبه واهانته . ويتتابع هذه الوقوعات ازداد اغبراره فأبرق وأرعد وأنزل بيرقه وأصر على طلب دفع جميع الديون في ثمانية وأربعين ساعة ، وبعد انقضائها ركب أسطوله وسافر الى مالطه .

فتحير يوسف باشا وعقد مجلساً من الأمراء والأعيان لذلك ، فأشاروا عليه بتوزيع تلك المطالب على الأهالي ، فطرح عشرة آلاف فرنك على سكنة الثغر من المسلمين ومثلها على اليهود ووزع الباقي على أهل المنشية والساحل ومن يخوارهم من النواحي القريبة وكانوا يومئذ في حالة الفاقة ، من جور العال ، والضرائب المتنوعة ، وسوء السيرة ، ونقصان الفلاحة ، وفلوس النحاس ، وقلة سكة الفضة ، حتى آل الأمر لفاقتهم .

فثاروا بسبب ذلك عليه لائذين بطاعة حافده (محمد بك) وذهبوا اليه بكانه من المنشية ، وعقدوا الأيمان لديه والمواثيق والعهود عليه . ثم أتوا بستان يوسف باشا فنهبوا سائر ما فيه واتخذوه مقر الحكومة الموقته . واستعدوا للمظاهرة والمقاتلة فانحجر يوسف باشا في المدينة محصوراً .

وفي يوم الخميس السابع والعشرين من صفر سنة (٤٨) ثمان وأربعين كتب (يوسف باشا) اعلانات بتركه لتلك التكاليف . فأولها الشائرون على غير ما وضعت له واستمروا على طغيانهم .

في يوم الجمعة الموالي بعث اليهم (حسن بك البلغزي) في ألف من العساكر وتوافقوا بموضع سوق الثلاثاء . ولما حمي الوطيس اختل مصاف حسن بك البلغزي واعتصم في فله بالشر ، وأغلقت أبوابه وبنى عليها واستمر الحرب بالمدافع واستفصل أمر الشائرين .

فاستنجد يوسف باشا بباي تونس بكتاب محصله « ان اقامة بيتنا كانت على يد بيتكم » ولكم علينا مئة « فضل » « الآن تدعى ذلك البنا والمطلوب من فضلكم !! تلافية قبل ان يخرج بما يظهر لكم من الاعانة » .

فجمع الباي رجال حكومته لذلك فأشار سليمان كاهية ا و ا محمد كاهية (وغيرهما بأن « هذا الأمر يجب الاعتناء به قبل أن يتفاقم الحال ... ويلزم (الدولة العلية الثانية) اطفاء نا» الفتنة في الاسلام . ولربما يسري الفساد من طرابلس الى الأعراض بسهولة !... »

وعارضهم (الوزير شاكر) صاحب الطابع بأن « حكومتنا المحلية والحالة هذه في ضيق !! ولا نضايق على أنفسنا ليتسع غيرنا ... » الى غير ذلك حتى قال البعض من أكفائه انه « لا يتأتى له السفر بنفسه لخدمته المانعة له !... ويخشى ان سافر غيره .. ربما يكون بذلك له وجاهة !... » (وربك أعلم بما تكن صدورهم وما يعلنون) وتم رأيه ووقع غض الطرف .

ثم ان حصر الشجر اقتضى ان كل من يرد اليه من صفار المراكب تأخذه جماعة المنشية فأخذوا مركباً للجرابة بما فيه ، قرفعوا شكائهم لباي تونس ، فوجه (الأمير الای سليم) الى يوسف باشا لأنه لا يعرف حاكم طرابلس وعملها غيره وان عجز ، يتوجه الى أحفاده بالمنشية ، فان ردوا ما أخذوا والا آذنههم بحرب .

فقدم طرابلس وأجابه يوسف باشا بالعجز وأنه ينتظر الاعانة من تونس ، فتوجه الى المنشية وطلب من محمد بك رد ما أخذوه وان الباي بتونس لا يعرف الا صاحب مدينة طرابلس ، ولا يعرف الثوار وله أن يعين يوسف باشا على الثائرين فامتثلوا وردوا مما أخذوه والتزموا أن لا يتعرضوا لسفن تونس .

تنازل يوسف باشا عن الولاية لابنه علي بك

ولما تفاقم الخطب وئس يوسف باشا من النجاح تنازل عن ولايته لابنه علي بك أملاً في حصول أمنية الأهالي فيه وانقيادهم اليه ، وأطلقت المدافع اعلاناً بولايته وكتب يوسف باشا الى قبودان البحر بدار الخلافة يومئذ (خليل رفعت باشا) بذلك ، فازدادت نفرة الثائرين والتفت عصبيتهم وقويت شوكتهم . (واذا أدبر الأمر كان العطب في الحيلة) ، فأمر علي بك بهدم بيوتهم بالمدافع فهدمت واستمر الحرب .

وفي غرة ربيع الآخر سنة (٤٩) تسع وأربعين أتاه فرمان عالٍ

بتقليد الولاية وتوجيه رتبة بكالربكي فأطلقت مدافع السرور .

ولما سمع (الحاج محمد بيت المال) بولايته وكان يومئذ ببنغازي آسفه ذلك لما بينهما من العداوة وسافر الى مالطة .

وفي سبع وعشرين رجب من هذه السنة قدم الى المنشية في ثلاث سفائن تجارية مشحونة بالمهات والذخائر الحربية اعانة من بعض الأعداء ، وأرسل علي باشا أسطولين لضبطهما فأحرق منهما أسطولا وغنم الأسطول الثاني سفينة منهم .

ثم في أواسط جمادى الأولى سنة (٥٠) خمسين قدم (محمد شاكر افندي) في أسطول من دار الخلافة العلية حاملا لسيف وفرمان عالي من أمير المؤمنين ببقاء علي باشا على ولايته ، فتلقاه بن حضر من آل بيته وأكابر المأمورين والأعيان ، وأطلقت المدافع استبشاراً لقدمه وبالح في اكرامه ، ثم ذهب الى الثائرين واستقدم أعيانهم ومخضهم النصيح واجتهد في اصلاح ذات البين فأجابوه بأن « هذه الحروب والنفتن الأهلية أبادت قواهم ، وشئت شملهم !.. وانسلبت امنيتهم في هؤلاء العائلة . واسترحموا انقاذهم من قبضة ظلمهم ... » وقدموا له عرضاً عمومياً بذلك ، فأخذه ووعدهم بالجميل ورجع الى المدينة .

وفي اواسط شعبان من هذه السنة رجع وارينقطنون قنصل دولة الانكليز في اسطولين حربية ، وقدم اعتماده لعلي باشا مع كتاب دولته بالتبريك ، وأطلقت تسعة مدافع من القلعة ترضية لدولته وفق طلبها ، وتسع مدافع رعاية لذات القنصل وثلاثة وثلاثين مدفعاً لافتتاح بيوفه وصرخ الاسطولين مثل ذلك .

وفي سلخ هذا الشهر عزم (شاكرا افندي) لدار السعادة . وفي أوائل ذي الحجة من هذه السنة قدم اسطول فرانسوي وعلى اثره اسطول انكليزي وأخبر اميراهما ان الدولة العلية مهتمة بتجهيز عدة اساطيل حربية ، وسيكون قدومهم قريباً الى هذا الطرف لردعهم واطفاء نار الفتنة ، وشوقا الفريقين على الوفاق قبل قدوم تلك الاساطيل وضياح امتيازهم . فلم يصنع لقلوبهما وذهبت تلك المساعي أدراج الرياح ودامت هذه الفتنة والحروب الأهلية نحو العامين حتى من الله على هذه الايالة بالفرج بعد الشدة ، واستوفت آل قره مانلي ما قدر لها من المدة .

ولاية الفريق الاكرم نجيب باشا

وفي اوائل محرم سنة (٢٥١) إحدى وخمسين ومائتين قدم الفريق الاكرم نجيب باشا في الثنين وعشرين اسطولاً حربية مشحونة بالسهامات والعاكر السلطانية ، فاحتفل علي باشا بقدومه واستقبله في اسطوله وأطلقت منه مدافع السرور .

وفي اواخر هذه الشهر استقدم علي باشا للأسطول ، وعند قدومه اليه أمر بالقبض عليه وقدم البلد في موكب عظيم ، وحل « بيت الباشاوات » واستحضر القاضي والمفتي والعلماء والاعيان وأعلن بولايته وأمر باتخاذ اسباب التحفظ وفتحت بواب البلاد . وتدارك الله تعالى بلطفه أحوال العباد . ثم ذهب في موكبه وحل قصر الحكومة وقرىء

فرمانه العالي بكمال التعظيم وابتهج العموم بالفرح والسرور وكان يوماً مشهوداً ، ومن مواسم الأعياد معدوداً ، وقدمت وفود التهاني وقام سوق الأمن وخمدت نار الحرب وبلغت كل نفس مناساتها . وقتل محمد بك قره مانلي نفسه ، وقر اخوه احمد بك الى مالطه . وارسل علي باشا الى الآستانة العلية . وانقرض بيت آل قره مانلي وتفرقوا أيدي سباً وحصل المنى ، والله يؤتي الملك من يشاء ، وينزعه من يشاء ، ويعزّز من يشاء ، ويذل من يشاء ، وهو على كل شيء قدير .

وهذه ثمرة التصرف بالشهوات ، وغض الطرف عن الفوائد والآفات ، واستعمال الشدة في موضع المداراة .

وفي أوائل صفر من هذه السنة عقدت لجنة من أعيان الثغر وخارجه لدى الحاكم الشرعي يومئذ الشيخ (أحمد التوغار) لحسم النوازل الشرعية .

وفيه وفد (الشيخ غومة المحمودي) في مشيخة من قومه على الوالي وأعطوه مطاعة والانقياد وكساهم بالبرانس ثم حبس الشيخ غومة لبعض أيام من قدومه باغراء بعض أرباب الغايات .

ثم جمع كافة العلماء وعموم المشايخ وأعيان الفريقين يجامع درغود باشا للتأليف بين قلوبهم ، ونزع الغل من صدورهم . وتيسر الوفاق بين الفريقين ، والتسامح عما فرط وعقدت بينهم عهود ومواثيق وتعهدوا باعطاء جبايتهم على الأسلوب الذي كان به التعامل زمن يوسف باشا ، وحرروا بذلك محضرا وقدم للوالي وعدت هذه الموقفية من كرامات (طرغود باشا) رحمه الله تعالى ، وتمهدت الراحة وأمنت الساحة .

ثم استحسن (نجيب باشا) ضرب أنواع من البارات لتسهيل
المعاملات فضرب منها القدر المطلوب بلا استئذان من الباب العالي
ثم عزل .

ولاية محمد رائف باشا

وولي الفريق محمد رائف باشا ، وكان وصوله في أواسط جمادى
الأولى من هذه السنة فأزال الضربخانه وخلي سبيل الشيخ غومه
المحمودي . واستقدم والده محمد بك حافد يوسف باشا قره مانلي
واخته من تاجوراء لأسباب سياسية ، فامتنعتا ولاذتا بأهل تاجوراء
واستجارتا بهم فاعصوبوا لهما وجاهرُوا بالنفاق . فسرَح اليهم (محمد
باشا) العساكر في أوائل شوال سنة (٥١) إحدى وخمسين ونازلوها
وأوقعوا بهم حتى استقاموا على الطاعات وفرت تلك العائلة الى
مسرارة ناجين بأنفسهم .

وفي أوائل ذي الحجة من هذه السنة قدم (أحمد نظيف افندي)
قاضياً بطرابلس بفرمان عالي الشأن وهو أول الموالى الكرام . وكان
خيراً راضعاً لثدي المعارف ذا علم وفضل وانصاف ، ومجموع كمال
أوصاف ، حسن السيرة لا تأخذه في الله لومة لائم .

وفي أوائل ربيع الأول من سنة (٢٥٢) اثنتين وخمسين ومائتين
قدم طرابلس اثنا عشر أسطولاً حربية بالعساكر والمهات الحربية ، قدم
بهم : قبودان البحر ، ومشير الطوبخانه ، وسر عسكر طرابلس ، (المشير

طاهر باشا) ودخل البلد في موكب حافل وقدمت اليه وفود التهاني . ورأى اضطراب الأحوال فمسكر بخارج النفر . ولثلاثة عشر يوماً من قدومه كتب أوامر لجميع الجهات في طلب عموم المشايخ والأركان بالقدوم عليه وتقديم واجب الطاعة اليه . وعين لهم ميعاداً ومن تأخر بعد عاصياً فلم يقدم عليه منهم أحد .

وفي أواسط ذي القعدة أجمع الحركة على مسراته فجهز الأساطيل وشحنها بالعساكر والذخائر الحربية وقصد بهم مسراته ولحق به طابوران من العساكر التونسية قدم بهم الوزير (شاكر صاحب الطابع) في ثلاثة مراكب حربية وتسعة مراكب متجربة بثلاثمائة من جياذ الخيل بعثهم أحمد بك والي تونس اعانة . وخرجت خيله ورجله الى البر فلقبهم (عثمان الأدغم) في جموعه ووالى عليهم القتال وتعددت فيهم الوقائع واتصلت الحروب ثمانية وعشرين يوماً حتى أثخن فيهم ، وأخذت البلد عنوة وفر عثمان الأدغم الى « ترهونة » ناجياً بنفسه ثم رفع السيف ونادى في الناس بالأمان .

ولما استكمل أمر الفتح وشؤونه انقلب راجعاً برأ فأثوه كافة أهالي البلدان التي مر عليها بالطاعة والانقياد .

ولمضي عشرين يوماً من أوبته عزم في العساكر فيهم (حسين باشا المصري) و (عثمان باشا) و (درسون بك) لتمهيد ترهونة . ولما شارفها اختلفت كلمة عربان تلك الضواحي وبادر قسم منهم بالانقياد وأصر الباقون على العناد ، ففزاهم واستباح عليهم حتى اثخن فيهم وشقتهم وقبض على عثمان وولده الأدغم واعتصم فلتهم بجبال غريان وانقلب مؤيداً .

ثم سقمت سريرة مير اللواء حسين باشا المصري والأمير ألي
درسون بك ومرضت أهواؤهما فأفسدا بعض القبائل واتيا بما أوغر
صدر طاهر باشا فأوعز للجند في القبض عليها .

ففر حسين باشا الى الاسكندرية وقبض درسون بك وسيق الى دار
السعادة .

وفي أوائل ذي القعدة من هذه السنة عزم طاهر باشا في العساكر
المنتظمة الى غريان فلقية غومه في جموعة ، وتواقعوا ودارت بينهم
حروب هائلة هلك فيها الكثير من الفريقين ، وضبط غومه مدفعاً
ومهمات كثيرة ، وفي اثناء هذه المحاربة عزل محمد رائف باشا .

ولاية طاهر باشا

وولي طاهر باشا وأتاه فرمان بتقليد الولاية مكافأة لخدماته
السابقة ، فجنح للسلم وتارك الشيخ غومه وولى مديراً على غريان
وأعاد اليه غومه تلك المهمات والعدد الحربية بتمامها . ثم لوى عنان
الأوبية واستمر في الولاية الى محرم سنة (٥٣) ثلاث وخمسين وعزل .

ولاية حسن باشا الجشمة لي

وولي القريق حسن باشا الجشمة لي ، وكان قدومه في أواخر

هذا الشهر . وقفل طاهر باشا الى الآستانة وأخذ معه عثمان الأدغم وكان متكاسلاً عن طلب الظهور جانحاً الى السكون مقبلاً على اللذات ، وأغفل الحزم ، فخرجت جميع الأهالي من ربقة الطاعة واختلفت الأهواء بكل جانب ، وبدا ما كان في قلوبهم من المرض وانحصر نفوذ في « المنشية » و « الساحل » و « تاجوراء » . ولما اتسع الحرق على الراقع تثبت ببعض تهويلات ، فعكر بظاهر الثغر مورياً الرحلة لقتال المفسدين وتدويخهم . ثم فرق تلك الجموع وتكررت منه هذه التظاهرات العقيمة الفائدة ، واستمر في الولاية الى جمادى الآخرة سنة (٢٥٤) أربع وخمسين ومائتين وعزل .

ولاية علي باشا عشقر

وولي الوزير علي (عشقر باشا) وقدم طرابلس في أواسط هذا الشهر وجمعيته (درسون باشا) المار ذكره ، ونهض بأعباء الإيالة وقام بها أتم قيام ، وأصلح ما نلهم من القلاع وما خرب من الجوامع ، وأنشأ قصر الحكومة بأورفلة ، وحل حكومة بالموضع المعروف بأبي نجم ، الكائن بين سكونه وأورفله ، وشكل هنالك ناحية وسماها بالآثار المجدية . وولى حليم باشا على بنغازي .

ثم كثر لديه المنافسون وارتفعت اليه الشكايات حتى قويت عنده وئى اليه بعض ساسة الفتن ببعض الأعيان ، منهم الحاج محمد شالابي بيت المال ومحمد آغا التركي فقبض عليهم ونفاهم الى دار السعادة العلية وكان من خبره ما يأتي ذكره :

خلافة السلطان الغازي عبد المجيد خان

وفي تسعة عشرة من ربيع الأول سنة (١٢٥٥) خمس وخمسين ومائتين وألف انتقل (السلطان محمود خان) الثاني الى دار الجنان ، وجوار الرحمن ، عامله الله بالكرامة والرضوان ، لاحدى وثلاثين سنة وعشرة أشهر من خلافته . وجلس (السلطان الغازي عبد المجيد خان) ابن (السلطان محمود خان) وطلع على الدنيا بدر هدى ، فقمع العدا ، وجمع بين البأس والندى ، وكانت أيامه مواسم ، وثغوره بواسم .



[رجع] وفي هذه السنة جمع (عبد الجليل بن غيث بن سيف النصر) اوباشاً من العرب وانتزى على جهات طرابلس الشرقية وردد الغزو على بسائطها ، فاكتسحها بالغارة وعاث فيها وكبس على نواحي « يزليت » و « تاورغا » و « ساحل الأحامد » و « الخمس » و « مسلاته » فاقتحمها بالغارة وفساد السابلة وانتصف الزرع .

ولما سمع (علي عشقر باشا) بما نزل بتلك النواحي من أجلاب (عبد الجليل) سرح جيشاً من العساكر المنتظمة وعساكر (القول أوغلية) ومعهم (حسن بك البلعزي) لحسم هذا الداء ، فلقبهم (عبد

الجليل) في جموعه ، وتوقعوا بظاهر بلد « مملاته » نحو ثمان ساعات .
فانهزم عسكـر الجليل وترك عياله وأهله ومهياتـه وفر الى نواحي
فزان وكان من خبره ما يأتي ذكره :

وبادر أهل الخمس والساحل ويزلـتين وتاورغا وأورفله وأنوا
بطاعتهم بلا محاربة ، ولما اضاء الأفق وتهدد الهناء والراحة وأمن الساحة
عقـلت العساكر مؤيدين .

وفي هذه السنة رجع (غومه) الى حاله من الأجـلاب على
طرابلس ، وقدم في جموعه الى « وادي الهيرة » فشرح اليه (علي
باشا) ، القائقام (بكر بك) في العساكر فلقبهم (غومه) في جموعه
وتوقعوا نحو خمس ساعات ، فانهزم بكر بك وانقلب في فله راجعاً .
وضبط (غومه) نواحي « الزاوية » و « العجيلات » و « زواوه »
فمال (عشقر باشا) الى المدولة بالسياسة فضم نشره وأيقظ رأيه
كما قيل :

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني

وبعث ثقافته في التفريق بين أولئك الجموع ومخضهم النصـح ،
فاختلفت كلمتهم وجنح بعضهم الى الطاعة والانقياد ، وهاجت بينهم
الفتن بسبب ذلك . وبلغ (عشقر باشا) اضطراب احوالهم فشرح
اليهم (احمد باشا) في عساكر وقدم « الزاوية » وناجزهم الحرب
ودوخ البلاد وفتح المعازل ، واجفل « غومه » الى « الجبل » مهبط
الجناح وانتهى الى « ترهونه » ، ووالى عليها القتال واثخن فيهم وانقلب
مؤيداً .

ولما كانت سنة (١٢٥٧) سبع وخمسين ومائتين والف اجمع (احمد باشا) الحركة الى « غريان » فاحتشد الجنود واحتفل بتجهيزهم وقدم بهم غريان . فلقبه غومه في جموعه وتواقعوا ، ودارت بينهم حروب شديدة انهزم فيها غومه الى الجبل مفلولاً ، وهلك الكثير من سراة قومه ، وأسر نحو السبعين من وجوه اصحابه واشخصوا الى طرابلس وقتلوا ، ثم رفع احمد باشا السيف ونادى بالأمان . ولما فرغ من امر الفتح واستقامت الاحوال عاد الى طرابلس .

ثم في سنة (٥٨) ثمان وخمسين عاد (عبد الجليل) الى حاله من الأجلاب وانتزى على « سوكنه » و « هون » و « ودان » ونهب حيواناتهم وأفسد زرعهم وقتل نحو الثلاثين رجلاً من وجوه « ودان » ، وردد الغزو على تلك البسائط وتمادى في غوايته . ثم فارق محل ثورته وقدم في جموعه الى ضواحي « سرت » .

ولما انتهى (الخبر) لعسكر باشا بعث اليه عامل مسراته يومئذ (حسن بك البلعزي) في العساكر المنتظمة وكافة القبائل المطيعة . وتواقعوا ودارت بينهم حروب شديدة اختل فيها مصاف (عبد الجليل) وقتل الكثير من صناديد رجاله ولأذ بالفرار ، ولم يجد اليه سبيلاً فلهجاً لجبل صغير هنالك يعرف بالقاره ، مفلول الجناح عفواً باليأس ، فأحاطت به العساكر من جميع جوانبه وحاصره سبعة ايام . ثم صار الظفر به والقبض عليه وعلى اخيه (سيف النصر) وقتلوا وبعث برأسه الى طرابلس وأسر (احمد المريض) و (مصطفى الأدغم) و (محمد ابو عايشه) وسبقوا الى طرابلس ، وصار قتل

احمد ومصطفى عبدة ظاهرة وعظة للمفكر وعفي عن (محمد أبو حج عابثه) وأطلق وثاقه وتفرقت تلك الجموع وتمهد الهناء وانقلبت العساكر أعزة ظاهرين .

الأستاذ محمد النائب العسوس الأنصاري

وفي هذه السنة توفي الأستاذ الفاضل العلامة ، الفقيه المالكي الصوفي الحجة الفهامة ، ذو الفطنة النقادة ، والقريحة النقادة العارف بالله تعالى (الشيخ محمد) بن (محمد) بن (عبد الكريم) النائب الأوسي الأنصاري .

ولد رحمه الله سنة (١١٨٧) سبع وثمانين ومائة وألف بطرابلس ونشأ بها وحضر مجالس العلم والعرفان . ولقي الأستاذ الكبير العارف بالله تعالى (الشيخ محمد حسن ظافر المدني) وتخرج به وأخذ العلوم عن أساتيد عصره ، وأعلام مصره ، فأصبح متقناً لعلم الحديث ، متقناً في العلوم ، من الأصول والفروع ، عالماً بأقسام البلاغة ، ومعانيها ، حائزاً لقصب السبق فيها ، وكان له معرفة بطريق القوم الصوفية ، وعالماً من أعلام العرفان ، وله تقدم في النظم والنثر على طريق التحقيق والبيان .

ومن بعض ما قذفه من درره ، وفاه به من محاسن غرره ، هذا التشطير :

هذه أنوار ليلي قد بدت
وجلاها النور في أحسن زي
هزمت جيش النفوس سطوة
ولسلب العقل يا صاحي تهبي
فالفتى من سلبته جملة
وأزالت عن مرياه الغطي
ذاك من حاز الوصال دفعة
لا الذي تسلبه شيئاً فشي
لا ترى في شمسها ظل السوا
قد طوت بإطه الأنوار طي
عجباً تراه في وحدتها
وهي شمس وهي ظل وهي في
وإذا الحسن بدا فاسجد له
نافي التقليد عن ليلي ومي
حرم الله حلت أمنا
وسجود الشكر فرض يا أخي



ولي النيابة بنفس الثغر بعد أخيه الاستاذ (عبد الكريم) بن
(محمد) رحمهما الله والتزم فيها الصرامة في تنفيذ الحدود ، والحزامة

في اقامة الحقوق ، والكشف عن البيان في السر ، والصدع بالحق في
الجهر ، لم يستلمه بخادع ولا يكده مخاتل ، ولا تأخذه في الله لومة
لاثم .

ولاية الوزير محمد أمين باشا

ثم صار انفصال (علي باشا) وولي الوزير محمد أمين باشا وكان
من الوكلاء الفخام ، وقدم في ستة من جمادى الآخرة سنة (٢٥٨)
ثمان وخمسين ومائتين وبمعيته (عزمي بك) وهو أول دفتر دار
قدم الولاية .

فأجرى التنظيمات الخيرية ورتب القضاءات والمديريات واللوائت
وأسس المجالس والأقلام والدفاتر . وعدل أموال الجباية وأجرى نظام
المجالس والأقلام والدفاتر ، وعدل أموال الجباية وأجرى نظام تذاكر
المرور وأنشأ المستشفى العسكري الكائن بالبنشية ، وجعل الاميرالاي
بكر بك متصرفاً بفزان ، وولى من معتبري الأهالي قائمقامين ومديرين
بكفائل قوية ، واجتهد في المواد السائرة . ثم استقدم (الشيخ غومه)
بأمانة بواسطة « مصطفى بك قورجي » فقدم عليه وعظم من مقامه
ونوه مجلسه ولطفه بترتبة « قبوجي باشي » وولاه عضواً بمجلس
الادارة ، واسنى جراته وبالح في اكرامه ، واستوطن طرابلس بأهله
من يومئذ .

ثم حصل خلاف وعدم وفاق بين غومه و (اللواء أحمد باشا)

فألقى القبض عليه ونفساه فانتقضت لذلك (قبيلة الحاميد) وعموم أهالي الجبل وجاهروا بالعصيان .

وفي أوائل صفر سنة (٢٥٩) تسع وخمسين ومائتين جهز أحمد باشا العساكر وارتحل بهم لقتالهم ولحق ببلد « ككله » وتواقعوا والتحمت الحروب وتجاوبت الأصداء وزلزلت الأقدام وهلك الكثير من الفريقين ، ثم جنحوا الى السلم وضرعوا الى الأمان فأمنهم .

وقدم بلد « يفرن » وضبطها عنوة ، وأثنى في أهالي بلد « فاطو » واقتحمها عليهم وافترقت العساكر في كل جهة وتوغلوا في تلك الجبال وأذاقوهم الويل والنكال حتى انقادوا ولأذوا بطلب الأمان ، فأمنهم وبادرت أهالي « نالوت » و « غدامس » وأتوه بالطاعة .

ثم انتقضت أهالي « ككله » و « يفرن » فساد اليهم وأثنى فيهم وهلك الكثير من صناديد رجالهم وأخلوا تحت الطاعة ، ولما تمهد الهدوء انقلب أحمد باشا بما لديه من العساكر أعزة ظاهرين .

فاكتسب أحمد باشا بهذه المظفرات نفوذاً بين الأهالي ، ولم يبق للوأي معه الا الاسم ، فثقل ذلك عليه وأنهى بذلك الى الباب العالي .

وفي سنة (٢٦١) إحدى وستين ومائتين نافق مدير « ككله » وجاهر بالعصيان ، والتف به من كان بتلك النواحي من جفاة الأعراف فقدمهم أحمد باشا بالعساكر وناجزهم الحرب وقتل العامل واقتحم البلد وانقلب مؤيداً .

ثم احتوت شدة الجهاد على اتباع غومه يقال له (مولود) واستطرده الحثف فأقبل به بلد يفرن واستمال أهله واستغواهم فجاهروا بالعصيان ، فبعث اليهم (الوالي محمد امين باشا) الميرالاي (اسماعيل بك) في العساكر وناجزهم الحرب واتصلت فيهم الوقائع حتى استقاموا على الطاعة وانكف راجعا الى طرابلس وتهد الهناء وعم الأمن في جميع الأقطار فبعث الوالي العيال وسائر المأمورين لكافة الأنحاء والجهات . وفي خلال هذه المدة استقدم (أحمد باشا) لدار السعادة بموجب اشعار الوالي وترفعت رتبة الأمير الای بکر بك وصار عوضاً عنه . ثم عزل (محمد امين باشا) .

ولاية محمد راغب باشا

وولي الوزير محمد راغب باشا وقدم في اوائل جمادى الاولى من سنة (٢٦٣) ثلاث وستين ومائتين بأهله ، راكباً باخرة ، وقفل بها سلفه .

وهي اول باخرة قدمت طرابلس وأول وال قدم بعياله . وفي هذه السنة توجه (احمد افندي) متصرف لواء الجبل الى غريان لمشاركة عملها وانتهى الى بلد « ككله » فهجمت عليه اهالي البلد ليلاً وقتلته غيلة . ولما اتصل الخبر بالوالي سرح اليهم (اللواء بکر باشا) في العساكر وعاقبهم عقوبة مؤلة وجعلهم مثلاً للسامع .

العارف بالله الشيخ محمد حسن ظافر

وفي هذه السنة توفي الامام الكبير ، والاستاذ العلم الشير شيخ
السالكين ، وامام العارفين ، وقادة المحققين الأستاذ (محمد حسن بن
حمزة ظافر المدني) ودفن بزاويته بممراته . وضريحه ظاهر تقصده
الزوار ، من جميع الأقطار .

وكان رحمه الله تعالى من افراد الرجال ، وصدرأ من صدور
الأولياء الابدال ، لا يشق غيابه ، ولا تجهل آثاره .

وقد ترجم له العلامة السيد أحمد بن اسماعيل البرزنجي المدني بما
خلاصته : « هو نير فلک المعاني المحيط ، وإذا انتظمت قلادة الكاملين
فهو الوسيط ، محيي الطريقة الشاذلية ، ومنبع الأنوار النبوية .

ولد رحمه الله بالمدينة المنورة سنة (١١٩٤) اربع وتسعين ومائة
والف ، من هجرة من خلقه الله على أكمل وصف ، ونشأ في سرح
ذلك الجنب العظيم ، ملحوظاً بعناية الملك الكريم ، وأخذ عن مشايخ
أجلة ، وبذل في خدمتهم جهده كله ، ثم حملته طلب الوصول الى
الحق ، ان يسبح في الأرض غربها والشرق . ولما تم له في سياحته
خمس وعشرون سنة ، رأى (المصطفى صلى الله عليه وسلم) ومعه
الشيخان « أبو بكر » و « عمر » فقال له صلى الله عليه وسلم ما
معناه : « إذا أردت الوصول الى الله ذي الجلال ، فعليك بصحبة

العربي الدرقاوي » . فأسرع للامتثال « وجدّ في السير حتى وصل إليه ، وقبل قدميه ، وقال « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » مبتدئاً بالحديث متوسلاً به إليه .

فقال له الأستاذ العربي : من أي البلاد أنت ؟ .. قال له — من مدينة الرسول . قصدتك لتأخذ بيدي !..

فقال له — والله لو جاءنا كلب من (مدينة الرسول) لوضعناه على الرؤوس والجباه ، فضلاً عما كان من أهلها !! . مرحباً بك وسهلاً ؛ وسوف يصيبك من فضل الله خير كثير إن شاء الله .

ثم لقنه أورايد الطريقة الشاذلية ، ذلك في صفر من سنة أربع وعشرين ومائتين وألف . وأقام في خدمته سنين يستمد من أسرار وأنواره اللدنية ، ثم رجع الى المدينة بأمر أستاذه المذكور . وحين الوداع قال له « جعلتك وصلة بيني وبين (سيد الأحياء) » .

فقدم المدينة واستقر بها ما شاء الله مستمداً من فيض أنوار الرسول ، حتى فاز بحقيقة المشاهدة ونال المأمول ، فبينما هو تجاه الحضرة العلية ، مستغرقاً في الأنوار النبوية ، اذ سمع خطاباً روحانياً يقول « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » ، فعلم أنه قد أعطي مقام التذكير ورائة عن سيد المرسلين .

ثم حققت روحه لمربيها فتوجه نحو الغرب لتجديد العهد السابق ، وتوديعاً لذلك الحب المشرق ، فلما استتم في خدمته ثلاثة أشهر ، انتقل الأستاذ (مولاي العربي) الى عليين ، ومشهد المقربين ، واستخلفه على ميراث الأسرار ، فحصل الفتح به وعمر القلوب بالأنوار .

ثم توجه الى نحو المشرق فلما وصل الى طرابلس الغرب أقام بها ،
وأشرقت شمس الهداية فيها ، وظهرت له كرامات ، وخوارق
عادات .

فمن كراماته رضي الله تعالى عنه أنه لما وصل الى طرابلس الغرب
كان يومئذ الوالي عليها يوسف باشا قره مانلي فاجتمع بالأستاذ وابتهج
بقدمه ، واهتز للقائه ، واعتقد فيه اعتقاداً كاملاً ، وأجله اجلاً
شاملاً ، وبالغ في تقريبه والطافه لما رأى في حضرته من الاستقامة ،
التي هي محط الكرامة ، وقال له : ان شيخك الأستاذ (مولاي العربي
الدرقاوي) أرسل لي كتاباً وقال لي فيه : « استوص بطريقنا خيراً
فانها ستحل ببلادك » .

ثم لما حصل للأستاذ الظهور ، فكان له بسبب ذلك من الوالي
النفور ، وأوجب اعراض الأستاذ عليه ، وأخذ في أسباب الرحيل من
طرابلس من أجل ما وصل الوالي اليه ، وعند سفره قال لخواص
أصحابه « إن يوسف باشا بعد الآن لا يفلح فان شجرته انقلعت من
عروقها وفي الشمس طرحت » . وقد كان الأمر كما ذكر ففي أقرب
وقت اختل نظامه وقامت عليه القيامة ، وندم ولم تنفعه الندامة .

ومنها ما حصل له مع طاهر باشا . فقد بلغني بطريق التواتر أنه
لما قدم من دار الخلافة ، وجد بها اختلالاً وقياما في بعض جهاتها
فكتب أوامر لسائر عمال الولاية يأمر أركانها بالقدوم عليه ، وتقديم
واجب الطاعة اليه ، وعين لهم ميعادا من لم يحضر فيه يعد عاصيا .
وكان الأستاذ رضي الله عنه قدم من زاويته التي بمسراته لما سرت

الفتنة في تلك النواحي وأقام بزاويته التي ببلد جبل غريان معتزلاً فيها ومنقطعاً لعبادة ربه .

فلما بلغه أمر الوالي أجاب بالامتنال ، وتوجه في جماعة من تلامذته في الحال ، قاصداً مدينة طرابلس . فلما وصلها قام بعض حساده ووشى في حقه للوالي وأوهمه بأن هذا الاقبال الحاصل له من الخلق عليه ، لربما يكون بسببه ما لا خير فيه ، فأصر له الوالي السوء في نفسه ، واستدعاه لمحل حكمه ، بعدما استحضر من العسكر المسلح جانباً تحت أمره .

فقدم الأستاذ ومعه جماعة من تلامذته الذين قدموا معه وجم غفير من أعيان أهل البلد وعلمائها وأفاضلها ، فلما شاهد الوالي تلك الهيئة توهم صحة تلك الوشاية ، وأصر سوءاً لولا سابقية العناية ، وعامل الأستاذ بمعاملة قاسية خارجة عن المرام ، وقابله خارج مجلسه في جملة أتباعه وقوفاً على الأقدام ، وسأله : من أي بلد أنت ؟ قال له : من المدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام . ثم قال له : ما قصدك بهذه الجمعية ؟ قال : جمعتنا بحبة الله وترويض أنفسنا بطاعته ، وعمارة أوقانتنا بذكره ، قال : بل جمعتهم لتثير بهم فتنة تكون بها رئيساً في البلاد ، وتسعى في الأرض بالفساد ، قال : هؤلاء الذين تراهم من أهل البلد ، وأما الذين قدموا معي فهم قليلون في العدد . فقال : أفرزهم من ... بينهم فأمر أهل البلد بذلك فلم يمتثلوا . فقال : اذا تعطيني كفيلاً . فتقدم عمي (الشيخ سيدي عبد الكريم) وهو يومئذ النائب المالكي بنفس الثغر وعمي العالم الفاضل (الشيخ سيدي محمد) ووالدي العالم الكامل (الشيخ سيدي حسين) وقالوا : نحن الكفلاء . فقال :

وأنتم من يكفلكم ؟ وكان الأستاذ متوكئاً على عكازه فأخذه الحال ،
وتجلى فيه بصفة الجلال ، وبعدما كان عكازه بيده فعلى الأرض رماه ،
وقال بأعلى صوته الله ، الله ، فتلقى ذلك الاسم الشريف الحاضرون من
الأخوان ، ورسم الذكر في ذلك المكان . وقد هز الوجد العكر
الواقفين للغفر ، فتركوا سلاحهم ودخلوا الذكر ، وكذا أتباع الوالي
ومن حضر ، وبعدما اخذ الذكر في غاية الانتظام ، مع قوة الشطح
والهيام ، أشار حضرة الأستاذ فيه بالختام ، وبقوا بغاية التعظيم واقفين ،
والأيدي مبسوطة والأستاذ يدعو حضرة مولانا أمير المؤمنين بالنصر
والظفر وبالخير لكافة المسلمين . وبعدما ختم الدعاء قال : وأما انت
يا طاهر باشا وكلنا أمرك الى الله تعالى فتقدم اليه الباشا بكمال
الخشوع وقبل ذيل جيته وطلب منه السماح . فتوجه الأستاذ ومن معه
بذكر الجلالة الى محل اقامته بمدرسة الكاتب مصطفى خوجه وقد
أرسل له الوالي ضيافة متممة ثم قدم بنفسه زائراً ومعتذراً . ولم يزل
على كمال الرعاية معه حتى توجه الأستاذ الى زاويته التي بمسراته وبعد
وصوله لها انفصل طاهر باشا من الولاية وتحقق ان ما فعله مع
الأستاذ كان سبباً في عدم نجاح استقباله . والوالي الذي أتى من بعده
احترز غاية الاحتراز من أن يتبع منواله ، لما بلغه ما جرى من سلفه
كما أخبر بذلك أيضاً من أتى من بعده . ولا زالت هذه المنقبة دائرة
على مسامع الوزراء ، وشاد فخر هذا الأستاذ بين كافة الناس والأمراء ،
رضي الله تعالى عنه ونقعنا بأسراره . آمين بحرمة سيد المرسلين .

ثم لما كانت سنة الرحيل ، وانتقاله الى حضرة الجليل ، أمر بقراءة
الموطأ حتى تم ؛ ثم طلب اعادته الى ان وصل القاريء باب الجنائز

فقال « حبيبنا هذا وليكن عملكم به بعد الوفاة » ثم أوصى بما يلزم وقال : قد ورد علي وارد الأنس ، هز ذاتي الى حضرة القدس ، قائلاً « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه » واستخلف ولده الأكبر سيدي الشيخ محمد علي مردييه ، وأمره بالتقوى في ما يخفيه ويبيديه ، ثم مرض أياماً فدعاه داعي الحبيب ، فكان لشوقه أسرع بحبيب ، رحمه الله وأمدنا بأسراره .



وقد مدحته الأفاضل بغير القصائد منها قصيدة مدحه بها العالم الفاضل الشيخ عبد القادر القرقرى امام جامع الجمعة بمدينة « برنو » ونصها :

بلغ تحية عاشق مشتاق
وسلام ذي كلف الى السباق
شمس الهدى بدر الدجى مروي الصدى
ببحر الندى المدي الامام الراقي
وانشر لتادي ذي النسيب المنتقى
ما قد نشرت له من الأشواق
وأنا الذي في حبه ووداده
ثَبَّتْ الفؤاد ولست بالوقواق
واذا سمعت من الأحبة ذكره
شَهَقْتُ اليه الروح أي شهاق

وإذا نطقت فجلُّ قولي سرمداً
 من لي برؤية وجهه البراق
 أحييت من سر الطريقة ما عفى
 ونشرته في سائر الآفاق
 ورميت عن قوس الطريقة فاتقى
 سر الحقيقة سائر العراق
 وغرست في تلك الأراضي والقرى
 غرس الكرام فباء بالأعراق
 وحويت بالهمم العلية منصبا
 متخلقاً بمكارم الأخلاق
 وجررت أذيال الشهامة مشهراً
 سيدنا يطحطح كل ذي عيهاق
 طوبى لمن حط الرجال بقابكم
 وانساب في حلق الفتى العيداق
 لولا العوادي والأعادي زرتكم
 حساً ولو سحبا على السمحاق
 لكنني اذ عاقني حكم القضا
 أهدي سلامي للولي الساق
 وأبوء معترفا بذنبي طالباً
 منه الدعاء باللطف والارفاق

وسهولة السير المجد الذي بقيا
حتى أُعد به من السباق
وعلى مردييه الكرام تحتي
ما غنت الورقاء في الأوراق



ولاية الوزير الحاج أحمد عزت باشا

وولي الوزير الحاج احمد عزت باشا وقدم الولاية في خامس المحرم سنة (٢٦٥) خمس وستين ومائتين . وفيها تقدم جنديان برأ فارين من عساكر الجزائر فحضرا بين يدي الوالي وطلبا التشرف بدين الاسلام فاستوضح الوالي حقيقة امرهما من قنصل فرنس يومئذ فأجاب بأنه لا امام له بهما فصار تلقينهما كلمة التوحيد وقيدهم في العساكر الجليلة . ولشهرين من قدومها فر احدهما الى الكنيسة والآخر الى بيت القنصل فجلبا بمعرفة الضباط ووضعوا في الحبس . ثم ان القنصل طلب تسليمهما من الحكومة فأجيب بأن طلبه مخالف للعهود ولا يسوغه النظام . ثم توجه الوالي الى بنغازي لشارفة عملها واستخلف على الولاية خالد باشا .

وفي ثامن شوال من هذه السنة قدمت لمرسى طرابلس باخرة فرنساوية . وفي العشرين منه قدمت تسع بواخر حربية واحاطوا

بطرابلس مجراً من كل جهة ، ثم كتب أمير الأساطيل لوكيل الوالي في طلب تسليم الشخصين المتقدم ذكرهما أو الحرب بعد مضي اربع وعشرين ساعة . فاستعد خالد باشا لقتالهم واحتفل بتأهب العساكر واحتشد أهالي المنشية والساحل ومن يجوارهم من القبائل وتهياً للحرب ؛ وأحضر لسيده أرباب الشورى من امراء العساكر ومعتبري الایالة لذلك . ثم ان خالد باشا لم يجوز المحاربة بوجه واسعف النصارى بطلم بواسطة كاتب المال اذ ذاك أمين افندي وقفلت الاساطيل . وفي الخامس والعشرين من هذا الشهر قدم الوالي وبدىء في احصاء النفوس وتوزيع الإعانة العمومية فحصل بسبب ذلك تشاويش نتج من عدم تفهيم الاهالي كما يليق ثم عزل .

ولاية مصطفى نوري باشا

وولي الوزير مصطفى نوري باشا وقدم طرابلس في غرة ذي الحجة سنة (٢٦٨) ثمان وستين ومائتين ، وصرف عنايته في تنظيم الأمور فعزل مدير المنشية وقبض على نحو الخمسة عشر رجلاً من اهالي المنشية والساحل وأبعدهم ، فاندفع بذلك الفساد وحصل الأمن وفهم الاهالي كيفية احصاء النفوس واسباب استيفاء الاعانة كما يجب ، فامتثلت الأهالي وقدموا الاعانة .

وفي سنة (٢٦٩) تسع وستين ومائتين أرسل مأمورين الى قضاء فساطو لا ستيفاء أعيان الزيتون فخرجوا عن حد نظامهم وأسرقوا في

عملهم فصرهم أهالي القضاء وطردهم وأعلنوا بالعصيان ، فقدمهم أحمد باشا الصغير في العساكر وعاقبهم عقوبة مؤلمة وأقام فيهم أياماً ورجع .

ثم في سنة (٢٧١) إحدى وسبعين ومائتين فر (غومه) من منفاه وقدم الى ضواحي تونس وأقام بحل يعرف بمطاطه وكتب الى الوالي والتمس العفو والاستخدام ، فلم يقع طلبه موقع القبول ، فقدم الجبل والتفت به قبائل نالوت ، وقاباو ، ويفرن ، ومن كان بتلك الضواحي من العربان .

وفي رمضان من هذه السنة قدم في جموعه الى مركز متصرفية الجبل وحاصر المتصرف فاستمد الوالي فبعث اليه الامير ألاي (اسماعيل بك) وقائمقام الطويجي (مصطفى بك) وقوماندان خيالة العرب (محمد أغا انديشه) في العساكر . فزحف اليهم غومه في جموعه بموضع يعرف بالرومية وتحاربوا محاربة شديدة هلك فيها الكثير من العساكر وانهزم مصطفى بك في فله وقدم غومه مركز متصرفية الجبل ، واقتحم القصر وضبط ما كان فيه من المهمات والمدافع والعساكر . ثم أرسل جميع المهمات بتمامها الى والي الولاية مع عريضة التمس فيها العفو والاستخدام فلم يقبل طلبه . فاستمر غومه على شقاوته واستفحل أمره وضبط كافة الجبل وأتاه أهالي غريان بطاعتهم ثم قدم الى بلد الزاوية وانتهى الى قريتي « ورشفانه » و « جنزور » وانضمت اليه أهالي تلك النواحي .

فزحف اليه (عبد الله باشا) و (أحمد باشا) في العساكر فلقبهم في جموعه بقرقارش وتواقعوا ، واشتد الحرب فانهزم غومه

وهلك الكثير من قومه . ثم حمل عليهم (أحمد باشا) في جنزور وتواقعوا واشتد الطعان فانهمز البغاة الى « قرية الماية » وأخذ أحمد باشا في اتباع المفسدين ومحووا مواقع عينهم . فدوخ ما وراء « الزاوية » واستباح عليهم واحتازهم حتى استقاموا على الطاعة . وفر الشيخ غومه الى الجبل .

ولاية عثمان باشا

وفي خلال هذه المدة وقع انفصال (مصطفى باشا) وولي على طرابلس الوزير (عثمان باشا) وقدمها في العشرين من صفر الخير سنة (٢٧٢) اثنتين وسبعين ومائتين .

فكتب الى غومه بطلب ارسال (قاسم باشا المحمود) متصرف لواء الجبل فارسله ؛ وقدم اليه فصرحه لقتال غومه في العساكر ، فلحق بعسكر عبد الله باشا اللواء بموضع يعرف بالكدوه وقدموا (الرومية) - موضع معروف - فصادفوا غومه يجموعه في تلك الضواحي ، فحملوا عليهم وتواقعوا واشتدت الحرب بينهم نحو الثماني ساعات هلك فيه الكثير من أتباع غومه ، وانهمز في فله الى قضاء فساطو .

ثم أرسل اليه الوالي برنوساً محلي بالفضة وحصاناً من جياد الخيل مع بعض الأعيان واخذ عليه تعهداً بالخروج من الجبل وأن لا يعود

اليه قيا بعد وأن لا يتعاطى ما يكدر صفو الأمن ويخل بالراحة العمومية ، فخرج من الجبل في سبعين نفراً من أتباعه وتمهد الأمن .

وقدم غومه الوطن التونسي ونزل باطرافه من جهة الأعراض ، وكتب الباي ليقبله أو يشفع فيه عند الباب العالي وتوصل في مطلبه بقنصل فرانسة ، فأتى الباي وحسن له قبوله وقال له : استجار بجرمك ... الى غير ذلك . وحذر النصحاء الباي من تداخل أي قنصل كان في أحوال البلاد ومن عاقبة هذا القبول .

فقبله غير مفكر في عاقبة أمره واقفاً عند ظاهر الحال واستهان به وكتب الباب العالي شافعاً فيه فأجيب بأنه من المفسدين في الأرض . وطلب منه الباب العالي اعانة الباشا بطرابلس على القبض عليه . فأنف لزمته أن تخفر ، وبقي غومه بأطراف ولاية تونس والتفت عليه أتباع كل ناعق من أهل الفساد الذين يطلبون الرزق بسلاحهم . وأحسن الباي منه ببادي الشر فكاتبه أن يرحل لدواخل العمالة قرب القيروان أو الحاضرة ، فتعلل بتعذر ذلك لكثرة من معه بسوائهم وواسطته قنصل الفرنسيس يحط به في حبله ويستمر مساويه .

ولم يزل يفسد في العريان ويستميل ضعفاء العقول بالتنفير من أداء الاعانة وكف العقارب عن لسعها تكليف ما ليس في وسعها . ولما تفاقم الأمر ، وكاد أن يتسع الحرق على الراقع لزم الباي تلافي الحال ودفع الضرر فجهز محلة بالفرسان من المخازنية وأمراء العروش القريبة من تلك الناحية بالاتفاق مع المحلة وبعث بها آلياً كاملاً من عساكر النظام بالساحل وما يلزمه من المدافع والطويحية ، ولم يستقدمهم

لتونس رفقا بهم ، وأمر أمير المحلة بقودهم الى سوسة وأطلق يده في الاستنجد بمن يريده من العروش والعسكر ، وتطوع (أمير الأمراء أبو محمد رشيد) بالسفر مع عسكر المحلة طوع اذن أميرها ، لما في هذا الأمير من السياسة التي يقود بها أنظاره وأكفاه .

ونص ما كتبه الباي

« من عبد الله ، سبحانه ، المتوكل عليه ، المفوض جميع الأمور اليه ، المشير محمد باشا باي ، وفقه الله لما يرضاه ، وعانه على ما أولاه ، وإلى طرق الصلاح هداه ، والهدى هدى الله » .

الى حياة الوطن وأهل الفيرة على الامرة والصولة خاصة أولادي ، ومحلم وان بعد فقي فؤادي ، كافة المساكر ، والضباط والفسيلات ، المأمورين منا بالسفر الى الاعراض ، مع أمير الأمراء ، وفريد الكبراء ، وفخر الاركان : الوزير السيف الأمضى ، والثقة المعتمد الأرضي ، ابننا (محمد) أمير الاعراض قرن الله بالنجاح مسعاهم ، وحفظهم ورعاهم ، وحما حياهم ، وثبت على قوس الطاعة مرماهم .

اما بعد السلام عليكم ، وملازمة الدعاء اليكم ، فأنتم بقوة الله أعظم قوتي ، ومظهر صولتي ، بغيرتكم أقتاد العصاة من نواصيها ، ولا يبعد بشجاعتكم قاصيها ، ويدين لأمر الله بالطاعة متعاصيها ، وقد قرن الله سبحانه النجاح والظفر بطاعة المأمور للأمير ، في الشاق واليسير ، والقليل والكثير ولا ينبئك مثل خير ، وطاعة الأمراء والولاة من أول واجباتكم ، فلا يخفى عنكم ، وسبحان من يقول (يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) والاخلال بواجباتها قطع

لسلك كل جماعة ، وهو السبب الأعظم والعياذ بالله في المضاعة ، وانتم بحمد الله معتمدون فيها بحبل المتين ، وانما امتثلت قول الله (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) ، وهذا أمير علتكم ، المحوطة بأمن الله وهمتكم ، الذي اخترته لإعزاز رأيكم ، واظهار شجاعتكم ، المبنية على أساس طاعتكم ، كما اخترتكم لبذل النفوس في انقاذ ما يأمركم به وقد رعاه عيني ، اذ هو معكم كالجزء مني ، فحسبه ان يأمركم بما هو مأمور به من الأعمال ، وحبكم المسارعة للامثال ، في اي جهة وعلى كل حال ، فارفعوا اليه سائر اموركم ، مما يتعلق بفردكم وجموعكم ، وقد اذنته ان يتصرف بما يراه في اميركم ومأموركم ، أعلموا أنه يباشركم بيدي ويأمركم بلساني ، وهو وان بعد عني فهو نصب عياني ، لأنه الثقة الأمين على ما يراه منكم ، وارجو الله ان يسمعي ما ينفعكم ويسرني ، والله المسؤول ان يسدد منكم القول والعمل ، ويبلغني من صلاحكم غاية الأمل .

وقد أمرنا العدة الثقة الأحزم الأحظى ، نخبة الأركان ، وعدة أهل الشأن ، وفارس ميادين السيف والسنان ، أمير الامراء ابننا رشيد أن يعلن بقراءة هذا الظهير على جمعكم ، حتى يمتزج أمره ونهيه بقلبيكم وسمعكم ، فأنتم الأولاد البررة الطائعون ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، ويبقى هذا الظهير بعد قراءته في موكبكم ، بيد من قلدته في هذه الوجبة أحكامكم ، وجعلت بيده التي هي يدي زمامكم ، وقد أمرته أن تكون قراءته بمرأى منه وسمع ، في ذلك المجمع ، واستودعكم الله الذي ما خاب طائعه ، ولا ضاعت ودائعه ، والله ولي

المؤمنين ، وكتب في العشرين من ذي الحجة الحرام سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف . »

ولما وصل هذا الأمير الى نحو غومه كاتبه بخيراً له « بين أن يرحل لدواخل المملكة ، او يبعد عن اطرافها ، وان خاف يبعث معه من يوصله منجاة . . » فتعلل وأفضى الحال الى الحرب في مفاوز الصحراء فقاتله حتى شئت جموعه وشردهم وفر غومه ناجياً بنفسه . وكانت مدة السفر بهذه المحلة ستة اشهر . ومهد تلك الجهة وأعاد لها الراحة ، وامن الساحة ، ورجع منصوراً مشكوراً . وعاد غومه الى حاله من الأجلاب على وطن طرابلس وغزاه فأنقضية « غدامس » . ولما اتصل خبره بوالي الايالة (عثمان باشا) سرح اليه اللواء (مصطفى باشا) في العساكر ومعه (علي بك رئيس) الارناؤودي والحاج (أحمد الادغم) لقتاله فلقبه بالصحراء بموضع يعرف بوادي « وان » وحملوا عليه ، وقتل غومه وتفرقت جموعه . وذلك في عاشر رجب سنة (١٢٧٤) أربع وسبعين ومائتين وألف وعهد الهناء والراحة وأمن الساحة .

ولاية الوزير الحاج أحمد عزت باشا

وفيهما عزل الوالي (عثمان باشا) ووجهت هذه الايالة لعهد الوزير الحاج أحمد عزت باشا ، وقدمها في احد عشر صفر الخير من هذه السنة وقام بأعباء الولاية أتم قيام .

وكان عالماً نبيهاً صافي السريرة متوشحاً بالصبر ، والحلم ، والبأس ،

له الرأي الثاقب الذي تخفى مكائده ، وتظهر فوائده ويرى العواقب في
مرآة عقله ، وبصيرة ذكائه وفضله كأنه ينظر الى الغيب من وراء
ستر رقيق ، ويطالع بعين السداد والتوفيق .

وفي خلال مدته انتقضت أهالي سرت وأجلبوا على بعض « كور
السودان » ونهبوا أموالهم ، وسبوا أولادهم . ولما اتصل خبرهم بالوالي
المشار اليه وجه عنايته لتأديبهم والايقاع بهم وترهيبهم ، وسرح لهم
العساكر واحتازهم حتى استقاموا على الطاعة ، واستوفى ما تراكم
لدهم من الجباية وعم الأمن في أنحاء الأيالة . وألزم كل طبقة أن لا
تتعدى أطوارها ، أو تخالف دورها ، أو تجاوز بأمر طاعته قورها ،
ونامت الاجفان ، وتكيف الامان ، وصارت اللسن عليه بالثناء
ناطقة ، والقلوب على موته متطابقة ، والشهادات له بالفضل متناسقة ،
وهو أول من أسس المكاتب الرشدية واعتنى بأمر البوستة ، فابتاع
باخرة وسماها « المولودية » وأعدّها للسفر بالحررات الرسمية وأوراق
المخابرات التجارية .

العارف بالله السيد محمد بن السيد علي السنوسي

قال العلامة الفاضل الاستاذ (فالج) بن (محمد) بن (عبد الله) بن
(فالج) الظاهري ، المهنوي : وشيخنا هو شيخ الاسلام ، بشهادة
جهازة مشايخه الاعلام ، شريف النسب والحسب (السيد محمد بن السيد
علي بن السنوس الخطابي الادريس الحسني) .

ولادته بالمغرب الاوسط بمنزل أسلافه الكرام على ضفتي « وادي شلف » و « مينا » من ضواحي مدينة « مستغانم » عام (١٢٠٢) اثنين ومائتين وألف في الثاني عشر من ربيع الأول . ولذا سمي (محمداً) .

ومات والده وهو صغير ، ونشأ في حجر عمته وكانت من الصالحات رحمها الله تعالى ، كما هو المألوف في رجال أهل البيت الشريف ونسائهم . واشغلته بعلم العقائد ، والتوحيد صغيراً ، بعد أن جمع القرآن فأتقن الفن على أكابر علماء بلده . وكان ذلك الزمن كثير العلماء المحققين في كل قطر من اقطار العريضة ، حتى قال له بعض مشايخه « إن هذا القدر الذي معك من علم أصول الدين على صغر سنك لا يوجد عند اكابر علماء بلدك » .

ومن مشاهير بلاده الذين أخذ عنهم ، واستصفى ما لديهم ، الشيخ الصالح (ابو طالب المازوني) ، كسيدي (أبي المهل) و (ابن القندوز المستغامي) و (أبو رأس العسكري) كبن (عجيبية) صاحب التفسير العجيب وسيدي (محمد بن عبد القادر) ابن أبي رويته ذي السند العالي .

ومن مشاهير فاس الامام العلامة المحقق في المعقول ، الغيث الشجاع ؛ والبحر المتلاطم الأمواج ، سيدي (حمدون بن الحاج) كالعلامة المحقق سيدي (الطيب الكيراني) والفهامة الجامع بين الرواية والدراية ، العلامة (البدر محمد بن عامر المعواني) وسيدي (ابي بكر الأدرسي) الشهير في النجامة . وسيدي (العربي بن احمد الدرقاوي) الشريف الحسني من اهل الاستقامة . وبصر عن الشيخ (علي الميلي التونسي)

و (الشيخ ثعلب) و (الشيخ الصاوي) من المالكية و (العطار)
و (القويسني) و (النجار) من الشافعية . وبالحرمين الشريقتين عن (أبي سليمان
العجمي) حفيد أبي البقاء وعن (أبي حفص) بن عبد الكريم بن
سيد الرسول العطار ، وعن الامام الاكبر والعلم الأشهر ، الامام العالم
العامل ، والانسان الكامل ، مولانا ، شيخ الاسلام (أبو العباس أحمد
ابن عبد الله بن ادريس) الشريف الحسيني العراقي المغربي ثم اليمني
دفن بلد (صبا) المشهورة بصيبا ، فقد اخذ عنه جميع علوم القرآن
الكريم من قراآت وتفسير واحكام ولغات وآداب على اسلم طريق
واوفق نظام ، كالكتب العشرة في الحديث ، والمسانيد ، والمجاميع ،
والمعاجم ذات الثمر النضيد . وأخذ عنه الطريق الشاذلية بجميع
فروعها . ومنها الناصرية عن سيدي (عبد الوهاب التازي) عن
سيدي (محمد بن أبي زيان القندوسي) عن سيدي (مبارك بن
عزى) عن سيدي (محمد بن ناصر) وطريقته الى الشاذلي الى سيدي
(أبي مدين) الى سيدي (عبد القادر) معروفة . وكذا الى
(الفقير) الى (الشيخ نور الدين) عن (الشيخ تاج الدين) الخ
السند الى (الحسن) السبط . وهل هو أول الاقطاب أو أول
الاقطاب أمه (البتول رضي الله عنها) ثم منها الى (ابي بكر رضي
الله عنه) إلى بقية الخلفاء الى (الحسن) الأرجح الثاني .

ومن فوائد الامام ابن ناصر ما نقله عنه اخوه وهو في (الدرر
المرصعة بأخبار علماء أدرعه) ونصه : « ينبغي لكل عاقل ان يفدي
نفسه ومن أحبه من الناس وهي من (لا إله الا الله محمد رسول
الله) سبعون ألفاً بشرط الجمع بين اللفظتين فلو ترك (محمد رسول

الله) ولو مرة واحدة لم يحصل الفداء . وذلك في يوم أو يومين أو شهر أو شهرين ، ويقول في الابتداء (صلى الله عليه وسلم) مرة أو مرتين ليخرج من وعيد « من لم يصل عليه عند ذكره .. » ومن « بسم الله الرحمن الرحيم » اثنا عشر الف . ومن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم الف مرة . ومن « قل هو الله أحد » مائة اه .

قلت : وأفادنا شيخنا رضي الله عنه أن القدية من الصلاة على (النبي صلى الله عليه وسلم) أن يقرأ هذه الصيغة خمسين مرة ونصها (اللهم صل على سيدنا محمد وآل سيدنا محمد ما اتصلت عين بنظر ، وأذن بخبر ، وخطر على قلب بشر ، وتزخرقت الأرضون بالمطر ، وحج حاج واعتمر ، ولبي وحلق وغر ، وطاف بالبيت العتيق وقبّل الحجر ، من أول الدهر ، الى آخر الدهر . اه .)

ورأيت في فتاوى الامام (ابن ناصر) رضي الله عنه سئل عن تعاطي (طابا) فقال : من تعاطاها شرباً في القصب أو مضغاً أو نشوقاً فليس له عندنا شيء اه . مع أن تلميذه الامام اليوسي نقل عنه في آخر شرح دليته الطويلة التي مدحه بها ان الشيخ قيل له : لو شفعت في أهل عصرك ؟ فقال : الناس معنا على ثلاثة أقسام ، منتسب إلينا ، فهذا لا كلام عليه . ومحب ، فهذا لاحق بالأول ، ومبغض ، فهذا له علينا أن ننفعه في دنياه اه .

فانظر هذا الكرم ما أشمله ، وإذا كان هذا التكرم كله من مخلوق له بالله تعالى اتصال من جهة صالح الأعمال فيما بالك بكرم الخالق جل وعلا !... اللهم يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي على دينك آمين .

فهذه الشاذلية قادرية وسواها . وأما القادرية فعن (أبي العباس

العراشي) عن (أبي المواهب التازي) الحسني عن (أبي العباس البراني) عن الشيخ (عبد القادر) مفتي مكة عن السيد (سعد الله ابن غلام الآه داد) أي عطية الله ، عن مظهر النور (السيد عبد الشكور) عن (شاه مسعود الاسفرائي) عن الشيخ (علي الحسيني) عن الشيخ (جعفر بن أحمد الحسيني) عن الشيخ (عبد الله الحسيني القاري) عن الشيخ (عبد الرزاق) عن أبيه امام الطريقة سيدي (عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني) الخ السند المار . فهذه الطرائق المشهورة عند أهل المغرب .

وأما (التيجانية) فمن أبي العباس التيجاني نفسه . وبطرابلس الغرب عن الامام (أبي العباس أحمد بن أبي زيد عبد الرحمن الطبولي) الشريف الحسني . وهو عن شيوخ كثيرة منهم سيدي (محمد بن الصادق ابن أحمد الشريف) الريسوف العلمي عن (القادري) و (البناني) وسيدي (عبد الوهاب التازي) ومنهم شيخ الاسلام (العدوي) وتلامذته والشيخ (محمد بن عبد الكريم) الياني ومنهم أبو حفص (عمر بن محمد بن علي الحساني) عن والده . والعلامة سيدي (أحمد ابن عبد الله الغرني الرباطي) .

قال : والوالد عن الشيخ العلامة (محمد الصالح الحضيوي السبهاوي الفزاني) عن الشيخ (محمد الطهطاوي) المالكي عن الشيخ (سالم السنهوري) و (الشيخ أحمد الكلبي) و (الشيخ يوسف الزرقاني) و (السيد ابراهيم اللقاني) المالكية . و (الشيخ علي الحضيوي) احد شراح المختصر و (الغرني) عن (التاج القلعي) عن مسانيد الحجاز السبعة وكل هؤلاء الاساتذة كبار تلقيت عنهم معارف وأسرار . لا تذكر الا مشافهة لأهلها .

قال شيخنا : أتاننا خبر وفاة الامام السند (أبي العباس الطبولي)
 عام نيف وخمسين . والغالب على ظني أن هذا النيف أربعة . قال
 الفقير : واما وفاة شيخنا شيخ الاسلام السيد الشريف (محمد بن علي بن
 السنوسي) فكانت عام (١٢٧٦) ستة وسبعين بتقديم السين المهمة على
 الباء الموحدة ومائتين والـف ، ودفن بزاويته الشهيرة الكائنة بوادي
 (الجغبوب) من (اودية) سنترية التي هي صحراء المدينة القديمة
 المعروفة بمدينة (لك) من مدن شرق برقه بينها وبين ذلك الوادي
 مهامه ومفاوز تسري الريح فيها فتتلف ، وعلى ذلك الوادي الآن من
 النضرة والرونق ببركات الشيخ رضي الله عنه ما هو ظاهر ، وان كان
 سيح التربة غير عذب الماء .

* * *

ومما كان رغب به قلم الفقير في مديحه على أسلوب العلماء قولي :

ما عيب شيء عيب مظل غني
 لديون صفر راحتين شجي
 والظلم يا ذا الظلم يخشى غيـه
 والهجر هجر عند كل حي
 وأنا وصي الراشدين يا حكم الهوى
 لا تمض قولهم بدون وصي
 واذا هم نطقوا بمنع الجمع بي
 عاند فما هم غير كل خلي

وإذا هم ابتدؤا الكلام فردده
 ليقين ودي نسخ كل فري
 وزن المقال يشر عليك بصرفهم
 لم يظفروا من حاجهم بدني
 فما عياها المحيل لناظري
 والطرف ميال لكل يبي
 لو لم يكن قمر الدجى ما غرني
 عن منهج نحو السلو سوي
 لي نسبة فيها تحرر منظري
 يهدي إليها فهم كل ذكي
 جسمي السقيم لجفنها ونحوه
 انحول خصر كالصريم مضي
 أعملت بيض صوامري في قومها
 لوصالها من كف كل كمي
 ولدغتهم بأراقم سمر القنا
 ولستهم بعقارب الحرمي
 فاستأثرت مني لهم بلوا حظ
 وسوالف وحواجب كقسي
 لم تحط عدل الحكم في أمر امرئ
 عند الجزاء بفعله مجزي

شدت وثاقي في الهوى من لي بأن
 ترثي خيال أسيرها العذري
 السعد يا سعدى لديك محب
 والود ذو نفع اليك بكى
 ماذا عليك وقد بخلت بزورة
 أن تبعثي طيف الخيال يحبي
 اني لأمنحك المودة قد صفت
 من كل مذك للعتاب بغي
 وأظن ظن محقق أن الهوى
 ان شيب ليس من الوهى بنجي
 عطفاً على محروم نوم ذي حشا
 من حب ذي خفر سواك بري
 كبراءة من كل لؤم حازها
 شيخ الشيوخ (محمد بن علي)
 سامي المكان مكان كل فضيلة
 ظل الورى بالمجتدين حفي



هذا ما حضرني منها الآن الى غيرها من القصائد ، وهي في أيدي

الطلبة شذر مذر كثر لي مضمناً :

يا ابن السنوسي يا زين الفضائل ان
زانت سواك فساد القوم يا ابن علي
لم يبق جودك لي شيئاً أومله
تركنتني أصحاب الدنيا بلا أمل



وتفصيل علومه ورواياته رضي الله عنه في ثبتنا (شيم البارق ، من
ديم المهارق) وهو ثبت محرر جامع في غاية الضبط والحمد لله
وشكراً له .

ومن أمثل الأوراد عندهم نفعاً (المسبعات العشر المروية عن العبد
الصالح كزرن وبيرة المذكورة في الاحياء) وكذا (سبحان الله وبحمده
سبحان الله العظيم . أستغفر الله مائة مرة وكذا لا اله الا الله الملك
الحق المبين مائة مرة . وكذا : (اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي
وعلى آله وصحبه وسلم مائة مرة) . قال شيخنا شيخ الاسلام رحمه
الله تعالى انني والله الحمد قد صحبت تسعة وأربعين شيخاً من المشايخ
الأخيار وكلهم ماتوا في حياتي وورثت أحوالهم . هكذا ذكر عن
نفسه ، وفضل الله غير محصور . وكرامات الأولياء عندنا أهل السنة
والجماعة حق ، ولا تختص بغير نحو والد بلا والد خلافاً للأستاذ
(القشيري) .

قال الفقير : اما ما كان عند شيخنا من علوم الرواية والدراية

فحسبى ان يكون حصل لنا منه شيء ؛ واما ما عنده من علوم
 الاستقامة وثمراتها فنحن منه بلا حس البقر أولادها ، ولا حول ولا
 قوة الا بالله العلي العظيم . كيف وأقل صفاتها الذميمة حب المال
 والجاه ... وقد قال صلى الله عليه وسلم كما في الترمذي (ما ذئبان
 جائعان ارسلا في غنم بأفسد لها من حب المال والشرف لدين المرء
 المسلم) ، ثم انا إذا عملنا عملاً فهو مدخول وإذا لازمنا ورداً فلا
 نلزمه الا لما يذكر من ثمراته العاجلة لا للقرب والوصول ؛ فأحسن
 احوالنا مع الله الشرك الخفي الذي هو شرك الأغراض ، واعدل الصحة
 لنا مع هذا الداء الذي هو أسوأ الامراض . لا ملجأ ولا منجى من
 الله الا اليه . اللهم اليك اللجا ، وفيك الرجاء ، يا حي يا قيوم ،
 برحمتك استغيث فأصلح لي شأني كله ولا تكلني الى نفسي طرفة عين ،
 وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ولاية الوزير محمود نديم باشا

وفي سادس عشر محرم سنة (١٢٧٧) سبع ووسبعين مائتين والـ
 صار انفصال (الحاج أحمد عزت باشا) لسنتين وشهرين من ولايته
 وحصل الفضل بولاية الوزير الأعظم محمود نديم باشا ، وقدم الـ
 وتولى زمام الأمر فيها . وكان ثاقب الرأي عالي الهمة ، ولم يظهر في
 خلال مدته ما يكدر صفو الراحة لما مهد له اسلافه العظام . وقام
 بـاعباء الـ أتم قيام ، وأخذ كل طبقة بما عليها وما لها أخذاً يحوط
 مالها ويحفظ عليها كما لها .

ولما كانت ثروة البلاد على قدر ما يخرج من نتائجها للغير ، كإجادة
المصنوعات ، وهذه الديار متأخرة عن غيرها من سائر الممالك المحروسة
في إيجاد الصنعة ، والخارج من مصنوعها قليل جداً فثروتها الحقيقية هي
ما يخرج من أرضها وتربتها الطبيعية الخصبة .

فوجه الوالي المشار اليه انظاره لذلك . وجلب غرس الزيتون من
منابتها ووزعه على أهالي قضاء ترهونه بواسطة مشايخهم وحملهم على
غرسه في الأماكن الصالحة لغرس ونبت نباتا حسنا .

وفي سنة احدى وثمانين ومائتين والـ الف ورد من دار الخلافة العلية
فرمان عالي الشأن بتشكيل هذه الايالة ولاية ، واجراء نظامها
المخصوص المبني أساسه على الانصاف والعدالة وعدم الانحراف ، فتلقاء
الوالي بكمال التعظيم والاحترام والتكريم ، وجمع موكباً مشهوداً بالعلماء
والامراء وأعيان البلاد وغيرهم وقرأ عليهم الفرمان وصرخت مدافع
السرور ، ثم باشر بتوزيع الوظائف على مقتضى أحكامه ، ووضع
مجالس الجنابات ، والحقوق ، والتجارة ، وفق نظامه .

وفي هذه السنة أسس مطبعة بقصر الحكومة لصحف الأخبار
والوقائع ، وسميت صحيفتها (طرابلس غرب) ولا أقول إن المطابع
من التحسين بل هي في درجة الحاجة ؛ ولا يخفى أنها من فوائد
العمران لأنها تفيد آداب النفس وتسهل وجود الكتب النافعة المفيدة
التي كانت مقصورة على الأغنياء فخرجت بالمطابع من حيز العدم الى
حيز الوجود . وغير ذلك من الفوائد التي لا تحصى .

وفي أواسط محرم سنة (٢٨٢) ثنتين وثمانين احترق مخزن البارود

- الجبخانه - الكائن بالبرج الأحمر وطارت انقاضه وصخوره الهائلة في الجو بمن كان فيه من العساكر وعددهم نحو الثلثمائة ، ووقعت بعض تلك الصخور على البيوت المجاورة اليه فهدمت منها نحو أربعين بيتاً ومات فيها نحو المائة نسمة .

وفيها فتح باب جديد للشعر من الجهة الغربية لعمران تلك الجهة وتسهلاً للمواصلات بين سكان المدينة وأهل المنشية والقرى المجاورة .

وفيها أبطل ما كان يعمل في ليلة عاشوراء وذلك أن بعض الرعاع من العامة يحملون شبه رأس جمل ويدورون به أزقة البلد والحدارات ، فأفتى بعض العلماء بأن هذا من فعل الشيعة من أهل البدع يتذكرون مصرع (سيدنا الحسين) رضي الله عنه بكربلا وقد كان ذلك في دولة (بني عبيد) .

ولاية المشير علي رضا باشا

وفي السابع والعشرين من ربيع الأول سنة (٢٨٣) ثلاث وثمانين ومائتين صار فصل (محمود نديم باشا) لست سفين وثلاثة أشهر من ولايته ، وقدم المشير علي رضا باشا والياً وقوماندانا على الفرقة العسكرية فيها .

وقد حصل له من حميد الذكر وجميل النشر ما لا تزال الرواة تدرسه ، والتواريخ تحرسه .

وكان حريصاً على ترقى الولاية وتوسيع نطاق التجارة والصناعة والزراعة فيها .

ومن آثاره الحميدة تسوية الطرق والمعابر بداخل النغر وخارجه ، وتنظيم البوطة ومد سلك التلغراف برأ من نفس الولاية الى أن شارف متصرفية « لواء الخمس » مصمماً على ايصاله الى الحدود المصرية .

ولما علم ما تقاسيه سكنة النغر من قلة الماء وشدة احتياجهم اليه لعدم وجود الانهر وندرة العيون الجارية تثبت باخراجه من أعناق الارض بواسطة القواني والادوات الجديدة الحديثة الاختراع وقتئذ ، فأخرج عيناً بخارج النغر وجعل عليها سبيلاً . وربط الأودية وجعل لها ترعاً وسواقي وسلط مياهها على المزارع .

ووضع (صندوق المنافع العمومية) وأزاح بواسطته العلل وحمل الناس على الاجتهاد في الزراعة ، وتعاطي اسباب الثروة والعمران .

وأباح للعموم البناء بخارج النغر وأسس « سوق العزيزية » وباتصاله الحديقة العمومية . وأنشأ « موقتخانة » وفوقها ساعة كبيرة ذات ناقوس جسيم يسمع صوته من بعد أميال مع مسجد بدائرة الحكومة .

واسس ناحيتي « البونبه » و « وطوبرق »^(١) وبنى بهما قصرين للحكومة .

وفي سنة (٢٨٦) ست وثمانين ومائتين قوي الريح الشرقي وهاج

(١) البونبه : ميناء متسع يحكم الاركان كلن شرقي بنغازي بعده عن « درنه » (٤٥) ميلا بحرياً . وطوبرق : ايضاً ميناء أعظم من الاول اتصاعاً حصينة المدخل جداً . كائنه شرقي البونبه بعدما عن (درنه) (٨٠) ميلا بحرياً ؛ وعن (بنغازي) (٢٤٠) ميلا بحرياً . وعن الاسكندرية من جهة الشرق (٣٠٠) ميل بحري .

البحر وتراكمت فيه الأمواج فالقت على ساحل الهندشير حوتاً عظيماً لم ير الراؤون ، مثله وكان طولـه بحسب الحدس نحو ستين ذراعاً وعرضه نحو عشرة أذرع فهرعت اليه الناس من كل مكان وقطعوه إرباً وأخذ كل احد ما قدر عليه ومست حاجته اليه . ثم ان الوالي امر بجمع عظامه بتمامها فجمعت وأرسلها الى « موزه خانه » بدار السعادة العلية .

ولاية محمد حالت باشا

وفي سادس عشرة جمادى الآخرة سنة (٢٨٧) سبع وثمانين ومائتين صار فصل (علي باشا) بحب الايجاب لستين وتسعة أشهر من ولايته وولي الوزير (محمد حالت باشا) وقدم الولاية وتسلم زمام الامر فيها .

وكان كريم العهد صحيح العقد فأبطل التلغراف الذي وضعه سلفه .

وفي خلال مدته ثار عموم الاهالي بشيخ البلد يومئذ (علي افندي القرقي) وقدموا اليه فيه شكايات متعددة ودعاوى متنوعة فصرف الوالي أوقاته في التحري في تلك النوازل .

وفي اواخر سنة (٢٨٨) ثمان وثمانين ومائتين وقع امساك في الغيث وجذب شديد ومحل عظيم ونقص في الاموال والأنفس والشمرات ، فارتفعت أسعار الحبوب وعجزت الناس على الأقوات ، وفشي فيهم المرض والموت ممن تناولهم المأكولات الردية ، واشتد الخطب على الرعية ، وجزعت به الناس وطاشت افكارهم وباعت الاغنياء مواشيهم

وآلات حرثهم لسد رمقهم فانتدب الوالي واعان الفقراء بما لم يتقدم نظيره ، واتخذ مستشفى للمرضى واطعامية لعموم المحتاجين وسمت العرب عامهم هذا (عام الجزر) لأنه كان أكثر غذائهم منه .

ثم بانتهاء الدعاوى على الشيخ القرقي وتام المحاكمات وصدور الأحكام فيها انتهت مدة الوالي المشار اليه .

ولاية الوزير محمد رشيد باشا

وفي اثنين وعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة عزل (حالت باشا) لسنة وستة أشهر من ولايته وولي الوزير محمد رشيد باشا . وكان نافذ التدبير ناجحة مآربه منهجة أقواله غير أنه لم تطل أيامه .

ولاية المشير علي رضا باشا

وفي تاسع عشر صفر سنة (٢٨٩) تسع وثمانين عزل (محمد رشيد باشا) بحسب الايجاب لثانية أشهر من ولايته وولي المشير علي رضا باشا ولايته الثانية فراجت في أيامه (تجارة الحلقة) () وعم نفعها فاهتم بوضع المراسي في المواقع المقتضية تسهيلا لتناول تجارتها وجعل لها أسواقاً ووضع عليها الضرائب .

(١) الحلقة والحلب محرقة نبت ، الواحدة منه حلقة كفوحة وخسبة وصحراء ووادي حلافي . انتهى قاموس .

ولاية المشير سامح باشا

وفي احدى عشر من ربيع الآخر سنة (١٢٩١) احدى وتسعين ومائتين وألف صار عزل (علي رضا باشا) لسنة ولايته وقدم المشير سامح باشا والياً وقومانداناً على الفرقة العسكرية فيها .

ومن آثاره تنظيم « سوق الزنايدية » و « سوق الجبابرية » على الاسلوب الجديد في غاية الاستقامة والحن .

وفي صفر الخير سنة (١٢٩٢) اثنتين وتسعين ومائتين قويت الريح الشرقية وطفى البحر وهاج وتلاطمت فيه الأمواج ورعودها تسمع من نحو العشرين ميلاً وألقى سبعة مراكب متجربة على ساحل الازرار فأصبحت صرعى ونالت أيدي الأمواج في فصلها بعد وصلها .

ولاية المشير مصطفى عاصم باشا

وفي تسع وعشرين من شعبان سنة (٩٢) اثنتين وتسعين صار عزل (سامح باشا) لسنة وسبعة أشهر من ولايته وولي المشير مصطفى عاصم باشا فكان النجاح معقوداً في نواحي آرائه ، واليمن معتاداً في مذهبه أنحائه .

ومن مآثره الحميدة فتح « قصبة غات » وقدم على ساكنيها من أمن مكره ، وحمدت على الانصاف سيره ، والحقها بتصرفية (لواء فزان) ومنع عموم الأهالي عما يوجب اسقاط الحقوق ويرتب العقوق .

ولاية المشير مصطفى باشا

وفي ثامن جمادى الآخرة سنة (٩٣) ثلاث وتسعين عزل (مصطفى عاصم باشا) لثانية أشهر من ولايته وقدم الولاية المشير مصطفى باشا والياً وقومانداناً على الفرقة العسكرية فيها .

وفي خلال مدته قدم (الفريق حن باشا) في خمسة أساطيل حربية عثمانية وكان بهم بعض التلامذة المنتهين في المكاتب البحرية ... وبعدها أقطع الأسطول العثماني .

ولاية علي كمال باشا

وفي تاسع ذي الحجة الحرام عام (٢٩٥) خمسة وتسعين ومائتين عزل (مصطفى باشا) عن ولاية طرابلس وولي علي كمال باشا من باية الروم ايلي ولم تطل أيامه .

ولاية الوزير محمد صبري باشا

وفي تاسع ربيع الآخر من هذه السنة عزل (علي كمال باشا) بحسب الايجاب لشهرين من ولايته وولي الوزير محمد صبري باشا .

ولاية الوزير محمود جلال الدين باشا

وفي خامس ذي الحجة من هذه السنة صار فصل (محمد صبري باشا) بحسب الايجاب لثانية أشهر من ولايته وولي المشير محمود جلال الدين باشا .

ولاية الوزير الحاج أحمد عزت باشا الثانية

وفي السابع من شعبان عام (٢٩٦) ستة وتسعين ومائتين عزل (محمود جلال الدين باشا) لثانية أشهر من ولايته وولي الوزير الحاج أحمد عزت باشا ولايته الثانية وعاد إليها ، والعود أحمد . فقام بأعباء الولاية كعادته بهمة ورأي كالسهم أصاب غرة الهدف ، ودعاء كالبحر في بعد الغور وقرب المغرب ، لا يضع رأيه الا موضع الاصاله ، ولا يطرق تدبيره الا على مواقع السداد والاحالة ، يعرف من مبادي الأقوال خواتم الأفعال ، وقام بالأمر أتم قيام . وحمل الناس في الاجتهاد بالعمارة على أحسن المذاهب ، ومنعهم من التعاسد على المواهب . وكانت آثاره أشهر رسماً ، وأعطر نسيماً ، منها تأسيس (مكتب الصنایع) و (مستشفى للغرباء) و (اصلاح ما ثلم من القلاع والاسوار) وتأسيس (سوق الحديدية) لتقدم الصنایع وزيادة في واردات البلدية . وبالجمله فاخباره ذكية وآثاره زكية .

ولاية الوزير محمد نظيف باشا

وفي تاسع جادى الآخرة سنة (٢٩٧) سبع وتسعين ومائتين صار فصل (الحاج احمد عزت باشا) لسنة وعشرة أشهر من ولايته ووجهت هذه الولاية لعهد الوزير محمد نظيف باشا . وقدم الولاية وتسلم زمام الأمر وكان صلب الرأي قوي الشكيمة ، عالي الهمة ، شديد المراقبة والحزم . وكانت أيامه تشدخ في جبينها غرة الصباح ، وتهادي انباؤه وفود الرياح .

وقدم (الفريق وصفي باشا) فبادر بالغاء مكتب الصنايع وجعله مخزناً لأرزاق العساكر الشاهانية . وأمر بإبقاء ابواب المدينة مفتوحة في الليل وكانت تغلق بعد العشاء وتتعطل سكان خارج الولاية اذا دعتهم ضرورة لما في المدينة من طيب وخبز ، وكذلك اهل المدينة اذا دعتهم حاجة للمشية . ويقبح هذا في بلد واحدة وقد زالت أسبابه .

وفيهما قدم حضرة صاحب الساحة (حمزة ظافر أفندي) بأمورية فوق العادة فكان له من حسن السيرة ما القلوب تحفظه ، والألسن تشكره .

وفي هذه السنة قدمت عدة بواخر سلطانية مشحونة بمدافع « كروب » والمهات والذخائر الحربية . وصار الشروع في وضع الاستحكامات المتينة في الأماكن المهمة على الطرز الجديد .

وفي خلال مدة يسيرة صار اكمال استحكامي (برج التراب) و (سانية الباشا) ووضعت تلك المدافع الهائلة فيهما ثم دعي لمشاهدة استحكام « سانية الباشا » من كل صنوف الأهالي المستظلين بظلال رضاء مولانا أمير المؤمنين ، وخليفة رسول رب العالمين ، فكان يوماً مشهوداً ، ومن مواسم الأعياد معدوداً ، وامتلأت العيون هيبة وحصل للقلوب السرور بعناية مولانا أمير المؤمنين ، وحامي حمى الدين ، فأصبحت سكنة هذه الولاية منبت الطاعة السلطانية ، في ارغد عيش وأمنه ، واحسن حال يقبضها فيه الحبيب ويتمناه ، آخذين من العز والهناء النصيب الأوفر ، والحظ الأكبر ، مجتهدين في الدعاء ،

والحمد والثناء لحضرة هذا الخليفة العادل ، ظل الله الشامل ، واقفين
عند أمره ، ولو ببذل الارواح ، بما اوجبه عليهم العقائد الدينية ،
والاوامر الالهية قائلين :

اللهم أعز سرير الملك والخلافة بوجوده ، وأعد عن القريب والبعيد
آثار فضله وجوده ، وانصر اللهم جيوشه على من ناواه وأمض في
رؤوس أعدائه صوارمه وقناه ، واجعل مساعيه فيما يرضيك ناجحة ،
وجواري عزائه في بحار الاسعاد سائحة ، واجعل اللهم ألوية نصره
منشورة الذوائب ، مشهورة القواضب ، مشرقة كالشمس يفتش ضوءها
المشارق والمغارب ، ولا برحت أسباب سعادته تقوى ، والقلوب تتمسك
في عبوديته بالسبب الأقوى ، في عز مديد ، ونصر مشيد ، وسلطنة لا
تهتز ولا تبيد ، وسعادة دائمة تتضاعف وتزيد ، وأعنا اللهم على ما
وأجبت له عيناً من فرض الطاعة ، ونأدية الحق يجهد الاستطاعة ،
واجعل نفوسنا الى ما يرضيك جانحة ، وتقبل دعاءنا بجرمة أسرار

الفاتحة

٢

تَقْرِيطُ

جاءت بد قريجة العلامة الفاضل امام البلاغة ، وروض الفضل
ونجم سماء البراعة ، الاستاذ سيدي الشيخ قالح بن محمد بن عبد الله بن
قالح الظاهري المهوي حفظه الله آمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافي مزيده ، والصلاة
والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله واصحابه ذوي الساعي
الحميدة والمآثر المفيدة ، واشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له
احداً صمداً ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً احد ، وأشهد ان
سيدنا محمداً عبده ورسوله أفضل كل والد وما ولد ، ذاتاً ، وشعباً ،
وقبلةً ، وصقلاً ، وملةً ، وكتاباً بل افضل الانبياء فرادى وجمعاً .
اللهم صلّ عليه وعلى آله الاتقياء ، من كل قريب وبعيد ، كما صليت
على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ، وبارك عليه وعلى آله كما باركت على
ابراهيم وعلى آل ابراهيم . في العالمين انك حميد مجيد .

وبعد : فإن الفقير المضطر لرحمة ربه ، في ازاحة خطيه ، وتقريع كربه ، فالج بن محمد بن عبد الله بن فالج الظاهري ، المهنوي ، قربه الله من كل خير حسي ومعنوي ، قد تصفح ما جمعه الابن الشاب الوجيه ، الفاضل النبيه ، الذكي الالهي ، السميع اللوذعي ، السيد احمد بن الشيخ الاجد ، مولانا حسين النائب الأوسي الانصاري ذي النسب الثاقب .

يا اخت آل فراس انني رجل من معشر لهم في المجد ببيان
إما سألت فإننا معشر غيب الازد نسبتنا والماء غسان

او كما قال :

وسطت نسبتي الذوائب منهم كل دار بها أب لي عظيم

في أخبار بلده ، ومنشأ أسلافه ومحتده ، مدينة طرابلس الغربية ، محمد ذوي النفوس الأبية ، من عرب صرحا ، وذوي قرب صلحا ، فوجدت المجموع كثير الفائدة ، ملياً بالعائدة ، نافعا في بابه ، حرياً بأن يحرص على الاطلاع على ما فيه وتطلابه ، الا انه لما كان بالعبارة المألوفة الدارجة ، وهي النافعة لكل ناشر مدارجه ، خشيت عليه من طعن كل غبي متقعر في نحوه ، سكران بعقار اعجابه بنفسه ، لا يميز غيم يومه من صحوه ، والتأليف إنما صدر بنية الافادة ، من غير زيادة مرآة أحد وبئست تلك الزيادة ، فلا ريب ان عودتة بنفث القلم ، وأزلت عن حسن تراكيبه مكروه الألم ، ومسحت عليه ، وأضفت شيئا من متين العلم اليه ، يعجبك سلسل معيغه وتسفحه ، وميزته بقولي (قال متصفحه) . واهتممت به هذا الاهتمام ، تسمياً للمرام ، فان صقع المدينة المذكورة ، احتوى على اخبار حقها أن تجمع ، وتستوجب

أن يصغى إليها ويسمع . وقد قيض الله هذا الشاب الأنجب ، لفتح هذا
 المطلب ، فما كذبت أن اعنته على ذلك الصنيع ، ممثلاً قوله تعالى
 (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) الشنيع ،
 مع اني قد كنت اقممت بهذا الصقع مدة هي زمن الشباب ، وبلوت من
 اخباره وعوائد اهله القديمة والحديثة ما لا يطرقني فيه ارتياب ،
 وعرفت قبائله وعرفوني ، وألقيتهم وألقوني ، وصار لي فيه من التلازمة
 الأنجاب والأصدقاء والأحباب ، ممن (جبل نفوسه) الى (صفراء
 اسكندرية المحروسة) ، العدد الطيب الكثير واللمة الفاخرة ، المرجو
 نعمها إن شاء الله دنيا وآخرة ، وذلك اني رحلت الى هذا الصقع من
 الحرمين الشريفين ، عام احد وسبعين والـف ومائتين ، مع شيخني الهمام
 الكامل ، والعالم العامل ، محرم العلوم ، ومحقق المنطوق منها والمفهوم ،
 شيخ الاسلام ، بشهادة جهازة مشايخه الأعلام ، مولانا وشيخنا واستاذنا
 شريف النسب ، والحسب ، السيد محمد بن السيد علي بن السنوسي
 الخطابي الادريسي الحنـي . وكنت قد اجتمعت به في طيبة الطيبة عام
 ثمانية وستين في اليوم الخامس والعشرين ، من ذي القعدة الحرام ،
 وكنت يومئذ قد جمعت القرآن العزيز ، واستظهرت في الفقه بعض
 المنظوم الوجيز ، فلما قبلت يديه ورأسه وركبتيه ، مثلت قائماً فترك
 جلـيسه وأدار النظر الي وكأنه استعرب ، من غلام ذي وفرة من
 العرب ، ان صدر منه ذلك الأدب ، ومن ذلك الوقت لازمته سقراً
 وحضراً وحججت معه ثلاث مرات ، وألبسني الخرقـة كرات ، واعجبها
 الى انه ذات يوم ، اخذ عرقية كانت على رأسه ، وألبسنيها بيده
 الشريفة ، وقال لي : اخرج الى الطلبة علمهم القرآن . فحصل لي من
 هذه الاشارة على يديه رضي الله عنه وجزاه عني بما هو أهله ما ارجو

معه من الله المزيد . وكان رضي الله عنه يحبني كأشد حب ويحبر بذلك بين أصحابه ويعلمته ، حتى أنه لما وقعت بيني وبين بعضهم وحشة وذكر كلاماً يضعف فيه أساس من حضرة الشيخ رضي الله عنه قلت له يا فلان ناشدتك الله ألم تخبرني غير ما مرة أن الشيخ قال لك عدة مرات فلان ولدي ولدي ولدي ثلاثاً ويربها بقوله وعزيز علي ، فقال أنا لا أنكر ذلك ، والله سبحانه وتعالى بمن علينا بحسن الخاتمة ، من غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة .

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
ولاية رويقع بن ثابت	٣١	خطبة الكتاب	٧
خلافة يزيد بن معاوية	٣١	وصف طرابلس	٨
ذكر من دخل افريقية من الصحابة		ذكر مدينة (لبد) ونعتها	١٣
رضي الله عنهم	٣٣	ذكر اول من سكن طرابلس	١٦
خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية	٣٥	ذكر النسب النبوي الشريف	٢٠
خلافة سيدنا عبد الله بن الزبير	٣٦	خلافة ابي بكر الصديق	
خلافة مروان بن الحكم بن ابي العاص	٣٦	رضي الله عنه	٢٠
خلافة عبد الملك بن مروان	٣٧	خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٢١
خلافة الوليد بن عبد الملك	٣٩	ابتداء فتح طرابلس	٢١
ولاية بكر بن عيسى القيسي	٤٠	خلافة سيدنا عثمان بن عفان	
ذكر المنيذر الصحابي	٤١	رضي الله عنه	٢٣
خلافة سليمان بن عبد الملك	٤٣	انتفاض طرابلس الغرب ونهبها	
خلافة عمر بن عبد العزيز بن مروان	٤٣	وفتح افريقية	٢٣
خلافة يزيد بن عبد الملك	٤٤	ذكر انتفاض افريقية وفتحها	٢٤
خلافة هشام بن عبد الملك	٤٥	خلافة سيدنا علي بن ابي طالب	
خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك	٤٨	رضي الله عنه	٢٥
خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك	٤٨	خلافة سيدنا الحسن بن علي	
خلافة ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك	٤٩	رضي الله عنه	٢٥
خلافة مروان بن محمد بن مروان			
الاول	٤٩	دولة بني امية	٢٦
استيلاء عبد الجبار على طرابلس	٥٠	خلافة سيدنا معاوية رضي الله عنه	٢٦
ولاية حبيب بن عبد الرحمن	٥٠	ولاية عقبه بن نافع طرابلس و افريقية	٢٧

الصفحة	الموضوع
٦٧	ذكر الشيخ عبد الله الشعاب
٦٨	خلافة محمد المنتصر بن جعفر المتوكل
٦٨	خلافة أحمد المستعين بن محمد المعتصم
٦٩	خلافة محمد المعتز بن المتوكل
٦٩	ولاية محمد بن قهر ب
٦٩	خلافة محمد المهدي بن الواثق
٧٠	خلافة المعتد على الله أحمد المتوكل
٧٣	ولاية عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب
٧٣	خلافة أحمد بن المعتضد بن الموفق
٧٣	الشيخ عبد الجبار السري
٨٠	خلافة علي المكتفي بن المعتضد
٨١	التعريف بأصل العبيديين
	ابتداء ظهور دعاة الرافضة وبيعة
٨١	عبد الله المهدي
٨٣	ولاية أحمد بن الأغلب
	البيعة العامة بالقيروان لعبيد الله
٨٤	المهدي
٨٤	ولاية ماكنون بن ضباره اللحياني
٨٥	خلافة القائم بن عبيد الله المهدي
٨٦	وفاة القائم وولاية ابنه المنصور
٨٦	ولاية أبي القتوح زيان الصقلي
٨٧	خلافه المعز بن المنصور العلوي
٨٧	ولاية عبد الله بن يخلق الكتامي
٨٩	الشيخ سعيد بن خلفون الحشاني

الصفحة	الموضوع
٥١	دولة بني العباس
٥١	خلافة أبي العباس عبد الله السفاح
٥٢	خلافة أبي جعفر عبد الله المنصور
٥٣	ولاية عبد الله رحيم أبي الخطاب
٥٤	ولاية المخارق بن غفار الطائي
٥٥	ولاية الجنيد بن بشار الاسدي
٥٦	ذكر جبل نفوسة
٥٨	خلافة محمد المهدي بن المنصور
٥٩	خلافة موسى الهادي بن محمد المهدي
٥٩	خلافة هارون الرشيد
٦٠	ولاية سفيان بن أبي المهاجر
٦٢	ولاية إبراهيم بن سفيان التميمي
٦٢	خلافة محمد الأمين بن هارون الرشيد
٦٢	ولاية عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب
٦٣	ولاية سفيان بن أبي المهاجر الثانية
٦٣	ولاية سفيان بن أبي المهاجر الثالثة
٦٤	ذكر الشيخ عبد الوهاب القيسي
	خلافة عبد الله المأمون بن هارون
٦٤	الرشيد
	خلافة المعتصم أبو اسحق محمد
٦٥	ابن هارون الرشيد
٦٦	ولاية عبد الله بن محمد بن الأغلب
٦٦	خلافة هارون الواثق بن المعتصم
٦٦	خلافة جعفر المتوكل بن المعتصم

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
خلافة العزيز بالله نزار بن المعز	٩٠	التعريف بهرقه واجدانية	١٠٤
ولاية عوصلة بن بكار	٩٠	التعريف بمدينة سرت	١٠٧
الشيخ ابو نزار خطاب البرقي	٩١	ذكر المدينة الحمراء	١٠٨
ابو عبد الله محمد بن حسن		ولاية خزرون بن خليفة	١١٤
الزويلي السرتي	٩١	ولاية المنتصر بن خزرون	١١٥
ابو العباس عبد الله بن عبد		ولاية خليفة بن خزرون	١١٦
الرحمن الاجذابي المؤرخ	٩٢	الشيخ محمد بن شرف الاجذابي	١١٦
خلافة الحاكم بامر الله ابي علي		خلافة المستعلي بالله ابي القاسم	
المنصور	٩٣	احمد بن المنتصر	١١٨
ولاية يأنس الصقلي	٩٤	ولاية شاهملك	١١٨
ولاية قلقول بن سعيد بن خزرون	٩٥	ولاية محمد بن خزرون بن خليفة	١١٩
الشيخ احمد بن خلف الاجذابي	٩٥	خلافة الأمر بأحكام الله ابي علي	
ولاية وروا بن سعيد	٩٦	المنصور	١١٩
ولاية محمد بن الحسن	٩٧	خلافة الحافظ لدين الله عبد المجيد	١٢١
ولاية عبد الله بن حسن	٩٩	استيلاء الافرنج على طرابلس	١٢٢
خلافة الظاهر بن الحاكم بامر الله	٩٩	ولاية ابو يحيى بن مطروح	١٢٣
ولاية خليفة بن وروا	١٠٠	خلافة اسماعيل أبو القسدا	
خلافة المنتصر بالله ابي عمير بن الظاهر	١٠٠	الظافر بأعداء الله	١٢٤
الشيخ ابو الحسن المنمر	١٠١	خلافة الفائز بنصر الله بن اسماعيل	١٢٤
ولاية سعيد بن خزرون	١٠١	خلافة ابي محمد عبد الله العاصد	
الشيخ الحسين بن عبد الرحمن		لدين الله	١٢٤
الاجذابي المؤرخ	١٠٢	الخبر عن الموحدين واولية امرهم	١٢٥
الخبر عن دخول العرب من بني		ولاية ابي يحيى بن مطروح الثانية	١٢٨
هلال وسليم الى ارض افريقية	١٠٢	ولاية يوسف بن عبد المؤمن	١٢٨

الموضوع	الصفحة
ولاية محمد بن ثابت	١٦٤
ولاية ثابت بن محمد بن ثابت	١٦٥
الخبر عن استيلاء النصارى على طرابلس	١٦٦
استيلاء احمد بن مكى على طرابلس	١٦٧
الفقيه ابو موسى بن عمران الهواري	١٦٧
ولاية عبد الرحمن بن مكى	١٦٨
ولاية ابي بكر بن محمد بن ثابت	١٦٨
ولاية علي بن عمران بن ثابت	١٦٩
ولاية يحيى بن ابي بكر بن ثابت	١٧٠
ولاية عبد العزيز	١٧١
ابو سمير عبيد بن يعيش الغرياني	١٧١
ولاية محمد المنصور بن ابي فارس	١٧٢
ولاية ابي حمد بن عبد الواحد	١٧٣
ولاية ابي بكر بن عثمان	١٧٣
ولاية محمد بن الحسن	١٧٤
الشيخ حلولو اليزليتي	١٧٥
الشيخ يوسف الجمراني المسلاقي	١٧٧
ولايسة العارف بالله اسماعيل	
ابن يربوع	١٧٨
الاستاذ عبد الرحمن الغرياني	١٧٩
الاستاذ عمر المسراقي	١٨٠
الفقيه عبد الله الغرياني	١٨٠
الاستاذ عمر بن محمد السوكتي	١٨٠

الموضوع	الصفحة
ظهور الدولة الايوبية	١٢٩
استيلاء قره قوش على طرابلس	١٣١
ذكر مدينة زويله	١٣١
ولاية يعقوب المنصور بن عبد المؤمن	١٣٣
خروج بن غانية الميورقي	١٣٤
قدوم علي بن غانية الى طرابلس	١٣٧
ولاية ياقوت على طرابلس	١٣٩
ولاية تاشفين بن الغاني	١٤٠
ولاية محمد الناصر بن يعقوب	١٤١
ولاية عبد الله بن ابراهيم بن جامع	١٤٢
الشيخ عبد السلام بن عبد	
الغالب المسراقي	١٤٥
ولاية محمد بن عيسى الهنتاتي	١٤٩
الاستاذ محمد بن ابي الدنيا	١٥١
ظهور الداعي ابي عمارة	١٥٢
الحافظ ابو اسحق بن الاجذابي	١٥٣
ولاية يوسف بن طاهر اليربوعي	١٥٥
ابو عبد الله محمد بن مكرم	١٥٦
ابراهيم بن عبد السلام بن	
عبد الغالب المسراقي	١٥٨
ابو سعيد قرع بن عبد الله المسراقي	١٦٠
ابو عبد الله محمد بن احمد اليزليتي	١٦١
ولاية محمد بن ابي عمران	١٦٣
ولاية ثابت بن محمد بن ثابت	١٦٤

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الفقيه محمد الغرياني	١٨١	ولاية يحيى باشا	٢١٠
العارف بالله أحمد زروق البرنسي	١٨١	ولاية مصطفى باتا	٢١١
الولي الصالح سالم المشاط	١٨٤	خلافة السلطان سليم خان الثاني	٢١١
استيلاء الاسبانيول على طرابلس	١٨٤	سيدي احمد بن عبد الحميد	
ذكر ظهور آل عثمان في افق الخلافة	١٨٥	اليربوعي الشهير ببحر السباح	٢١٢
وفدا عيان طرابلس الى دار الخلافة	١٨٦	خلافة امير المؤمنين السلطان مراد	
خلافة امير المؤمنين السلطان سليمان الغازي	١٨٧	خان الثالث	٢١٤
ولاية مراد آغا	١٧٨	ولاية محمد باشا	٢١٥
الشيخ محمد بن عبد الرحمن الخطاب	١٩٠	الشيخ احمد الكمودي	٢١٥
الاستاذ محمد الخطاب	١٩٤	الشيخ احمد ابو قطاية المجذوب	٢١٧
الشيخ عبد الرحمن التاجوري	١٩٧	ولاية جعفر باشا	٢١٨
الفقيه الطيب بن ابي بكر الغدامسي	١٩٩	الشيخ محمد بن علي السملقي	٢١٩
الاستاذ محمد بن علي الخروبي	١٩٩	الشيخ عبد الحميد المشهور	
الاستاذ الحاج قاسم بن قلاع	٢٠٠	بضوء الهلال	٢٢٠
الاستاذ عبد النبي الجبالي	٢٠٢	الاستاذ ابو زكريا يحيى الخطاب	٢٢١
الاستاذ خليفة ابو غراره	٢٠٣	ابو الحسن علي بن محمد البشت	٢٢٣
الولي البدل محمد شان الشان	٢٠٥	الشيخ ابراهيم بن علي العوسجي	٢٢٣
الاستاذ عبد الرحمن بن عبيد التاجوري	٢٠٦	عمر بن عبد الرحمن القريو	٢٢٤
العارف بالله عبد السلام الاسمر		خلافة السلطان محمد خان الثالث	٢٢٥
الفيثوري	٢٠٨	ولاية سليمان طاي	٢٢٥
ولاية طرغود باشا	٢٠٩	خلافة السلطان احمد خان الاول	٢٢٦
		الشيخ محمد بن شعبان	٢٢٨
		ولاية شريف باشا	٢٢٩
		السلطان مصطفى خان الأول	٢٢٩

الموضوع	الصفحة
خلافة السلطان عثمان خان الثاني	٢٣٠
خلافة السلطان مصطفى خان	
الاول الثانية	٢٣٠
خلافة السلطان مراد خان الرابع	٢٣١
ولاية رمضان طاي	٢٣١
محمد باشا الصاقزلي	٢٣٤
ذكر بلد (ساحل آل حامد)	
والوالي الصالح سيدي مفتاح	٢٣٣
خلافة السلطان ابراهيم خان	٢٣٧
ذكر الولي سيدي محمد الصيد	٢٣٨
خلافة امير المؤمنين السلطان	
محمد خان الرابع	٢٣٧
ولاية عثمان باشا الساقرلي	٢٣٩
غريبة !	٢٤١
الشيخ احمد بن عيسى اليربوعي	٢٤٢
الشيخ احمد بن احمد بن مساهل	٢٤٣
ولاية عثمان طاي الشوهلي	٢٤٥
ولاية بالي جاوش	٢٤٥
محاصر مراد بك بن حموده باشا	
طرابلس	٢٤٦
الشيخ محمد بن الامام	٢٤٧
ولاية مصطفى بهلوان جلبي	٢٤٨
ولاية ابراهيم طاي مصري اوغلي	٢٤٩

الموضوع	الصفحة
ولاية ابراهيم طاي جلبي الانبلي	٢٥٠
الاستاذ محمد ابو راوي	٢٥٠
ولاية مصطفى الكبير	
الاستانكويلي	٢٥١
ولاية عثمان طاي وكيل الخرج	٢٥٢
ولاية آق محمد الحداد الاناطولي	٢٥٢
ولاية حسين آباره	٢٥٣
الشيخ محمد بن سعيد الهبري	٢٥٤
ذكر بلد ودان	٢٥٦
ولاية عبد الله الروم ايليلي	٢٥٨
ولاية عبد الله الازميري	٢٥٩
ولاية ابراهيم طاي التارزي	٢٦٠
ولاية محمد باشا شائب العين	٢٦١
خلافة السلطان سليمان خان الثاني	٢٦١
الشيخ محمد بن مقييل	٢٦٣
الشيخ احمد المكفي	٢٦٤
خلافة السلطان احمد خان الثاني	٢٦٥
خلافة السلطان مصطفى خان الثاني	٢٦٧
ولاية عثمان الدرغتلي	٢٧١
السيد سعيد الشريف	٢٧٢
العارف بالله الشيخ احمد البهلول	٢٨٣
ولاية الحاج مصطفى الكيبوليلي	٢٧٦
ولاية خليل باشا	٢٧٧
خلافة السلطان احمد خان الثالث	٢٧٨

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
ولاية احمد بك قره مانلي	٣٠٧	محاصرة ابراهيم بك الشريف	
ولاية يوسف باشا قره مانلي	٣١١	طرابلس	٢٨٠
الشيخ الكاتب مصطفى المصري	٣١٢	ولاية ابراهيم الاركلي	٢٨١
خلافة السلطان مصطفى		ولاية اسماعيل خوجه	٢٨٣
خان الرابع	٣١٥	ولاية الحاج مصطفى طاي	٢٨٣
خلافة السلطان محمود خان الثاني	٣١٦	ولاية محمد ابي اميس	٢٨٤
الخبر عن ابتداء ايجاد العساكر		ولاية احمد بك قره مانلي	٢٨٥
اليكيجيريه	٣١٧	الشيخ علي بن عبد الصادق	٢٨٩
الاستاذ محمد بن عبد الكريم النائب	٣٢٠	الشيخ عبد السلام بن عثمان	٢٩٠
العارف بالله عبد الكريم بن		خلافة السلطان الغازي محمود	
احمد النائب	٣٢١	خان الاول	٢٩١
الاستاذ احمد بن عبد الرحمن		الشيخ محمد بن العربي	٢٩١
النائب	٣٢٤	ولاية محمد باشا	٢٩٤
العارف بالله عبد الرحمن		الشيخ سالم بن قنوزو	٢٩٥
بن احمد النائب	٣٢٥	خلافة السلطان عثمان خان الثالث	٢٩٥
الاستاذ احمد بن عبد العزيز		العارف بالله الشيخ محمد الماعزي	٢٩٦
النائب	٣٢٥	ولاية علي باشا قره مانلي	٢٩٦
الاستاذ عبد العزيز بن محمد النائب	٣٢٦	خلافة السلطان مصطفى خان	
ابو عبد الله محمد بن بقاء الانصاري		الثالث	٢٩٧
الاوسي حافظ الاندلس	٣٢٧	الاستاذ محمد النعاس	٢٩٨
تنازل يوسف باشا عن الولاية		خلافة السلطان عبد الحميد خان	
لولده علي بك	٣٣٧	الاول	٢٩٨
تنازل الفريق الاكرم نجيب باشا	٣٣٩	خلافة السلطان سليم خان الثالث	٢٩٩
ولاية محمد رائف باشا	٣٤١	ولاية علي باشا برغل الجزايري	٣٠١

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٧٧	ولاية الوزير محمود نديم باشا	٣٤٣	ولاية طاهر باشا
٣٧٩	ولاية المشير علي رضا باشا	٣٤٣	ولاية حسن باشا الجشمه لي
٣٨١	ولاية محمد حالت باشا	٣٤٤	ولاية علي باشا عشقر
٣٨٢	ولاية الوزير محمد رشيد باشا		خلافة السلطان الغازي عبد
٣٨٢	ولاية المشير علي رضا باشا	٣٤٥	المجيد خان
٣٨٣	ولاية المشير سامح باشا		الاستاذ محمد النائب العسوس
٣٨٣	ولاية المشير مصطفى عاصم باشا	٣٤٨	الانصاري
٣٨٤	ولاية المشير مصطفى باشا	٣٥٠	ولاية الوزير محمد امين باشا
٣٨٤	ولاية علي كهالي باشا	٣٥٢	ولاية محمد راغب باشا
٣٧٤	ولاية الوزير محمد صبري باشا	٣٥٣	العارف بالله الشيخ محمد حسن ظافر
	ولاية الوزير محمود جلال الدين	٣٦٠	ولاية الوزير الحاج احمد عزت باشا
٣٨٤	باشا	٣٦١	ولاية مصطفى نوري باشا
	ولاية الوزير الحاج احمد عزت	٣٦٣	ولاية عثمان باشا
٣٨٥	باشا	٣٦٧	ولاية الوزير الحاج احمد عزت باشا
٣٨٥	ولاية الوزير محمد نظيف باشا		العارف بالله السيد محمد بن
		٣٦٨	السيد علي السنوسي

الى هنا انتهى الجزء الأول من هذا الكتاب وسيله

الجزء الثاني منه ان شاء الله

وأوله

ولاية الوزير أحمد راسم باشا